قيل ان رجلا اسمه حيان على باب الصادق عليه السلام كان بن فلان ما اسمه قال حيان
فقال له اتنصرف ام لا تنصرف فقال ان اكرمتني فلا انصرف وان
احمقتني فانصرفت وقيل .

وقال الصادق عليه السلام افعال العبد والشر لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين
وقيل له يا ابن رسول الله ما معنى هذا قال وجود الانسان الى ما امروا
وترك ما نهوا عنه صدق رسول الله

هذا شرح نهج البلاغة

احمد ... بالبلاغة والسلام على من اتبع الهدى ...

هو
اشتريت هذه النسخة ... لاربات
نصف لاري وانا العبد
حسب الله بن علي الطوسي
عفا الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر

ومن وصية له لابنه الحسن عليهما السلام

كتبها بحاضرين عند انصرافه من صفين وهو اورده جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ان هذه الوصية كتبها عليه السلم الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح الكلام والبلغه واشمله لدقايق الحكمه ولطايفها واكمل عباره تجذب بها الى سبيل الله وحاضرين اسم موضع بالشام وفيها فصول

قوله من الوالد

الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصايب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الاموات

الرهينة ما يرهن والرمية الهدف وانما نقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفه والحليف المحالف والنصب الشيء المنصوب وهذا الفصل كالعنوان للوصيه وقد ذكر لنفسه اوصافا سبعه ولولده اربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها وضاعف الاوصاف لولده لانه هو المقصود بالوصيه والموعظه فالاول من اوصافه الفان واللفظ هنا مجاز تسميه له باسم غايته ووقف على المنقوص بحذف اليا لمراعاة القرينة الثانيه ويدل على جوازه الثاني المقر للزمان اي بالغلبه والقهر المعترف بالعجز في يد تصرفاته كانه قد قرره خصما ذا باس في الاقرار له الثالث المدبر العمر وذلك انه عليه السلم كان قد ارف على الستين الرابع المستسلم للدهر

وهو ابلغ من المعمر للزمان الخامس الذام للدنيا ولم يزل عليه السلم ذاما عنها ومنفرا ابدا عن مطالبها السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير عن الركون الى الدنيا والمقام بها بذكر كونها مساكن الموتى اذ من كان في مساكنهم يوشك ان يلحقه ما نزل بهم وهو تقريع التنفير من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الآيه السابع الظاعن عنها غدا وهو تذكير بالمفارقه وغدا كنايه عن زمن قريب ولفظ الظاعن مستعار له واما اوصاف المولود فالاول المؤمل ما لا يدرك وفيه تنفير عن طول الامل اذ كان ينسي الآخره وجعل وجه التنفير تأميله ما لا يدرك وظاهر ان الانسان ما دام في هذه الدار موجه امله نحو مطالبها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك يستلزم انقضا مدتهم دون بلوغها الثاني السالك سبيل من قد هلك وسبيلهم سفرهم في الدنيا الى الآخره وقطعهم لمنازل الاعمار واضافها الى من هلك تذكيرا بالموت الثالث غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض باعتبار كونه مرميا بسهام الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام واستعار لفظ الرهينة له باعتبار ان وجوده مربوط بالاوقات وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه الخامس رمية المصايب وهو كقوله غرض الاسقام السادس عبد الدنيا ولفظ العبد مستعار باعتبار ان طالب الدنيا منقاد بطبعه اليها وعامل لها كما ينقاد العبد لسيده ويعمل له السابع تاجر الغرور اي تجارته لها غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقيه الباقيه ولفظ التاجر مستعار له باعتبار بذله لماله واعماله في شرى الدنيا انها هي المطالب الحقيقه المربحه الثامن غريم المنايا ولفظ الغريم مستعار له

ونويم

باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي بالرحيل كما يتقاضى الغريم التاسع
استعار له لفظ الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكنه من الخلاص
العاشر وحليف الهموم الحادي عشر وقرين الاحزان واستعار لفظي
الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا
ينفك الحليف والقرين عن حليفه وقرينه الثاني عشر ونصب الآفات
كقوله ورمية المصائب الثالث عشر وصريع الشهوات ولفظ الصريع
مستعار له باعتبار كونه مغلوبا للشهوة ومقهورا لها كالقتيل الرابع
عشر وخليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا بذكر الموت لان خليفة
الاموات في معرض اللحوق بهم ونحوه قول بعض الحكماء ان امرأ ليس بينه
وبين آدم الا اب ميت لمعرق النسب في الموت

قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر
علي واقبال الاخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفردني
دون هموم الناس هم نفسي فصدقني رايي وصرفني عن هواي وصرح
لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب
ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو
اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا
مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت

جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني والمحض الخالص
وافضى اي انتهى والشوب المزج والخلط وقابل في لفظه بين الاقبال والادبار
والاخرة والدنيا وقد اشرنا الى معنى ادبار الدنيا واقبال الاخرة في قوله الا وان
الدنيا قد ادبرت فاستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه

في تغيراته وتصريفاته الخارجة عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى
بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وعلى المعنى الاول يكون من للتبيين وعلى
الثاني لابتداء الغاية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وفيما
سبق خبره ومستظهرا حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في معرض
الرحيل عنه وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه وبحاله وتنزله منزلة
نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله ليكون ذلك ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطئة
والتمهيد لها ثم اعلمه ان مما تبين له عليه السلام من الامور المذكورة قرب رحيله
الى الله تعالى وذلك هو الذي وزعه ومنعه عن ذكر من سواه والاهتمام
بما وراءه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام العالم اذ كان ذلك هو وقت
التضيق على الانسان فيما هو عليه من استكمال نفسه بالفضائل والاستعداد
للقاء الله دون ما سبق من اوقات الشبيبة واستقبال العمر لاتساعها للصلاح
حال الغير والاشتغال بالامور المباحة وانه حيث تبين له ذلك تفرد به
هم نفسه دون غيرها وصدقه رايه بكشفه له عما ينبغي ان يكون اشتغاله
به من امر نفسه ووجوب العمل لها فيما يهمها وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها ٢
اذ كان اجود الاراء واصدقها في الامر ان شدة الاهتمام به وصرح له خالص
امره وما ينبغي له وانتهى به الى جد وصدق خالصين من شائبة اللعب
والكذب ووجده عليه السلام بعضا منه وهو كناية عن شدة اتصاله وقربه
منه ومحبته له كما قال

وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجده كله

اي عبارة عن كله اذ كان هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله
ودل على قربه منه وانه بمنزلة نفسه بذكر الغايتين حتى الى قوله اتاني

ووجه التشبيه بما يصيب له وبين ذلك الشيء وان لم يصبه عليه السلم
شدة تالمه به ه واعلم ان ذلك الوجدان وان كان له طبعا كما يحصل للوالد
في امر ولده لكنه مما لزمه النظر له في آخر العمر عند تذكر انقطاع الدنيا لما في
طبعه من محبة بقا الذكر الجميل والحرص على دوام الخير والآثار الصالحة
في العالم ولذلك جعله لازما لتفرده نفسه به وصدق رايه له في النصيحة
ودوي محض مرفوعا على الفاعلية ومنصوبا باسقاط حرف الجر والتقدير
عن محض امري ثم نبه على ان من لوازم وجدانه لما وجده من امره ان عناه
واهمه منه ما اهمه من امر نفسه فكتب اليه هذه الوصية لكونه ظهيرا
ومستندا يرجع الى العمل بها في حالتي بقايه له وفنايه عنه اذ كان ما اشتملت
عليه هذه الوصية من الحكم والآداب ومكارم الاخلاق وتعريف سلوك
سبيل الله مما ارتضاه لنفسه في مدة عمره اتباعا لآثار الرسول صلى الله عليه وسلم
واقتدا به فاقتضت عنايته ان يحثه على العمل بها وبالله التوفيق ه
قوله اني اوصيك بتقوى الله اي بتقواه ولزوم امره وعماره قلبك بذكره والاعتصام
بحبله واي سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي
قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت
وقرره بالفنا وبصره فجايع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي
والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك
من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا
ونزلوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة وكانك عن قريب
قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف
والخطاب فيما لا تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف

عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وامر بالمعروف تكن من اهله
وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده
ولا تاخذك في الله لومة لايم وخض الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في
الدين وعود نفسك الصبر على المكروه ونعم الخلق الصبر والجئ نفسك في
الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص
في المسالة لربك فان بيده العطا والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم
وصيتي ولا تذهبن صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في
علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه
الغمرات الشدايد والمثوى محل الثوا والاقامة وهذا حين افتتح ما
يريد ان يوصي به واشتمل هذا الفصل من ذلك على امور احدها تقوى الله
وقد علمت حقيقتها فيما سلف ويشبه ان يكون المراد بها هنا الخوف
منه تعالى الثاني لزوم امره وهو من لوازم تقواه الثالث عماره قلبه
بذكره واستعار لفظ العماره لتكميل قلبه بذكر الله وآثاره منه لانه روح
العبادات وكمال النفس كما ان العماره كمال الدار وهو داخل في لزوم
قوله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله
واستعار لفظ الحبل لما يوصل اليه من دينه فيكون التمسك به سببا
للنجاة كالحبل واراد بالاعتصام الامتناع بالتمسك به من عذاب الله ثم استفهم
عن سبب اوثق منه استفهام انكار وتعجب من وثاقته ويدخل في لزوم
امره لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس امره ان يحيي
قلبه بالموعظة واستعار وصف الاحيا له باعتبار تكميله لنفسه
بالعلم والاعتبار الحاصل عن الموعظة كما يكمل الحي بالحيوة والسادس

ان عينه بالزهادة واستعار وصف الامانة لقطع القلب عن متاع الدنيا
واعراضه عن طيباتها فهو كالميت له وقابل بين قوله احي قلبك وبين قوله
امته السابع ان تقويه باليقين اي من ضعف الجهل للصعود الى افق
عليين ونهوض الى مقام الابرار ولما كان اليقين درجة اشتداد وقوة في
العلم ناسب ان يجعله تقوية للقلب الثامن وان تنوره تنويره بالحكمة واستعار
وصف التنوير بالحكمة للعلة لها باعتبار ان ذلك سبب هدايته لسبيل الله
في ظلمات الجهل الحامل التابع وقد عرفت الحكمة واقسامها التاسع
ان يذلله بذكر الموت وذلك لان صحة اخطاره بالبال يستلزم الخوف
وتسكن القلب عن جماحه في ميدان الشهوات وبذلك من عزه الكبر
وهو العجب وحمية الغضب العاشر ان يقرره بالفنا اي يحمله
على الاقرار به ويديم ذكره له ليتأكد علمه به الحادي عشر ان يبصره
فجائع الدنيا اي يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار برزايا الدنيا وافاتها
الثاني عشر ان يحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام ولفظ
الصولة مستعار له ملاحظة لشبهه بالسبع في اخذه وما يكون بسببه
من الاذى الثالث عشر ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكره ما اصابهم
لينظر ما فعلوا وعما انتقلوا من الاثار العظيمة والملك الجسيم ويحصل من ذلك
عبرة وقياسا لحاله بحالهم ويستقرب اللحاقة بهم ويصير وتره كاحدهم
فيما صاروا اليه ووجه الشبه قرب حاله من حال احدهم واليه الاشارة بقوله
تعالى او لم يسيروا في الارض فينظروا الاية الرابع عشر ان يصلح مثواه وهو
الدار الاخرة بلزوم الاعمال الصالحة ولا يبيع اخرته وما وعد فيها من الخيرات
الباقية بما وجد في دنياه من اللذات الوهمية الفانية ولفظ البيع مستعار

الخامس عشر ان يترك القول فيما لا يعرفه اذ القول بغير علم يستلزم
رذيلتي الكذب والجهل ويلحق به الذم ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
لبعض اصحابه كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم
واماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين اصابعه قال فقلت مرني يا رسول الله
قال خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف وعليك بخويصة نفسك وكذلك
قوله تعالى والخطاب فيما لا يكلف كقوله صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السادس عشر ان يمسك عن طريق اذا خاف
ضلالته والمراد التوقف عند الشبهات وعدم التسرع الى سلوك طريق
شك في تاديه الى الحق فان توقفه وتثبته عند طلب الحق الى ان يتضح
له طريقه خير له من التعسف في ركوب ما يخاف الضلالة به من الطرق
السابع عشر ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فعلا وقولا وبان
من فعله بقدر امكانه وهو من فروض الكفاية وعليها مدار نظام العالم
ولذلك كان القران الكريم والسنة النبوية مشحونين بهما واستدرجه
الى ذلك بقوله تكن من اهله لانهم اولياء الله الابرار المرعون في الكون منهم
الثامن عشر ان يجاهد في الله اعداء دينه الجهاد الحق واضافة الحق الى
جهاده اضافة الصفة الى الموصوف ولان الصفة من باب الاهم التاسع
عشر ان لا ياخذه في الله لومة لائم وهو كناية عن نهيه عن التقصير في
طاعة الله اذ كان من لوازم المقصر استحقاق لوم اللائمين العشرون ان يخوض
الغمرات الى الحق حيث كان ولفظ الخوض مستعار لمعاناة الشدائد والدخول
فيها لطلب الحق الحادي والعشرون ان يتفقه في الدين بتعلم الاحكام
بتعلم الاحكام الشرعية ومباديها الثاني والعشرون ان يعود نفسه

على الصبر على المكروه وقد علمت أن احتمال المكروه فضيلة تحت الشجاعة
وهو من مكارم الأخلاق الثالث والعشرون أن يلجئ نفسه في أموره كلها
إلى الله وهو من التوكل على الله والإنابة إليه في كل مرغوب أو مرهوب
وقد علمت حقيقة التوكل وما يستلزمه واستدرجه إلى ذلك بقوله فإنك
تلجئها إلى كهف حريز ومانع عزيز واستعار لفظ الكهف له تعالى باعتبار أن
من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما يمنع الكهف من يلجأ إليه الرابع
والعشرون أن يخلص في دعائه ومسألته لربه إذ كان ذلك من شرائط
الإجابة واستدرجه إلى الإخلاص بقوله فإن بيده العطاء والحرمان لشدة
الانجذاب إليه والإعراض عن غيره والفاءات التي في قوله نعم وقوله
فإنك وقوله فإن بيده جواب للأوامر الثلاثة الخامس والعشرون أن
يكثر الاستخارة أي الطلب إلى الله تعالى أن يخير له فيما يأتي ويذر السادس
والعشرون أن يتفهم وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن الإعراض وترك
العمل بها بالذهاب صفحا وانتصب صفحا على الحال أي ولا تذهبن معرضا واستدرجه
للاقتناع بها بقوله فإن خير القول ما نفع والتقدير فإن وصيتي نافعة وما نفع
فهو خير القول فإذن وصيتي خير القول ثم نبهه بقوله واعلم إلى قوله
تعلمه على أن من العلوم ما لا خير فيه لئلا يتشوق إلى معرفته فيصده
ذلك عن سلوك سبيل الله والعلم المؤدي إليه وتلك هي العلوم التي نهت الشريعة
عن تعلمها كالسحر والكهانة والنجوم والنيرنجات ونحوها مما لا يكون سبيلا
إلى المقاصد الحقيقية الباقية وتقدير الكلام واعلم أن كل علم لا يحق
تعلمه أي لا ينبغي في الشريعة تعلمه وجوبا ولا ندبا فهو علم لا ينتفع به في
طريق الآخرة وكل علم لا ينتفع به فلا خير فيه لأن الخير الحقيقي هو المنفعة الباقية

عند الله فما لا منفعة فيه لا خير فيه ولذلك استعاذ الرسول صلى الله
عليه وسلم منه فقال وأعوذ بك من علم لا ينفع فصح أن كل علم لا يحق
تعلمه فلا خير فيه وبالله التوفيق

قوله أي بني إني لما رأيتني قد بلغت سنا ورأيتني ازداد وهنا
بادرت بوصيتي إليك خصالا منها أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما
في نفسي أو أن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي أو يسبقني إليك بعض
غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وإنما قلب الحدث كالأرض
الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل
لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته
فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما
قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه أي بني إني وإن
عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في
آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم
إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك
من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حين
عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت
مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وأن أبتدئك بتعليم كتاب
الله عز وجل وتأويله وشرائع الإسلام وأحكامه وحلاله وحرامه لا أجاوز
ذلك بك إلى غيره ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم
وآرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له
أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت أن

يوفقك الله تعالى لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي
هذه واعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار
على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون
من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت
مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا
فان ابت نفسك ان تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم
وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدا قبل نظرك في ذلك
بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة
اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع
وتم رايك فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك
وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط
العشوا وتورط الظلما وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك
عن ذلك امثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحيوة وان
الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن
لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد
وما شا مما لا تعلم فان اشكل عليك من ذلك امر فاحمله على جهالتك به فانك
اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رايك
ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك وسواك
وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا
لم ينبئ عن الله سبحانه كما انبأنا عنه نبينا صلى الله عليه وسلم فارض به رائدا
والى النجاة قائدا فاني لم آلك نصيحة وانك لم تبلغ في النظر لنفسك وان اجهدت

مبلغ نظري لك　　الوهن الضعف والمبادرة
المسارعة والمسابقة وافضى وصل والبغية الطلبة والتوخي القصد
واجمعت صممت العزم واسلمته الى كذا خليت بينه وبينه وامثل اقرب
الى الخير وفي هذا الفصل مقاصد الاول انه اشار الى بعض العلل
الحاملة له على هذه الوصية وهي كونه قد بلغ سنا عاليا واخذ ازديادا
في الضعف وذلك انه جاوز الستين فلزم من ذلك خوفه لاحد الخصال
المذكورة فبادرها وسابقها اليه وخصالا مفعول به وعد من تلك الخصال
ثلثا الاولى ان يعجل به اجله الى الاخرة قبل ان يوصل اليه ما في نفسه من
الحكمة الثانية ان ينقص في رايه وذلك لان القوى النفسانية تضعف
عند علو السن لضعف الارواح الحاملة لها فينقص بسبب ذلك تصرف
العقل للاراء الصالحة الثالثة ان يسبقه اليه بعض غلبات الهوى فان الصبي
اذا لم يوخذ بالاداب في حداثته لم يرض قواه لمطاوعة العقل وموافقته
كان بصدد ان يميل به القوى الحيوانية الى مشتهياتها فيجذب في تيار هواه
الى الاشتغال بها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة الحقيقية وما ينبغي له فيكون
حينئذ كالصعب النفور من الابل ووجه التشبيه انه يعسر حمله على الحق
وجذبه اليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور وتصريفه بحسب المنفعة ه ثم
نبه على وجوب المبادرة اليه بالادب وزرعه في قلبه بغض صغره ه
قوله وانما قلب الحدث الى قوله قبلته واشار الى وجه الشبهه
بقوله ما القي فيها من شي قبلته وذلك ان قلب الحدث لما كان خاليا من الانتقاش
بالعقايد وغيرها مع كونه قابلا لما يلقى اليه من خير او شر فيستقر به اشبه
الارض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر وتقدير

الكبرى وكل قلب كان كذلك فيجب ان يسبق اليه بمبادي الاداب وغرس
الحكمه فلذلك بادرته بالادب قبل ان يقسو قلبه عن الانقياد للحق
والاشتغال بالامور الباطله ثم اشار الى علة اخرى من العلل الغائيه لمبادرته
للادب وهي ان يستقبل بجد رايه ويكفى ما قد كفاه واهل التجارب
بغيته من العلوم وعوفي فيه من علاج التجربه ومعاناتها فاتاه من ذلك
العلم التجربي ما كان اهل التجربه ياتونه ويطلبونه واستبان له ما ربما
اظلم عليهم منه وفرق من باتيه العلم صفوا ويلقى اليه بينا واضحا قد
كفي فيه مؤونة الاكتساب بعين من سعى اليه وشقي في تحصيله وخاض
اليه غمرات الشكوك وظلمات الشبهات وكل ذلك من الامور المقنعه
له في قبول الوصيه والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والاداب لان اهل
التجارب اذا كانوا قد جدوا في تحصيله مع ما وجدوا فيه من المشقه
فلان يجد موتيه ويقبله خالصا من الكلف اولى
المقصود الثاني اشار الى فضيلة نفسه واستكمالها بالعلوم ثم الى كونه
في غاية العنايه والشفقه عليه والى ما راه اصلح في تعليمه اياه من العلوم
الى غير ذلك مع غايته من الجميع استدراجه لقبول قوله كما علمت من
غرض الخطيب في ذكر فضيلته وما يستدرج به للانفعال لما يريد ان ينفع
به من الاراء وغيرها فنبه على فضيلته لقوله اي بني الى قوله مجهوله وقوله
وان لم اكن في قوة جواب اعتراض مقدر كان قايلا قال له فكيف حصلت
العلوم على تجارب الامور مع حاجة التجربه الى عمر طويل يتناهى معه الانسان
تغيرات الامور وتقلبات الدهور فقال اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي
وشاهدت احوالهم لكني نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم الماثوره وسرت

في آثارهم سيرا محسوسا ومعقولا حتى صرت كاحدهم في عيان امورهم
وقوله فعرفت عطف على كونه سرت وقوله ذلك اشارة
الى ما انتهى اليه من امورهم وكنى بالصفو عن الخير وبالكدر عن الشر اي
وعرفت خير امورهم من شرها ونفعها من ضررها واستخلصت لك
من كل امر نخيله وهو جيده وما ينتفع منه عند الله من العلوم
والعبر النوافع وروي نخيلته اي خلاصته وقصدت لك جميله
اي الامر الحسن منه دون قبيحه وصرفت عنك مجهوله اي ما اشتبه
عليك امره والتبس الحق فيه وقوله ورايت حيث عناني
الى اخره اشارة الى كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اختياره له
ما هو الاولى به من العلوم واجمعت عطف على عنيت وان يكون في محل
النصب على انه مفعول اول لاجمعت ويكون هنا تامه والواو في
قوله وانت للحال وان ابتدئك عطف على ان يكون والمفعول الثاني لاجمعت
محذوف تقديره انفع واصلح وتقدير الكلام ورايت حيث عناني
من امرك ما يعني الوالد الشفيق من امر ولده من النظر في مصالحه والاهتمام
باحواله وما صممت عزمي عليه من تاديبك ان يكون ذلك تاديبك حال اقبال
عمرك وحال كونك ذا نيه سليمه من الامراض النفسانيه والاخلاق الذميمه
وكونك ذا نفس صافيه من كدر الباطل وان ابتدئك بتعليم كتاب الله وتاويله
وما اشتمل عليه من شرايع الاسلام اي قوانينه واحكامه وحلاله وحرامه
واقتصر بك على ذلك كما اقتصر عليه كثير من السلف وقوله ثم اشفقت
عطف على ابتدئك اي كنت رايت ان اقتصر بك على ذلك ولا اجاوز بك الى غيره
من العلوم العقليه ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوايهم

وآرائهم مثل ما التبس عليهم اي التباسا مثل الالتباس عليهم فكان احكام ذلك
اي ما اختلف الناس فيه على ما كرهت من نسبهم لك احب الي من اسلامك الى
امر لا آمن عليك فيه الهلكة في الدين وذلك الامر هو ما اختلف الناس
فيه من المسائل العقلية الالهية التي يكثر الالتباس للحق فيها بالباطل
وتكتنفها الشبهات المغلطة التي هي مظنة الخطر والانحراف بها عن طريق
الحق الى سبيل الهلاك واحكام ذلك الامر بيان وجه البرهان فيه وكيفية
الخلاص من شبهة الباطل ومراجعه وقوله ورجوت ان
يوفقك عطف على اشفقت والضمير المجرور يعود الى ما اختلف الناس فيه
المقصود الثالث الاشارة الى بيان ما هو الاحب اليه ان ياخذ به من
وصيته والارشاد الى كيفية اخذه وما ينبغي ان يبدأ به قبل الشروع من
الاستعانة بالله والرغبة اليه في التوفيق الى غير ذلك من الاداب الذي يتم
به الاستعداد للبحث والتعلم فمن الاحب اليه تقوى الله الذي هو زاد
المبلغ اليه ثم الاقتصار على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون
التوغل في الفكر وخوض الشبهات مما لم يكلف به احدا مما مضى عليه سلفه
الصالحون من اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحارث وغيرهم
من بني هاشم وقوله فانهم الى قوله تكلف ترغيب الاخذ بما اخذوهم
وتنفير له عن التوغل والتعمق بتصغير صغراه ما ذكر وتقدير الكبرى كل من
كان كذلك فينبغي الاقتداء به في الاخذ بما عرف والامساك عما كلف وقوله
فان ابيت الى آخره بيان للكيفية التي ينبغي ان يكون عليها طلبة العلوم العقلية
والتدقيق فيها فان ابت نفسه الاقتصار على ما افترضه الله عليه اي طلبت
طلبك لما انت طالب له من ذلك على وجوه احدها التفهم بالمقاصد والتعلم

للحق والطلب له لا على وجه التعلم للشبهات والتورط فيها والمشاغبة
بها فان ذلك مما يصد عن تعلم الحق ويمنع من قبوله الثاني ان يبدأ قبل نظره
في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في توفيقه لاصابة طريق
الحق والوصول اليه الثالث ان يترك كل شائبة اولجته في شبهة
كالعادات في نصرة المذاهب الباطلة بحسب اتباع الهوى والآراء التي يطلب
بها الرياسات فان النفس اذا كانت فيها شائبة محبة لامر جسماني لم تنفتح
لها طريق الحق بل كانت مائلة الى الانحراف في طرق الضلال الى الشبه المناسبة
للمطالب الباطلة اقرب وتلك الطرق اغرق عندها لمكان تلك الشائبة
فينبغي للسالك ان يحذف عن نفسه كل شبهة تقود الى ضلاله
والاسلام مستعار لاهماله وعدم جذبه عما يتورط فيه من الامور المضلة
ثم قال فاذا انقيت الى آخره اي واذا اعددت نفسك للطلب والنظر
بما ذكرت لك وتحققت ان قد صفا قلبك من كل شائبة تلقي النظر
فتخشى من خشية الله ان يواخذك بتركه وتم رايك وعزمك
عليه واجتمع متفرقه حتى لم يتوزك الى تركه التفات وكان همك
فيه هما واحدا لا ينقسم الى غيره فانظر حينئذ فيما فسرت لك وتفهمك
عليه من المسائل العقلية الالهية كما سياتي وان انت لم يجتمع لك ما تحب
من نفسك وفراغ نظرها وفكرها عن الشواغل المنافية للعلم وطلبه ونظرت
فاعلم انك في خوضك وطلبك له انما تخبط خبط عشواء وتتورط الظلماء
طالب
وكل من كان كذلك فليس اهلا للدين من اصوله وحذف المضاف الى العشواء
واقام المضاف اليه مقامه واستعار الخبط باعتبار انه طالب للعلم
من غير استكمال شرائط الطلب وعلى غير وجهه فهو متعسف سالك

على غير طريق المطلوب كالناقة العشوا لذلك ولفظ الظلما للتشبيه باعتبار
ان الذهن لا يهتدي فيها لطلب الحق كالماشي في الظلما والمقصود الرابع
امره تبعهم وصيته وتنبيهه على جملة من صفات الله وافعاله التي يتوهم
تضادها والتنافي في اسنادها الى مبدا واحد واشار الى انها ليست
متضادة وان مبداها واحد فاما الصفات فهو ان القادر على الموت
ومن له ان يميت هو القادر على الحيوة وله ان يحيي باعتبار ان اسباب الموت
والحيوة تنتهي اليه وكذلك الخالق هو المميت فان فاعل الخلق هو معد الموت
الذي ينتهي اليه اسبابهما والى هذين الاعتبارين الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت
ربكم ورب ابايكم الاولين فيحيي ويميت باعتبار انه الفاعل الاول لهما
وباعتبار انه الرب المطلق هو المالك الاول لهما وكذلك المغني هو المعيد
والمبتلي هو المعافي باعتبار اسباب الفنا والاعادة والابتلا والمعافاة
اليه وقد علمت ان كل هذه الامور اعتبارات عقلية تلحق معقوليه
الواجب سبحانه بالقياس الى مخلوقاته واثاره كما استقصاه في الخطبه
الاولى واما الافعال فهو انه تعالى لما خلق الدنيا لم يكن خلقها واستقرار
وجودها الا على ما خلقها الله عليه من افاضة ما يعد نعمة في حق بعض
العبيد من مال وصحة ونحوهما والابتلا بما يعد بلا من الفقر والمرض ونحوهما
وان كانت النعما ايضا ابتلا كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا
ترجعون ثم لزوم الجزا في المعاد لنفوس المبتلين والمنعم عليهم بحسب
طاعتهم ومعصيتهم في النعمة والابتلا وكذلك خلقه لها على ما شا مما لا يعلم
وجه الحكمة فيه واعلم انه قد ثبت في اصول الحكمة ان المقصود من العناية
الالهية بالذات انما هو الخير واما الشرور الواقعة في الوجود فكاينة بالعرض

من حيث انه لا يمكن نزع الخير وتجريده عنها ولما كان الخير اغلب
في الوجود وكانت الشرور امورا لازمة ولانه لم يكن ترك الخير الكثير
لاجلها لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير في الجود والحكمة
وذلك معنى قوله عليه السلم وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه
مما عدده مما يعلم كونه خيرا وشرا او لا يعلم حاله اي لم يكن خلقها
الا على ما فيها من خير مراد بالذات وشر مراد بالعرض ولزوم الجزا
على السيئة وعقاب النفوس في المعاد عليها من الشرور اللازمة لما جبلت
عليه من الهيات البدنية والملكات الردية في الدنيا كما تعلم ذلك في
موضعه وقوله فان اشكل الى اخره اي فان اشكل عليك شي
من اسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فيه فلا تتوهم خلوه
عن حكمة بل احمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت
كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا الاية
ونصب اول على الظرف وجاهلا على الحال وروي اول بالرفع على الابتداء
وجاهل بالرفع خبر له ثم نبهه على كثرة ما يسبق جهله به من الامور
ثم يدركه فيما بعد ليحمل ما لا يدرك وجه الحكمة فيه من ذلك القبيل ثم
امره بالاعتصام بالله والالتجا اليه في اموره ان يجعل له تعبده واليه
رغبته ومنه شفقته لانه تعالى الحق موجود بذلك واولاه بالامور المذكوره
المقصود الخامس الاشارة الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم
وعلى ساير الانبيا لزيادة علمهم في ايضاح الخبر عن الله تعالى وبيان المطالب
الحقيقية التي اشتمل عليها الكتاب العزيز من اسرار التوحيد والقضا والقدر
واسرار المعاد فان احدا من الانبيا السابقين عليهم السلم لم يفصح عن هذه الامور

كالناصح له ولذلك كانت هداية هذه الامة اجابته صلى الله عليه وسلم
اتم واكمل من هداية ساير الامم السالفة بما جاءت به انبياؤها وكانت عقول
بصايرهم ابسط انوارا واكثر استبشارا وغاية ذكر فضيلته صلى الله عليه وسلم
هنا ان يرضى برايه ودلالته على طريق النجاة في الاخرة واستعارة لفظ الرايد
باعتبار انه قد اختبر ما في الاخرة من الثواب المقيم والسعادة الباقية وبشر
امته كما يبشر الرايد اهله بوجود الكلاء والماء بعد ارتياده ثم اردف ذلك ببيان انه
لم يزل ناصحا له وانه لم يبلغ نظره لنفسه وان اجتهد في ذلك مبلغ نظره له
ليتاكد الاتباع برايه ومشورته عليه فيما يراه له ونصيحته نصب على التمييز

قوله واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك
لاتتك رسله ولرايت اثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه
اله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابدا
ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية واخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم عن ان
تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك
ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته
الى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فانه
لم يامرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح

اشار في هذا الفصل الى الحجة على وحدانية الصانع سبحانه وعلى جملة من
صفاته ثم الى ما ينبغي ان يفعله من ملاحظة عظمته تعالى من الصفات
المذكورة فان ها هنا ابحاث الحجة على وحدة الصانع وهي
شرطية متصلة مقدمها قوله لو كان لربك شريك وتاليها قوله لاتتك رسله الى
قوله ولعرفت افعاله وصفاته ويستنتج منها باستثناء نقيض اقسام التالي ينتج

نقيض المقدم بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه
الها مستجمعا لجميع شرايط الالهية والا لم يصلح للشركة لكن من
لوازم الالهية امورا احدها الحكمة في وجوب بعثة الرسل الى الخلق
ووصولهم اليه لما علمت من برهان وجوب البعثة في موضعه الثاني
يلزم ان يكون اثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة شاهدة
الثالث ان تعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة
اما الاول فلانه لم يأتنا رسول اخر ومعجز يدلنا على الثاني ويخبرنا عنه
واما الثاني فلان اثار الملك والسلطان وعظمة الفعل واحكامه
انما تدل على حكيم قادر فاما على التعدد فلا واما الثالث فلان مجرد
الافعال التي نشاهدها انما تدل على فاعل فاما على التعدد فلا وكذلك صفات
الالهية المكتسبة بواسطة العلم والقدرة والارادة وغيرها انما يدل على صانع
موصوف بها فاما على صانعين او اكثر لذلك فلا فاذن القول بان لربك
شريكا قول باطل لا برهان عليه كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان
له به وقوله والحكم واحد كما وصف نفسه من لوازم النتيجة لانه اذا بطل
ثاني الاله ثبت انه اله واحد كما وصف هو نفسه به بقوله قل هو الله
احد وهو الله الواحد القهار وقوله لا يضاده في ملكه احد اي يعانده في
افعاله وينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك واعلم ان هذه الحجة
اقناعية كما هو غاية الخطيب من الخطابة وليست برهانية لانه ان اريد
في الشرطية ان وجود الثاني يستلزم وجود اثار وافعال وصفات تخصه
ونعلم اختصاصها به فالملازمة ممنوعة لان الالهين سواء كانا متفقي الحقيقة
او مختلفي الحقيقة لا يلزم ان تختلف افعالهما ولوازمهما بالنوع وتخصص كل

منهما بلازم خاص وفعل خاص لا يوجد للآخر بل جاز ان يتفقا في اللوازم
والآثار وان ابيت لان وجوده يستلزم ان تعرف آثار وافعال ولوازم تخصه
بل جاز ان يشاركه فيها الاله الآخر فهذا مسلم لكن لا يمكن الاستدلال لابطال
الثاني هاهنا وهو ظاهر لانا نرى آثار ملك وافعال ولوازم وصفات لا تدل
على احديته ولا على الموصوف بها ولا على الجنسية وانما تدل على مطلق فاعل
وملزوم ما فلا يمكن ابطالها ورفعها ولان رفعها يستلزم وجود الاله
المطلق لاستلزام عدم اللازم عدم الملزوم لا رفع الثاني خاصة ٥

كونه تعالى لا يزال والعلامة لم يزل وهو اشارة الى
دوام وجوده وثباته ازلا وابدا وبرهانه انه تعالى واجب الوجود لذاته
وكل واجب الوجود لذاته فهو دايم الوجود وثابته ازلا وابدا اما
الصغرى فتقدم برهانها واما الكبرى فلانه لو جاز عليه الزوال
والعدم لما كان واجب الوجود لذاته وفساد الثاني يستلزم فساد المقدم
فاذن هو دايم الوجود ازلا وابدا ٥ كونه اول قبل الاشيا
بلا اولية لوجوده وكونه آخرا بعد الاشيا بلا نهاية لوجوده اما الاول
فلانه لو كان لوجوده اولية لكان مسبوقا بالعدم وكان محدثا فكان ممكنا
هذا خلف واما الثاني فلانه لو كانت آخريته منقطعة بنهاية لكان
ملحوقا بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته هذا خلف

كونه اعظم ان يثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر اي هو اعظم ان يطلع
احد بقلبه او بصره على كمال صفة ربوبيته والاعتبارات المعتبرة فيها ووجه
التنبيه على ذلك انك علمت ان صفة الربوبية وساير صفات الالهية باعتبار
الخارج نفس حقيقته تعالى وباعتبار العقل امور تعتبرها المعقولية ذاته

بالقياس الى مخلوقاته وآثاره وعلى التحقيق فهو اعظم ان يثبت ربوبيته
باحاطة قلب او بصر اما في الخارج فلان صفة ربوبيته هي نفس ذاته فكانت
احاطة العلم بها موقوفة على احاطته بكنه ذاته وقد علمت انها بريئة
عن وجوه التركيب فيمتنع الاحاطة بها لغيرها واما في العقل فلان
اعتبار صفة الربوبية واحاطة العقول بها موقوفة على الاحاطة بجميع
اعتبارات الكمال ونعوت الجلال اذ اعتبار ربوبيته المطلقة مستلزم
لاعتبار الهيته المطلقة المستلزم لاعتبار جميع ما له من صفات الالهية
وقد علمت ان تلك الاعتبارات غير متناهية فهي اعظم ان يحيط بها عقل
بشري فضلا ان يتعلق بها ادراك بصري ٥

اعلم انه لما نبهه على عظمة الله سبحانه وكمال ذاته في الاعتبارات
المذكورة امره ان يتعقل كما انه ينبغي ان يتعقل من هو مثله في النقصان
بالنسبة الى عظمة الله سبحانه فيطيعه حق طاعته ويعبده بكمال عبادته
وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعدله وجوه النقصان لصغر حاله
في كل منها بالقياس الى كمال ذاته تعالى فيصغر منزلته بالنسبة الى عظمته
تعالى وقلة مقدرته وكثرة عجزه بالنسبة الى كمال قدرته وكذلك عظم حاجته
الى ربه في كل حال من طلب توفيقه واعداده لطاعته والرهبة من
عقوبته والاشفاق من سخطه كل ذلك بالنسبة الى عنايته المطلق في كل
شي عن كل شي وقوله فانه الى قوله فيتبع تنبيه اجمالي على
وجوب طاعته تعالى في كل ما امر به ونهى عنه وجذبه الى فعل كل ما امر به
بكونه حسنا والانتهاء عن كل شي بكونه قبيحا وقد علمت ان الغاية من
بعثة الرسل ووضع الشرايع والسنن هي نظام احوال الخلق في معاشهم ومعادهم

فلا بد اذن في كل امر ونهي من سر وحكمة توجب حسن المامور به وقبح
المنهي عنه ولهذا الكلام نحو تعلق بالمعتزلة في مسالة الحسن والقبح
العقليين وبالله التوفيق

قوله يا بني اني قد انباتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها
وانباتك عن الاخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها
وتحذو عليها انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فاموا
منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق
وخشونة السفر وجشوبة المطعم لياتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم
فليس يجدون لشيء من ذلك الما ولا يرون نفقة مغرما ولا شيء احب اليهم
مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلتهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا
بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع
عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه
يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب
لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما
تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض
من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا
تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة
الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا انت هديت
لقصدك فكن اخشع ما تكون لربك

تحذو تقتدي بها السفر المسافرون واموا قصدوا والجناب الفناء والمنزل
والمريع ذو الكلأ الخصب ووعثاء السفر مشقته وخشونة المطعم

غلظه ويجم وقع نجعه والكدح الكسب وفي الفصل مطلوبان
احدهما انه تنبيه على حالي الدنيا والاخرة وذكر ما اخبر به عنهما
من ضرورة زوال الدنيا وانتقالها وبقاء الاخرة وما اعد لاهلها فيها من
السعادة الباقية التي اشتمل على تعديد انواعها الكتاب العزيز والسنة
الكريمة وضرب لطالبيهما مثلين ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على
الاخرة فالمثل الاول خبر الدنيا وعرف زوالها وانتقالها وخبر الاخرة
وبقاها وما اعد فيها لاهلها ومثلهم بقوم مسافرين فارقوا منزلا جديبا
الى منزل خصيب ووجه مطابقة هذا المثل ان النفوس البشرية لما كانت
من عالم المجردات وكانت الحكمة في هبوطها الى هذا العالم ومقارنتها لهذه
الهياكل الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو
ان تحصل بواسطتها الكمالات العقلية التي انما تمكن لها بواسطتها ثم ترجع
بعد الاستكمال عنها الى عالمها الاعلى طاهرة عن علائق هذه الهياكل وهيئاتها
الرديه كما اخذ عليها في العهد القديم كانت كل نفس حفظت عهد ربها
وثبتت على صراطه المستقيم فهي في المدة المضروبة لها ناظرة بعين الاعتبار
الى الدنيا كالمنزل الجديب خال عن المطاعم الحقيقية والمشارب العذبة
الهنية فهو لذلك غير صالح للاستيطان والاقامة وان عالم الاخرة كالمنزل
الخصيب والجناب المريع من وصل اليه مستقيما على اوامر الله ونواهيه
فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت ابدا في طريق السفر
في منازل طريق الله والاستعداد للوصول الى نجعة حضرته الشريفة
محتملة لمشقة ذلك السفر من معاناة الجوع والظما ومقاساة السهر قصدا
الى سعة الدار ومنزل القرار لا تجد من ذلك الما ولا تعد ما تنفقه من

المال والعمر فيه مغرم ولا شيء احب اليهما من وسيلة تقربهما الى ذلك
المنزل الذي امته والجناب الذي قصدته فاشبهت في ذلك من وصل الى عاب
جديب ثم علم ان امامه منزلا خصيبا فاقتضى رايه الحسن ان يحتمل وعثاء السفر
ومشقته اليه ليحصل على الراحة الكبرى واما المثل الثاني فهو مثل اهل الدنيا
الذين قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا فيها عما وراها ونسوا
عهد ربهم واعرضوا عما ذكروا به من اياته وشبههم بقوم كانوا في منزل
خصيب فالمنزل الخصيب في هذا المثل هو الدنيا لانها محل سعادة اهلها
ونعيمهم والمنزل الجديب هو الاخرة اذ لم يكونوا قبل استعدوا في ادراك السعادة
فيها ووجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم الى
آخره اي ليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما هم فيه من الدنيا
الى ما يهجمون عليه بغتة من الاهوال ويصيرون اليه من مقاساة السلاسل
والاغلال كما انه ليس شيء اكره الى القوم من مفارقة منزل خصيب
كانوا فيه الى منزل جديب يهجمون عليه والى هذين المثلين اشارة الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر المطلوب
الثاني الوصية باصلاح معاملته مع الخلق فاشار عليه ان يجعل نفسه
ميزانا بينه وبين غيره ووجه استعارة لفظ الميزان له انه يكون ذا عدل
بين نفسه وبين الناس كالميزان ثم شرح وجوه العدل والتسوية التي امره
ان يكون ميزانا باعتبارها فمنها ثبوتية ومنها امور سلبية فالاول ان
يحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها وفي الحديث المرفوع لا يكمل
ايمان العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وتبين
الحديث ان ذلك من كمال فضيلة العدالة التي هي من كمال الايمان الثاني لا

يظلم كما لا يحب ان يظلم فيسلم من رذيلتي الظلم والانظلام الثالث
ان يحسن الى الغير كما يحب ان يحسن اليه والاحسان فضيلة تحت العفة
الرابع ان يستقبح من نفسه ما يستقبح من غيره فينزجر عن جميع
مناهي الله وهو من لوازم المروة ولذلك قال الاحنف اذ سئل عن
المروة هي ان تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك الخامس ان يرضى
من الناس ما يرضاه لهم من نفسه اي كل ما ينبغي ان يفعله بهم من خير او شر
ان فعله فينبغي ان يرضى بمثله منهم وفيه تنبيه على انه لا يجوز ان يفعل
الشر لعدم ملازمه وهو الرضا به منهم السادس ان لا يقول ما لا يعلم
وان قل ما يعلم وانما قال وان قل ما يعلم لان تصور قلة العلم قد يكون داعية
لبعض الناس ان يقول بغير علم لئلا ينسب الى الجهل فيضل ويضل كما
قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
منير الآية السابع ان لا يقول لاحد ما لا يحب ان يقال له كالمواجهة
بالعيوب والالقاب المكروهة وكل كلام موحش الثامن تنبيهه على وجوب
ترك الاعجاب بانه ضد الصواب ولما كان الصواب هو سلوك طرق اوساطها في جميع
مكارم الاخلاق وكان الاعجاب من رذايل الاخلاق كان مضادا للصواب
مضادة الرذيلة للفضيلة وبانه آفة للعقول اذ هو اكبر امراض العقل
وآفاته المهلكة كما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات الى ان
قال واعجاب المرء بنفسه العاشر ان يسعى في كدحه اي فيما ينبغي له من
كسب الطاعات وقيل اراد بالكدح ما اكتسبه من المال وما ينبغي فيه انفاقه
في سبيل الله الحادي عشر ان يكون عند هداية الله اياه لرشده اخشع
ما يكون لربه وذلك ان الهداية للرشد هي العلم بالطريق الى الله تعالى في جميع

ما عدد من مكارم الاخلاق والعلم بالطريق المؤدية اليه حين سلوكها استلزم
ملاحظة جلاله وعظمته وهناك يكون الخشوع التام والخشية التامة كما نطق به قوله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء   وقوله واعلم ان
امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنا بك فيه عن
حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك
فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من
يحمل لك زادك الى يوم القيمة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله
اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم
من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان
امامك عقبة كؤودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطي عليها اقبح امرا
من المسرع وان مهبطك بها لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل
نزولك ووطن المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا
منصرف واعلم ان الذي بيده خزاين السموات والارض قد اذن لك في الدعاء
وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تساله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم
يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه
ولم يمنعك ان اسات من التوبة ولم يعيرك بالانابة ولم يعاجلك بالنقمة
ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الانابة ولم يناقشك
بالجريمة ولم يويسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة
وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب
وباب الاستعتاب فاذا ناديته سمع نداك واذا ناجيته علم نجواك فافضيت
اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك

واستعنته على امورك وسالته من خزاين رحمته ما لا يقدر على اعطائه
غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك
مفاتيح خزاينه بما اذن لك فيه من مسالته فمتى شئت استفتحت ابواب
نعمته واستمطرت شآبيب رحمته ولا يقنطك ابطاء اجابته فان العطية
على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل
لعطاء الآمل وربما سالت الشي فلا تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا
او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته
فلتكن مسالتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له
الارتياد الطلب والطوق والطاقة ما يتسع له قدرتك
والوبال الهلاك والكؤود الشاقة المصعد والنزوع عن الذنب الخروج منه
والافضاء الوصول والبث النشر والكشف والشآبيب جمع شؤبوب
وهو الدفعة من المطر والقنوط الياس والاستعتاب طلب العتبى وهي
الرجوع الى الرضا وفي الفصل مطالب احدها الوصية بالسعي في تحصيل
الكمالات النفسانية الباقية والثاني طرح الرذايل المنقصة فنبهه على
الاول بان امامه اي في سفره الى الله طريقا طويلا شديدا وظاهر ان الطريق
التي تكون كذلك لا بد لسالكه من حسن طلب الفضيلة الى مطلوبه ومن قدر
مبلغه من الزاد واستعار لفظ الطريق لما يسير فيه الانسان من احوال الدنيا
ويعبر منها الى الآخرة واشار بطولها وشدتها الى عسر النجاة فيها والسلامة
من خطرها اذ كان ذلك انما يكون بلزوم القصد فيها والثبات على سنن
العدل والاستقامة على حاق الوسط من مكارم الاخلاق اذ علمت ان لكل
من القوة التمييزية والشهوية والغضبية حدا يجب وقوف الانسان عنده

وهو العدل وعلمت انه ادق الحدود واصعبها اذ هو محتوش بطرفي
تفريط وافراط قل ما يسلم الانسان من الوقوع في احدهما وهما طرفان
لجهنم فبالحري ان يكون طريقا ذا مسافة يصل الانسان منها الى غايته الاعلى بعد
بعيد والمجمل منها على خير الاجتهاد جهيد واستعار لفظ الزاد للتقوى
والكمالات التي يلازم الانسان في تلك الطريق الى الله تعالى وبها يكون النجاة فيها
والخلاص من مهالكها ونبهه على ذلك بقوله مع خفة الظهر الى قوله
وبالا عليك فاستعار لفظ الخفة لقلة اكتساب الاثام ووجهها على النفس
ولفظ الحمل لاكتسابها ووجه الاستعارة الاولى ان مقلل الاثام سريع سريع
القطع لتلك الطريق قريب الى النجاة منها من مخاوفها كما قال عليه السلم تخففوا
تلحقوا وكما اشار الرسول صلى الله عليه وسلم نجا المخفون ووجه الثانية
ان مكتسب الاثام يثقل بها ويبطئ عن لحوق المخفين ويهلك بها في طريقه وكثيرة
تخلفه تابعة لكثرة اكتسابه كما يكون حال المثقل في الطريق البعيد ولفظ
الظهر ترشيح ه المطلوب الثالث التنبيه على وجوب انفاق المال
في وجوه الصدقة والبر لمن يحتاج اليه من اهل الفاقة وذلك قوله واذا وجدت
الى قوله عسرتك فحذفه ولعله اراد بالكلام امرين احدهما كون ذلك ذا حامله لاذ
الى يوم القيمة ويلقيه به هناك في موضع الحاجة اليه واستعار لفظ الزاد هنا
لما يحصل من فضيلة السخاء والكرم والانفاق ووجه الاستعارة كونه سببا لسلامة
النفس من الهلاك في طريق الاخرة ووسيلة الى السعادة الباقية كالزاد المحض
للسائر في طريقه والمبلغ له الى مطالبه واستعار للمتصدق عليه وصف الحامل
لذلك الزاد باعتبار سبب حصول الفضيلة لتلك الصدقة ووصول ثوابها الى المتصدق
يوم القيمة فوجدانه لتلك الفضيلة وظهورها في صحيفة اعمال المتصدق يوم القيمة

فهو المشار اليه بالموافاة بها غدا ثم امره ان يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه
وان يحمله على ذلك الزاد ويكثر من تزويده وتحميله للزاد حال ما هو قادر
على تحميله وجذب الى اقسامه والمسارعة الى الصدقة بقوله فلعلك تطلبه
فلا تجده لان الوسيلة الى امر عظيم اذا كانت في معرض ان تطلب فلا
توجد ثم وجدت في وقت فمن الواجب ان يغتنم تحصيلها ولا يهمل الثاني
كون الصدقة على ذي الفاقة قرضا للمتصدق في حال غناه بالمال
يقضي له يوم عسرته وفقره واستعار لفظ المستقرض هنا له باعتبار
انه هو المجازي بالثواب من انفق ماله في طاعته واليه الاشارة بقوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ونبه بكون
القرض في حال الغنا والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء افضل فيرغب في
القرض لغاية الربح المطلوب الثالث التنبيه على شدة طريق الاخرة
وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفة من حمل الاثام والسرعة فيها قبل انقضاء
الايام واستعار لفظ العقبة لما فيها من الصعود والارتقاء في درجات
الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بشدة الصعود باعتبار ما في
ذلك الارتقاء من التعب وكثرة الموانع وجذب الى الاستعداد لها بامور ثلثة
احدها كون المخف فيها احسن حالا من المثقل وهو ظاهر كما قدمناه
الثاني كون المبطئ فيها اقبح حالا من المسرع وهو ايضا ظاهر اذ كان
المبطئ فيها واقفا في احد طرفي الافراط والتفريط مشغولا بلهوه ملتفتا عما
يعنيه حتى اذا انصرم اجله بقي في مهاوي الهلاك اسيرا وعلى ما فاته من سعيه
السير حسيرا الثالث ذكر الغايتين منها وهي الجنة والنار وانه لا بد من
ما دونها وهبوطها بسالكها على احدهما وهو ظاهر ايضا فان عرض الانسان

في أحوال الدنيا والتصرف فيها الى غاية انقطاعها ووصول الآخرة اما ان
يكون على وجه القصد ولزوم سمت الملة الحقيقية وبحسب طريق
طرفي الافراط والتفريط وبذلك يكون مجتمع ملك الطريق وهبوطها سالكها
على الجنة فاما ان يكون على وجه الانحراف عن ذلك القصد والعوج عما
في تلك الطريق من شعائر الله وابواب محارمه وبذلك يكون هبوطها سالكها
على النار ونسبة الهبوط اليها مجاز باعتبار تأديتها له الى احد العاقبتين
كالهابط بالشيء ليوصله الى قراره ثم امر ان يتزود لنفسه ويطلب ما يكون
سببا لنجاته منها حسن حاله قبل نزوله احد المنزلين اللذين هما غايتاها
ليكون هبوطها به على الجنة وان يوطئ المنزل الذي يريد سكناه بالاستعداد
له وروي يوطن بالنون اي يتخذه وطنا المطلوب الرابع
التنبيه على الدعاء والترغيب فيه وسره دوام ملاحظة جلال الله والانقطاع
اليه اذ هو مبدأ كل محبوب ومعطي كل مطلوب ورغب في ذلك
بامور احدها ان بيده تعالى خزائن السموات والارض وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فالحق بالرغبة اليه من كل احد
الثاني انه تعالى اذن في الدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعوني استجب لكم وتقدير
الكبرى وكالاول الثالث انه امر الخلق ان يسألوه ليعطيهم في قوله تعالى
واسألوا الله من فضله وكذلك ان يطلبوا منه الرحمة ليرحمهم وذلك ان افادة
الرزق والرحمة وكل فضل منه انما يوجد بعد الاستعداد له بالاخلاص في
الطلب والاسترحام وغيره كما علم في مظانه وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فواجب ان يسأل ويسترحم الرابع انه لم يجعل بينه وبين الراغب اليه
حاجبا ولا بوابا لتقدسه سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدثات

لم يحتجب في كل شيء لكل من فتح عين بصيرته ووجهها الى مطالعة كبريائه
وعظمته وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى من سأل ويسترحم
الخامس انه لم يلجئه الى من يشفع اليه لان الشفيع انما يضطر اليه عند
تعذر المطلوب من جهة المرغوب اليه اما لبخله او حاجته او جهله
باستحقاق الطالب والباري تعالى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يتوقف
فيضه على استعداد الطالب له فلم يجعل سبحانه للراغبين اليه ضرورة
الى الشفعاء اذ مكنهم من الاستعداد لنيل مطالبهم منه وهيأ لهم
اسبابها وفتح لهم ابواب رحمته فان عرضت لهم حاجة الى شفيع فليس
ذلك عن ضرورة والجاء منه الى ذلك السادس انه لم يمنعه ان اساء من
التوبة بل امره بها ووعد عليها فقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم الاية وقال بعد
ان عدد الكبائر وتوعد عليها الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية السابع انه لم يعاجله بالنقمة مع اطلاعه
عليه حين معصيته ولم يفضحه في مقامه الذي تعرض فيه للفضيحة بل
امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه الثامن انه لم يشدد
عليه في قبول الانابة والرجوع اليه كما تفعله الملوك في حق من اساء وطلب
الاقالة ولم يناقشه بجريمته وذنبه فيستقصي في حسابه بل سهل عليه في ذلك
وقبل توبته متى شاء لانه تعالى لا مضرة عليه باساءة مسيء ولا نفع يصل اليه
من انابة منيب اذ هو الغني المطلق التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية العاشر
انه جعل نزوعه عن ذنبه وتوبته منه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة

فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وحسب سيئته واحدة وحسنته
عشر امثالها ومزجا بالسيئة فلا يجزي الا مثلها الحادي عشر كونه فتح
له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات واما الاستعتاب حيث امره
وارشده الى طلب الرضا عنه بعد توبته الثاني عشر كونه اذا ناداه سمع
نداه لقوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء واذا ناجاه علم نجواه لقوله تعالى
يعلم السر واخفى فاوصل اليه حاجته ان شا سرا وان شا جهرا وطلب منه
اعانته على اموره ونشر له ما كان في نفسه من همامه وسأله كشف
كروبه فوهب له من خزاين رحمته ما لا يقدر على اعطايه غيره من
زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق الثالث عشر انه جعل
في يديه مفاتيح خزاينه بما اذن له من مسالته فاستعار لفظ المفاتيح للادعية
باعتبار انها اسباب لتحصيل النعمة وكمال الرحمة متى شا استفتح بها ابواب
خزاينها وكذلك استعار لفظ الابواب لاسباب جزيات النعم الواصلة
الى العبد وخزاين نعمه هي خزاين السموات والارض اذ الكل منه وبيده
ويحتمل ان يشير بها الى المعقول من سماحة جوده وما يحويه قدرته من الخيرات
الحكمية واستعار وصف الاستمطار لطلب نعم الله تعالى ملاحظة لشبهها
بالمطر في كونها سببين للحياة وصلاح الحال في الدنيا ولشبه طالبها
بالمستمطر ورشح بذكر الشآبيب اي تقدير الكبرى في كل واحد من هذه الصاير
وكل من كان كذلك فهو احق بان ترغب اليه ولوجه الطالب نحوه واعلم انه
لما رغبه في الدعا بهذه الجواذب نبهه على ان الاجابة في الدعاء قد يبطي عنه
ثم عدد ما يصلح اسبابا لتاخرها ليلحظها عند تاخرها فلا يقنط منها ه

احدها ان العطية على قدر النية اي ان الاجابة موقوفة على الاستعداد
باخلاص النية فاذا تاخرت الاجابة فلعل تاخرها لان النية لم تكن خالصة
الثاني انها ربما اخرت لعلم الله تعالى ان تاخرها من اسباب استعداد السايل
والمومل استعدادا اعلى للعطايا هو اعلى واشرف فما سال فيعطاه عند
كمال استعداده لانه على قدر اهل العزم تاتي العزايم
وبقدر الكد تكتسب المعالي الثالث ان المطلوب قد لا يكون فيه مصلحة للعبد
لاشتماله على مفسدة في دينه لو اعطي اياه كالغنى والجاه مثلا وساير
المطالب الدنيوية الخالصة فلا يحبب الله سواله فيه بل يعطيه خيرا
منه اما في عاجل دنياه او في اجل اخراه ويصرف ذلك الامر عنه لما هو مصلحة
له وخير ثم ختم ذلك بتعريفه مواقع مسالته لله وما ينبغي ان يساله
اياه وهو ما يبقى له جماله وينفى عنه وباله من التوفيق لاسباب السعادة
الباقية وتحصيل الاجر وثمرة الاعقاب دون المال الذي يلحقه وباله
ولا يبقى لصاحبه ولا يبقى صاحبه له ويقرر بذلك عن سواله واتيانه وبالله التوفيق

قوله واعلم انك انما خلقت للاخرة لا للدنيا
وللفنا لا للبقاء وللموت لا للحيوة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق
الى الاخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن
منه على حذر ان يدركك وانت على سيئة قد كنت تحدث نفسك
منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر
من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد
اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك
ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نباك الله عنها

وتحببت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع
ضارية يهر بعضها بعضا وياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم
معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة
بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى
واخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها
واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام
كان قد وردت الاظعان يوشك من اسرع ان يلحق

منزل قلعة لا يصلح للاستيطان والبلغة ما يتبلغ به من العيش والازر
القوة ويهر يغلبه وانعبه واصل النهر تتابع النفس عن التعب والعمه
التحير واخلد الى كذا اسند اليه والكالب النوائب والمساوي المعايب
والضراوة تعود الصيد والجراة عليه والمعقلة المقيدة بالعقال والمجهول
والمجهل المفازة التي لا اعلام فيها والوادي الوعث لا يثبت فيه خف ولا حافر
لكثرة سهولته والمسيم الراعي وقد نبه في هذا الفصل على امور احدها
على ان العلة الغائية من خلقة وجوده هي الآخرة دون الدنيا والموت والفناء
دون الحياة والبقاء وهذه الامور علل عرضية من وجود الانسان لكونها
من ضروريات وجوده واما العلة الحقيقية الاولى فهي من وجوده فهي
استكماله ووصوله الى حضرته طاهرا عن علائق الدنيا وذكر بعض
الغايات التي تحرم بالوصول اليها ليعمل لها ولما بعد الموت وبعمل الرجعه
على الدنيا عمارتها ولا تركن الى البقاء فيها لكونها امورا عرضية زائلة الثاني
تنبيهه بكون الدنيا منزل قلعة على انها منزل عبور لم تخلق للاستيطان والاقامة
وبكونها دار بلغة على انها انما خلقت ليتخذ منها الانسان بلاغا للوصول

الى الآخرة وزادا لكونها طريقا اليها الثالث تنبيهه على انه طريد
الموت واستعار له لفظ الطريد ملاحظة لشبهها بالصيد يطرده
السبع وغيره ثم وصف الموت بكونه لا ينجو منه هارب ولا بد انه مدركه
تحذيرا منه وجذبا الى الاستعداد له بطاعة الله المقاومة لاهواله
وشدائده ولذلك قال فكن منه على حذر الى قوله نفسك الى شقائك على
الحال السيئة بحدث نفسك فيها بالتوبة الى ان يدركك ويحول
عطف على يدركك واذا للمفاجاة الرابع امره بالاكثار من ذكر الموت
وما يهجم عليه فان ذلك يستلزم العبرة والانزجار والاخذ في الاهبة
والاستعداد له ولما بعده ولذلك قال حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك
وشددت له ازرك اي للكمالات التي استعددتها ولا ياتيك بغتة فيبهتك
وقوله ولا ياتيك عطف على قوله حتى ياتيك والواو في قوله
وقد للحال وكذلك بغتة حال وسهر منصوب باضمار ان عقيب الفاء
في جواب النهي الخامس نهاه ان يغتر باخلاد اهل الدنيا اليها وتواثبهم
عليها ونبهه على انه لا ينبغي له ذلك الاغترار بقياسات ضمير فقوله
فقد نباك الله الى قوله عنها هو صغرى القياس الاول كقوله تعالى وما الحيوة
الدنيا الا لعب ولهو في مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله انما مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الآية وامثاله وقوله نعت لك
نفسك صغرى القياس الثاني وروي نعتت وروي نعت معنى ان الله
وصفها له ومعنى نعتها لنفسها وصفها بلسان حالها لنفسها وبيان انها
محل الهموم والغموم والاعراض والامراض ودار كل بلاء ومنزل كل فتنة
وقوله فانما اهلها الى آخره صغرى القياس الثالث وتقدير الكبرى

في القياس الاول وكل من اخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغي ان تغتر به
وتقديرها في الثاني وكل من وصف نفسه كذلك فلا ينبغي ان تغتر به
وتقديرها في الثالث وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان تغتر بفعله
واعلم انه اشار الى هذين المثلين الى قسمة اهل الدنيا اولا قسمين بحسب
اعتبار قواهم الغضبية والشهوية واتباعهم لها اي فمنهم من اتبع قوته
الغضبية واعطاها مقتضاها ومنهم من اتبع قوته الشهوية واسترسل
في تيارها وغفل عما خلق لاجله وضرب المثل للاولين بالكلاب العادية
والسباع الضارية واشار الى وجه مطابقة المثل بقوله يهر الى قوله
صغيرها وبقي الهرير مستعار لتنازعهم عليها وكذلك لفظ الاكل
لغلبة بعضهم وضرب للاخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عما يراد بهم
كالبهايم ثم قسمهم ثانيا على قسمين معقلة ومهملة واستعار لفظ المعقلة للذين
تمسكوا بظواهر الشريعة واتبعوا الامام العادل فقيدهم بالدين عن
الاسترسال في اتباع الشهوات شبه الانهماك فيها وان لم يعقلوا اسرار الشريعة
فهم كالنعم التي عقلها راعيها واشار بالمهملة الى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم
وخرجوا عن طاعة امامهم ولم يتقيدوا باوامره فهم كالبهايم المرسلة واشار
الى وجه المشابهة التي اضلت عقلها الى الجزم ويحتمل ان يريد عقلها جمع عقال
فاشبع الضمة وقلبها واوا متابعة لقوله مجهولها ويحتمل ان يريد به جمع
عقل وهو الملجا اي انها ضيعت من يلجا اليه وهو راعيها ووجه مطابقة
هذا المثل ان هولاي بعدم انتفاعهم بعقولهم وركونهم لاهوايهم الفاسدة وسكرهم
في مشتهياتهم الدنيوية مكتسبين للرذايل والعاهات النفسانية ليس لهم امام
يقيمهم على طاعة الله ورسوله ويشوقهم الى طرق الهدى ولا مكارم

الاخلاق قد اشبهوا النعم المهملة التي اضلت عقلها وركبت المفازة فهي
سروح متردد متحيرة بواد وعث ليس لها راع يرعاها ويقيمها الى
المرعى وقوله سروح عاهة اي فهي سارحة عن آفة قد خرجت بها عن
الانتفاع والرعاية الاولى اقرب الى الصواب واراد بطرق العمى طرق
الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدى فيها الشي كما لا يهتدي الاعمى
للطريق ونسب السلوك بهم اليها باعتبار انها سبب لغرورهم وغفلتهم
عما وراءهم وكذلك الحذ بابصارهم اي باحار عقولهم عن منار الهدى ومعالم
الله ومنار الطريق اليه واشار بتيههم في حيرتها الى ضلالهم عن طريق الحق
واستعار لفظ الغرق باعتبار استيلاء نعيمها على عقولهم وتملكه لها كما
تستولي اللجة على الغريق واتخاذهم لها ربا باعتبار خدمتهم لها فلعبت بهم اذ كانوا
عبيدا لها ولعبوا بها اذ استقبلوها غير مشفقين وضيعوا لما الاولى بهم فعله
ونسوا ما وراها مما خلقوا لاجله   قوله واعلم يا بني
ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة
وان كان مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك
في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب فانه رب طلب
قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروب واكرم
نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغايب فانك لن تعتاض بما تبذل من
نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خير خير لا يوجد
الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل
الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك
قسمك واخذ سهمك وان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من خلقه وان كان

كل منه وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من
منطقك وحفظ ما في الوعا بشد الوكا وحفظ ما في يدك احب الي
من طلب ما في يد غيرك ومرارة الياس خير من الطلب الي الناس والحرفة مع العفة
خير من الغني مع الفجور فالمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر
اهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن منهم بئس
الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا
ربما كان الدوا دا والدا دوا وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح واياك والاتكال
علي المني فانها بضايع النوكي والعقل حفظ التجارب وخير ما جربت ما وعظك
بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غايب
يؤوب ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة
سوف ياتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمي من كثير ولا خير
في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشي
رجا اكثر منه واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند
صرمه علي الصلة وعند صدوده علي اللطف والمقاربة وعند جموده علي البذل
وعند تباعده علي الدنو وعند شدته علي اللين وعند جرمه علي العذر حتي كانك له
عبد وكانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله
لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة حسنة
كانت ام قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلي منها عاقبة ولا الذ مغبة
ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ علي عدوك بالفضل فانه احد
الظفرين وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا
ذلك له يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا

علي ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقي
الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن اخوك اقوي علي قطيعتك منك علي
صلته ولا يكونن الاساءة اقوي منك علي الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك
فانه يسعي في مضرته ونفعك وليس جزا من سرك ان تسوءه
تعدوه تتجاوزه والتخفيض التسهيل علي النفس والحرب سلب المال والاجمال في
الطلب التسهيل فيه حتي يكون جميلا واوجفت اسرعت والمناهل المعاطش
والحرفة الضيق في الرزق والحرمان واهجر الرجل اذا افحش في منطقه
والرفق اللين وضده الخرق والنوكي جمع انوك وهو الاحمق والفرصة وقت
الامكان والظنين المتهم والصرم القطع ومحض النصيحة اخلصها له والمغبة
العاقبة وقد اشتمل هذا الفصل علي الوصية بلطايف من الحكمة العملية ومكارم
الاخلاق التي ينتظم بها امر المعاش والمعاد وصدره بالتنبيه علي ضرورة الموت
ليبني عليه ما يريد ان يوصيه به من مفردات الحكم وذلك التنبيه بامرين احدهما
ان الانسان في مدة عمره مسافر الي الاخرة وان ذلك السفر ليس علي مطايا محسوسة
ولا في طرق محسوسة بل المطية فيه الليل والنهار واستعار لفظ المطية لهما
باعتبار انهما اجزا اعتبارية للزمان يتعقب بعضها بعضا وينقضي بانقضايها ازمان
وينتقل الشخص بحسبها في زمان مدته المضروبة المقدرة له منه الي ان تنقضي مدته ويتم
سفره الي الاخرة كما ينتقل في منازل طريقه الي ان يتم سفره فيها وكذلك لفظ المسافة
مستعار لمدته المضروبة ولذلك كان سير الزمان به سيرا اعتباريا وان كان واقفا
وقوفه المتعارف فهو يقطع مسافة اجله راكبا لتلك المطايا وان كان وادعا قارا في
الحي الثاني امره ان يعلم يقينا انه لن يبلغ امله وذلك ان الانسان ابدا في توجيه امله في
المطالب كلما حصل مطلوبا منها وانقطع وجه امله فيه وجهه الي مطلوب اخر وان الحقت

ملك المطالب فالآمل ابدا متوجه الى المطلوب ما ليس مدركا في الحال فالاحالة في ذلك
على الوجدان فان ليس لكل مدرك وكذلك لا يمكن ان يجاوز الانسان اجله المضروب له
والا لما كان اجلا له وهذان الامران في قوة صغرى لقياس ضمير من الشكل الاول تقدير
كبرى الاول وكل من يسري كذلك فيوشك ان يقطع مدته ويصل الى الآخرة
وتقدير كبرى الثاني وكل من لا يبلغ امله ولا يتجاوز اجله وهو سالك الطريق من
كان قبله فيوشك ان يلحق بهم ولما نبه على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول الى الآخرة
رتب على ذلك الوصية بالحكم المذكور وذكر منها جملة الاولى ان يخفض في طلب الدنيا
ولا يحرص عليها بل يجمل طلبه لها بقدر حاجته اليها الثاني ان يفعل الجميل فيما يكتسبه
منها وذلك ان يضع كل شيء منه موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله
في وجوه البر ومصارف القربة ويحتمل ان يريد بالمكتسب الاكتساب فاطلق اسم المفعول
على المصدر مجازا نحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي
انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاجملوا في الطلب وقوله فانه
رب طلب الى قوله محروم تنفير عن الحرص في الطلب بامور ثلاثة احدها انه قد
يجر الى الحرب وذلك كما شوهد في وقتنا ان تاجرا كان له راس مال سبعة عشر دينارا
فسافر بها الى الهند مرارا حتى بلغت سبعة عشر الفا فعزم حينئذ على ترك السفر
والاكتفاء بما رزقه الله فسولت له نفسه الامارة بالسوء في العود وحببت اليه الآمال
فعاود السفر فلم يلبث ان خرج عليه السراق في البحر فاخذوا جميع ما كان معه فرجع
وقد حرب وذلك ثمرة الحرص المذموم وهو في تقدير صغرى ضمير وتقدير كبراه
وكل ما جر الى الحرب فينبغي ان لا يحرص عليه الثاني قوله وليس كل طالب بمرزوق
وهو تمثيل نبه فيه على ان الطلب عليه الحرمان في بعض الطالبين حتى تيئس نفسه
عليه فلا يحرص في الطلب الثالث قوله ولا كل مجمل بمحروم تنبيه على تمثيل آخر

كذلك نبه فيه على ان الاجمال علة للرزق في بعض الناس لتيئس نفسه عليه فيجمل
في الطلب الرابع ان يكرم نفسه عن كل دنية وان استلزمت وصوله الى ما يرغب
فيه وينافس عليه وذلك كان يكتسب سؤالا او يتعدى ليصل الى الملك ونحوه والاكرام
لها عن ذلك يستلزم فضائل كالسخاء والمروة وكبر الهمة اذ كل واحد من رذيلة
البخل والنذالة وصغر الهمة يستلزم الامر الحصول على فضائلها ويرفع عن
مفارقة الدنية بقوله فانك الى قوله عوضا اي ان ما تبذله من نفسك من الفضيلة
وتعدل عنه الى الرذيلة لا تقاومه عند الله وعند اهل الفضائل من طلبه شيء وان جل
ولا يكون لك عنه عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل له
له عوض يقابله ويساويه فلا ينبغي ان يبذل في مفارقة الدنايا الخامس ان لا يكن
عبد غيره اي لا يجعل الغير عليه فضل احسان بسؤاله اياه فيسترقه به ويستوجب
بذلك على نفسه خدمته والاشتغال بشكره عن الله وقوله وقد جعلك
الله حرا في قوة صغرى انه تقدير كبراه وكل من جعله الله حرا فقبيح ان
يجعل نفسه عبدا لغيره وكذلك قوله وما خير خير الى قوله الا بعسر استفهام
في معنى الانكار اي لا خير في خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر
وكنى بذلك الخير واليسر عما يطلب في مفارقة الدنايا ويصير الانسان بسببه
عبدا لغيره كالمال ونحوه والشر والعسر المقارن له كبذل ماء الوجه في السؤال
والذلة وغيرها من الدنايا وهو ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير
فيه فلا ينبغي ان يطلب ويتعبد للغير من اجله الخامس حذره من الطمع
واستعار لفظ المطايا لقواه الامارة بالسوء كالوهمية والخيالية والشهوية
والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة لنفسه العاقلة وموصلة لها الى
المشتهيات وما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصلة لراكبها الى العواصه

ولذلك وصف الوجيف لسرعة انقياده معها الى المطامع الرديه وقوله
فتوردك مناهل الهلكة فاستعار لفظ المناهل الموارد الهلاك في الآخرة كنار
جهنم وطبقاتها ووجه المشابهه كونها موارد شراب اهل الهلكه كما قال
تعالى فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم والفا في جواب النهي اللازم
المذكور وهو في قوة متصله هي صغرى ضمير تقديرها فانك ان لم تخفف
بك مطايا الطمع اوردتك مناهل الهلكة وتقدير الكبرى وكل مطيه كذلك
فيجب ردها السادس نهاه ان يجعل بينه وبين الله واسطة في حصول
نعمته اليه ان استطاع ذلك وهو نهي عن مسئلة الغير والتعرض لنواله واستنزال
قسمه من رزق المفوض له من غير سؤال في نعمه يكون فيه بذل الوجه والذلة والمنة
ان لم يعط وبذله والحرمان والذل ان حرم ورغبة في ذلك بضمير بين احدهما قوله
فانك مدرك قسمك واخذ سهمك اي من رزق الله وتقدير كبراه وكل من كان
كذلك فلا ينبغي ان يجعل بينه وبين الله واسطة يطلب منه رزقه والثاني
قوله وان اليسير الى قوله خلقه اي ما حصل من جهة محل حصوله منها
وهي الجهة التي امر الله بطلب الرزق منها وان كان يسيرا اكرم عنده واشرف
من الكثير من غير تلك الجهة كسؤال الغير والتعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان
اعظم فينبغي ان يكون هو المطلوب وقوله وان كان الكل منه اي وان كان الرزق
من الكل ايضا من الله الا انه ينبغي ان يوجه الرغبة اليه ابتداء دون غيره اذ هو
مبدا الكل وغاية الجميع واحد السابع قوله وتلافيك لما فرط من منطقك
تنبيه على وجوب ترجيح الصمت وتغليبه على كثرة الكلام بضمير هذه صغراه
وتقديرها ان الفارط من الصمت وان استلزم الخطا كالسكوت عما ينبغي ان يقال
من الحكمة او ما يترتب عليه بعض المصالح الا انه يمكن استدراكه غالبا بما ينبغي

من القول واما فارط القول فان الخطا فيه قد لا يمكن استدراكه وان امكن
فعلى غاية من العسر فلذلك كان تلافي فارط الصمت بالقول اسهل من تدارك فارط
القول ولقوة الخطا في القول اكثر الناس في ذم الاكثار ومدح الصمت والمنطق
هاهنا يحتمل ان يراد به المصدر فيكون من لبيان الجنس او محل النطق فيكون لابتدا
الغاية وتقدير كبرى الضمير وكل ما كان ايسر فهو اولى بك فينتج ان تلافي فارط
الصمت اولى بك وذلك مستلزم لرجحان الصمت الثامن تنبيهه على حفظ ما في يده
من المال الحفظ الذي ينبغي وهو الواسطة بين التبذير والبخل والكلام في قوة
صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكلما كان احب اليك من طلبك ما في يد غيرك فهو
اولى بك التاسع تنبيهه على فضيلة قطع الطمع والياس عما في ايدي الناس
بضمير ايضا صغراه قوله ومرارة الياس الى قوله الناس وتقدير كبراه وكل ما كان
خيرا فهو اولى ان يلزم ويكرم النفس به واطلق لفظ المرارة على الالم الذي يجده
النفس بسبب الياس من المطالب اطلاقا لاسم السبب على المسبب وكونه خيرا
لما يستلزمه من اكرام النفس عن ذل السؤال وعن رذيلة المهانة واليه اشار الشاعر بقوله

وان كان طعم الياس مرا فانه الذ واحلى من سؤال الاراذل

العاشر تنبيهه على وجوب الصبر في ضيق الرزق والحرمان اذا كان مع فضيلة
العفة وان لزومها اولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير ايضا صغراه ما ذكر وتقدير
كبراه وكل ما كان خيرا من الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى وانما
كان كذلك لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة واستلزام ذلك الغنى الرذيلة وقد علمت
ان العفة فضيلة القوة الشهوية وانها بين رذيلتي تفريط يسمى خمود الشهوة
وافراط يسمى فجورا الحادي عشر تنبيهه على انه لا يجوز افشاء سره بتمثيل اصله
المرء والفرع هو الحكم كونه احفظ لسره والعلة كونه اكثر عناية بنفسه من غيره

الثاني عشر تنبيه بطريق التمثيل ايضا على العجز في السعي والتثبت في ارتياد
المصالح في قوله رب ساع فيما يضره فالاصل هو الساعي والفرع هو المخاطب
والعلة هو السعي والحكم هو التضرر الثالث عشر تنبيه على وجوب ترك الاكثار
في القول بتمثيل ايضا اصله المكثر وفرعه المخاطب وعلته الاكثار وحكمه
الهجر والغرض ان يعتبر نفسه في لحوقها بالمكثرين في لزوم الهجر لهم فيترك الاكثار
لما يلزمه من الهجر ولحوق الذم به الرابع عشر تنبيه على فضيلة التفكر
في الامور بقوله من تفكر ابصر اي ادرك بعين بصيرته حقايق الامور وعواقبها
الخامس عشر امره بمقارنة اهل الخير بضمير دل على صغراه بقوله فكن
منهم وتقديرها ان مقارنتهم تستلزم الكون منهم وتقدير الكبرى وكلما استلزم الكون
منهم فواجب ان يفعل السادس عشر وكذلك امره بمباينة اهل الشر ومفارقتهم
لما تستلزمه المباينة لهم من عدم العذاب في جملتهم في الدنيا والاخرة ووجه الحجة
كالذي قبله السابع عشر تنبيه على قبح اكل الحرام لغاية اجتنابه بذمه بضمير تقدير
صغراه الطعام الحرام مذموم وتقدير كبراه وكل مذموم فينبغي ان يجتنب ٥
الثامن عشر تنبيه على وجوب ترك الظلم بضمير تقدير صغراه ما ذكره وهو ما كان
اقبح الظلم لكون الضعيف في محل الرحمة فظلمه لا يصدر الا عن قلب قاس ونفس
بعيدة من الرقة والرحمة والعدل ولانه غير مقابل من الضعيف على بغيه ومانعه
فكان ابعد عن العدل وتقدير كبراه وكلما كان افحش الظلم كان اولى الاصناف
الظلم بالترك والاجتناب التاسع عشر تنبيه على ان الخرق في بعض المواضع انفع من
الرفق فينبغي ان يستعمل كل في موضعه بضمير صغراه متصلة تقديرها انه اذا كان
استعمال الرفق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمطلوب غالبا ومفوتا
للغرض كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه للمصلحة

وحصول الغرض غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك الموضع ولفظ الخرق
الاول والخرق الثاني لما ذكرناه من المشابهة والى هذا اشار ابو الطيب بقوله
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
العشرون تنبيه على ان بعض ما فيه مصلحة ظاهرة قد يشتمل على مفسدة
بقوله ربما كان الدواء داء وعلى ان بعض ما هو مفسدة للظاهر قد يستلزم مصلحة
بقوله والداء دواء ولفظا الدواء مستعاران للمصلحة ولفظا الداء للمفسدة ووجه
الاستعارتين ان المصلحة من شانها انتظام حال الانسان ومن شان المفسدة فساده
كالدواء والداء والى هذا اشار المتنبي ربما صحت الاجساد بالعلل
الحادي والعشرون تنبيه على انه لا ينبغي ان يعرض عن مشورة احد عليه
بامر هو مظنة مصلحته وان كان من شانه انه غير ناصح له بل ينظر في رايه
وشوره فربما كان نصيحة وكذلك ينبغي ان يترك القول بتعقله بالنصح مطلقا
اذ من الجائز ان يغشه الثاني والعشرون نهاه عن الاتكال على المنى ونفره
عنها بضمير صغراه انها بضايع النوكى واستعار لفظ البضايع لها باعتبار ان
الاحمق يحصل منها على لذة خيالية من الامور المتمناه هي فرعها كما يحصل من البضاعة
الربح ولاضافتها الى النوكى لعدم الفايدة في المنى كعدم الربح عن بضايع النوكى ٥
الثالث والعشرون رسم العقل بانه حفظ التجارب والاشارة الى العقل
العملي وهو القوة التي للنفس بحسب حاجتها الى تدبير بدنها الموضوع لتصرفاتها
وتكميله وهي التي بها تستنبط الاراء المصلحية فيما يجب ان يفعل من الامور اذ كان
الشروع في العمل الاختياري المختص بالانسان انما ياتي بادراك ما ينبغي ان يعمل في
كل باب وهو ادراك راي كلي او جزئي يستنبط من مقدمات بعضها جزئية
محسوسة وبعضها كلية اولية او تجربية او ذايعة او ظنية يحكم بها العقل

النظري من غير أن يختص بجزئي دون غيره والعقل العملي يستعين بالنظري في
ذلك ثم ينتقل منه باستعمال مقدمات جزئية الى أن ينتقل الى الرأي الجزئي
الحاصل فيعمل بحسبه ويحصل بعمله مقاصده في معاشه ومعاده وارادته
لهذا العقل أظهر لانه المتعارف ولانه في معرض الامر بتحصيل مكارم
الاخلاق التي هي كمال هذه القوة وحفظ التجارب اشارة الى ضبط هذه
القوة المنتزعة على مشاهدات متكررة من الامور جزئية تتكرر فتفيد حكما
كليا لكون السمو بما لا من شأنها الاهمال ويعرف العقل بذلك لكونه من خاصته
وكمالاته الرابع والعشرون تنبيه على انه ينبغي ان يغتنم من التجارب على الموعظة
اي من شأنه ان يفيدك موعظة واعتبارا كالنظر في حال من تكرر ظلمه فاسرعت
عقوبة الله اليه او تكرر كذبه فادركه المقت بضمير صغراه ما ذكر وتقديرها
ما وعظك فهو خير التجارب وتقدير الكبرى وخير التجارب اولى بأن ينتج فـ
وعظك من التجارب اولى بك نحو قوله فلا طر اذا لم تعظك التجربة لم
تجرب بل انت ساذج كالكتاب الخامس والعشرون امره بانتهاز الفرصة
مجازا تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه السادس والعشرون تنبيه على ما ينبغي
من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب بضمير صغراه ما في قوة هذا السلب
من الايجاب وتقديره بعض الطالبين لا يصيب مطلوبه وتقدير الكبرى وكل
من لا يصيب مطلوبه فلا ينبغي ان يأسف على فواته ليقدر السامع نفسه انه من
ذلك البعض فلا يأسف على فايت وكذلك قوله ولا كل غايب يؤوب السابع والعشرون
تنبيه على وجوب التقوى بضمير تقدير صغراه اضاعة الزاد ومنه للمعاد من
الفساد وتقدير الكبرى ولا كل ما كان من الفساد وجب تركه ولفظ الزاد مستعار
للتقوى كما سبق الثامن والعشرون تنبيه على وجوب النظر في عواقب الامور

واختيار احسنها بضمير ذكر ما هو في قوة صغراه وتقديرها كل امر له عاقبة
نافعة او ضارة وتقدير كبراه وكل ما له عاقبة كذلك فينبغي أن يلمح ليفعل
ما يوصل اليها او يجتنب التاسع والعشرون تنبيه على وجوب ترك الحرص وكد
النفس في طلب المال ونحو بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما سوف
يأتيك فينبغي أن لا يحرص في طلبه الثلثون تنبيه على وجوب الاحتراز في
المعاملات كالبيع والشرى ونحو ضمير صغراه ما ذكر ووجه كون التاجر
مخاطرا انه لما كان محبا للمال ومتوجها الى اكتسابه كان حال البيع في مظنة
ان يحيف فياخذ راجحا ويعطي ناقصا مع أن تكليفه لزوم العدل والاستقامة
على سواء الطريق فلا جرم كان على خطر من وقوعه في طرف التفريط والتقصير
عن سواء السبيل فتقدير الكبرى والمخاطر يجب ان يحترز في فعله المخاطر فيه
الحادي والثلثون لما نبه على وجوب الاحتراز في التجارة والتحفظ من
الظلم وكان ذلك الظلم انما هو لغرض كثرة المال نبه في هذه الكلمة على ان
المال اليسير ما هو انمى من الكثير ليقتصر عليه واراد اليسير الحلال فانه اغنى
للعاقل من الكثير الحرام في الآخرة لاستلزامه زيادة الثواب وهي في قوة صغرى
ضمير تقديرها اليسير الحلال انمى من الكثير الحرام فيجب ان يقتصر عليه الثاني
والثلثون تنبيه على ترك الاستعانة في المهمات بالمهين من الناس بضمير تقدير
صغراه المعين المهين لا خير في الاستعانة به والخير المنفي عنه هو النافع في
الاستعانة به ومعلوم انه منتف عنه لما ان مهانته تضاد النهوض في مهمات
الامور وطلبها ولان ذلته تستلزم تهوره وضعفه عن المقاومة ونحو قولهم
اذا استكفيت بغير كاف   وجدته للهم غير شاف
الثالث والثلثون تنبيه على مجانبة الصديق المتهم بضمير تقدير صغراه كالذي فعلها

فادانه لا خير فيه لصديقه اذ كان من جهة الباطن مظنة الشركة ۝
الرابع والثلاثون امره ان يصبر على ما يقتضيه الدهر ولا يتسخط من ذلك
فان كان دون رضاه اذ كان ذلك هو الممكن في الطبيعة وما عني الملة واستعار
لفظ القعود للزمان الذي يتيسر فيه رزقه ويسهل فيه بعض مهماته ووجه
المشابهة ان ذلك الزمان هو زمان تمكنه من بعض مهماته وحوائجه وطلب ما لا يمكن
فيه وما لم يعد لحصوله من المطالب ربما يستلزم تعبه وامتناع ما كان ممكنا
فيه كما ان القعود من شانه ان يمكن من ظهوره وابتغاءه وهو معرض ان ينفر
براكبه اذا استزاده وشدد عليه ولفظ الذلة مستعار لسكون الزمان
فيما كان المطلوب فيه وارادة عنه اهليته الجريان معه بقدر مقتضاه من دون
تشدد وتسخط عليه فان ذلك يستلزم تعب النفس من غير فائدة والى مثله اشار القائل

اذا الدهر اعطاك العنان فسر به رويدا ولا تعنف فيصبح شامسا

الخامس والثلاثون نهاه ان يخاطر بما يملكه رجاء اكثر منه اذ كان في مظنة
ان لا يعود فيه وشك ان يضيع الاصل ويحمل ذلك على كون الانسان يلقي ما في يده
للغرض المذكور مع شكه في سلامته اما مع ظن السلامة فلا خطر ونحو قولهم
من طلب الفضل حرم الاصل السادس والثلاثون وحذره من اللجاج في طلب
الامر عند تعسره ونفره عنه بان استعار له لفظ المطية الجموح ووجه
المشابهة كونه تؤدي بصاحبها الى غاية ليست بمحمودة كالجموح من المطايا
السابع والثلاثون امره ان يلزم نفسه ويحملها في حق صديقه الجفو على ان
يقابله ويجازيه برذائله فضائل كالقطيعة بالصلة وسائر ما ذكر ليعود الى
العتبى وتكرم المودة وحذره ان يضع ذلك في غير موضعه ويفعله مع غير اهله
من اللئام لان ذلك وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج عن العقل وبذلك

ان الامور المذكورة من لوازم الصداقة الحقة والى نحوه اشار الشاعر بقوله

وان الذي بيني وبين بني ابي وبين بني امي لمختلف جدا
فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

الثامن والثلاثون نهاه ان يتخذ عدو صديقه صديقا ونبه على قبح ذلك بضمير
استثنائي تقديره فانك ان فعلت ذلك عاديت صديقك وبين اللازم على قبح
اللازم يقبح ملزومه اي لكن معاداة الصديق قبيحة منهي عنها فاتخاذ عدوه صديقا
كذلك وقبحه اللازمة فلان مصادقة عدو الصديق تستلزم نفرة الصديق عن
مصادق عدوه لنفرته عن عدوه لان مصادقة عدوه توهمه مشاركة العدو
وموافقته في جميع احوال العدو من جملة احواله عداوته فيعلي اذ توهمه الموافقة
على عداوته فتوجب له النفرة والمجانبة والى هذا اشار القائل

تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الراي عنك لعازب

التاسع والثلاثون ان يخلص نصيحته لاخيه في جميع احواله سواء كانت النصيحة حسنة
ام قبيحة اي مستقبحة في نظر المنصوح ضارة له في العاجل باعتبار استجابه انفعاله
من المواجهة بها ونحوه قوله تعالى فان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم بعدها
بالنسبة اليهم سيئة ۝ الاربعون امره بفضيلة كظم الغيظ وقد رسمت
بانها الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها
اليه وقد يراد فيها الحلم والكرم والصفح والتثبت والعفو والتجاوز والاحتمال ودعا
من بعضهم بين هذه المفهومات واستعار لفظ التجرع بالصبر على مضض الالم
الموجود منه ملاحظة لما يشرب من دواء مر ثم نبه على فضيلته بضمير صغراه

فاني لها ان الي قوله منعه فاستعار لفظ الحلاوة لما يستلزمه من العاقبة الحسنة
ووجه المشابهة ما يستلزمانه من اللذة والضمير في قوله منها يعود الى ما
دل عليه قوله لم تجرع من المصدر وتقدير الكبرى وكل ما لا ترى من التجرع
اجلى منه فينبغي ان تتجرعه وعن زين العابدين وصيته لابنه الباقر عليهما السلام يا بني
عليك بتجرع الغيظ من الرجال فان اباك لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من
الرجال حمر النعم الحادي والاربعون امره ان يلين لمن غالظه وخاشنه
ونبه على حسن ذلك بضمير صغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اي بسبب لينك
له حال غلظته وتقدير كبراه وكل من قارب ان يلين لك بسبب لينك له فالاولى
بك ان تلين له ونحوه قولهم اذا عز اخوك فهن واصله قوله تعالى ادفع بالتي هي
احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الثاني والاربعون
امره ان ياخذ على عدوه بالفضل من عوارفه ونبهه على حسنه باستلزامه احد
الظفرين فان للظفر سببين احدهما الرهبة بالقوة والغلبة وهو الاظهر والثاني
الرغبة بالافضال عليه بحيث يسترقه ويدخل في الطاعة بسببه وتقدير
فانه احد الظفرين صغرى ضمير وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه احد الظفرين
فينبغي ان يفعل الثالث والاربعون امره اذا اراد مقاطعة اخيه ان
يبقي له من نفسه بقية من صداقته ولا يفارقه كلية ونبه على ذلك بضمير
اشار الى صغراه بقوله يرجع اليها اي فانه يرجع اليها لو بدا له الرجوع وتقدير
الكبرى وكل ما يرجع به يجب ان يبقيه لهم ونحوه قولهم احبب حبيبك هونا
ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون
حبيبك يوما ما وقولهم اذا هويت فلا تكن غاليا واذا تركت فلا تكن قاليا
الرابع والاربعون ان يصدق من ظن به خيرا في ظنه وذلك التصديق

بفعل ما ظنه فيه من الخير كان يظن به الجود فيتفضل عليه الخامس
والاربعون نهى ان يفعل باهله شرا ونفره بضمير تقدير صغراه فان
اهلك حينئذ يكونون اشقى الخلق بك وذلك لملازمته لهم وقربه منهم وتقدير
كبراه كل من كان كذلك فهو مذموم السادس والاربعون ان لا يضيع
حق اخ له اعتمادا على ما بينهما من الاخوة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله
فانه الى قوله حقه والمعنى ان من اضعت حقه لا بد ان يفارقك لتضييعك
حقه فلا يكون اخا لك وتقدير كبراه وكل اخ يفارقك لتضييع حقه
فلا ينبغي ان تضيع حقه لتسلم لك مودته واخوته ونحوه قولهم اضاعة
الحقوق داعية العقوق السابع والاربعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد فيه
من ليس للصنيعة موضعا ولا للمودة اهلا وليس باخ قديم والا لناقض
ما قبله وما بعده من الامر بصلة من قطعه والدنو ممن باعد عنه والاحسان
الى من اساء اليه الثامن والاربعون تنبيهه على وجوب صلة من قطعه من اخوانه
والاحسان الى من اساء اليه واشار الى وجوب ذلك بالتنفير عن نقيضه بضمير
صغراه شرطية متصلة تقديرها فانك ان لا تفعل ذلك يكن اخوك اقوى على
فعل الاساءة منك على فعل الاحسان وبيان الملازمة ان الاساءة والشر له
صوارف كثيرة تصرف عنه والاحسان وفعل الخير له بواعث كثيرة تبعث
عليه فاذا لم تفعل الاحسان مع كثرة البواعث عليه واساء اخوك مع كثرة
صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى على الاساءة منك على الاحسان وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فهو عاجز مذموم التاسع والاربعون نهاه عن استعظام
ظلم الظالمين في حقه وهونه عنده بضمير صغراه قوله فانه يسعى في مضرته
ونفعك اي ان سعيه في ظلمه يستلزم مضرته في الآخرة بما توعد الله به الظالمين

وينفعك بما وعد الله به الصابرين على بلائهم وتقدير الكبرى وكل من سعى في
مضرته ونفعك فلا ينبغي أن يكبر عليك صنيعه بحقك الخمسون
نبهه على وجوب مقابلة الإحسان بمثله دون الكفران بقوله ليس جزاء من سرك
أن تسوءه وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها من سرك فليس جزاؤه أن تسوءه وقيل
أن هذه الكلمة من تمام التي قبلها والتقدير لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فتقابله
بسوء فإنه تسعى في مضرته ونفعك وكل من كان كذلك فليس جزاؤه أن
تقابله بالإساءة — قوله واعلم يا بني أن
الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك ما
أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى إنما لك من دنياك ما أصلحت به
مثواك وإن كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل
إليك استدل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه
العظة إلا إذا بالغت في إيلامه فإن العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ
إلا بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من
ترك القصد جار والصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك
العمى رب بعيد أقرب من قريب وقريب أبعد من بعيد والغريب من لم يكن له
حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان أبقى له وأوثق
سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى ومن لم يبالك فهو عدوك
قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة
تصاب ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده أخر الشر فإنك إذا
شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من أمن الزمان خانه ومن
أعظمه أهانه ليس كل من رمى أصاب إذا تغير السلطان تغير الزمان

وسل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار وإياك أن تذكر من الكلام
مضحكا وإن حكيت ذلك عن غيرك وإياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن
وعزمهن إلى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب
أبقى عليهن وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من أمرها
ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها
ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها وإياك والتغاير في غير موضع غيرة فإن
ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب واجعل لكل إنسان من خدمك
عملا تأخذه به فإنه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك وأكرم عشيرتك فإنهم
جناحك الذي به تطير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك
واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى
المثوى المقام وتنفلت تخلص وعزائم الصبر ما جزمت
منه ولزمته العورة هنا الاسم من أعور الصيد إذا أمكنك من نفسه وأعور
الفارس إذا بدا منه موضع خلل للضرب والأفن الضعف والقهرمانة فارسي
معرب وفي الفصل تنبيهات على لطائف من الحكمة ومكارم الأخلاق الأولى
أنه قسم مطلق الرزق إلى قسمين مطلوب وطالب وأراد بالرزق المطلوب ما لم
يجر في القضاء الإلهي كونه رزقا له وبالطالب له ما علم الله أنه رزقه وأنه لا
بد من وصوله إليه وترك بيان أحكام القسمين للعلم به إجمالا والتقدير فأما الذي
تطلبه فإنك لا تدركه لكون القضاء الإلهي لم يجر به وكلما لا تدركه ينبغي أن لا
تحرص عليه وأما الذي يطلبك فإنه لا محالة يأتيك وإن لم تأته وهي صغرى ضمير
تقديرها وكلما كان آتيك لا محالة ينبغي أن لا تحرص على طلبه الثانية نبه
على فضيلة عزة النفس عند الحاجة وعلى مواصلة الإخوان في الغنى بالتعجب

من قبح ضديهما وهما الخضوع في الحاجة والجفاء في الغنى للتنفير عنهما اذ
كانا رذيلتين وهي في قوة ضمير تقديرها ان الذلة في الحاجة وجفاء الاخوان
في الغنى فتجلدا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثالثة
تنبيه على بذل المال في وجوه البر والقربات لغاية اصلاح آخرته بقوله انما
لك المجعول له مثواك واراد بالكسر سناه ما يملك نفعه دائما ولذلك حصره فيما
لانه القدر المنتفع به على الحقيقة والذي ينبغي تحريه لاستلزام بذله تحصيل
الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب الدائم والنعيم المقيم في الآخرة وهو
صغرى ضمير تقديرها ما اصلحت به مثواك من دنياك هو الذي يبقى لك منها
وتقدير الكبرى وكلما هو الباقي لك منها فينبغي ان تخصه بعنايتك ويحتمل
ان يكون هذه الكلمة تنبيها على ما قبلها من الحاصلة في الغنى داخلة في اصلاح
المثوى بالمال المنبه عليه هاهنا الرابعة تنبيه على ترك الاسف والجزع
على ما خرج من يده من المال بقياس استثنائي في ذلك بقوله فان جزعت الى قوله
فبيان الملازمة ان الذي خرج من يده كالذي لم يصل اليه في انه ليس برزق له
وليس مما قضى الله له به وتقدير الاستثناء لكن الجزع هناك قبيح وغير متحقق
فينبغي ان لا يحصل الجزع هاهنا الخامسة امره ان يستدل بقياس ما لم يكن
اي يحدث من امور الدنيا واحوالها وتغيراتها على ما كان وحدث منها وذلك
ان تقيس نفسه وما يرغب فيه من متاع الدنيا واحوالها وتغيراتها على ما سبق
من اهلها ومتاعها فتجده مثله فتحكم بلحوق حكمه له وهو التغير والزوال
فيستلزم ذلك الاعتبار الرغبة عن الدنيا ومتاعها ونبه على امكان ذلك بضمير
صغراه قوله فان الامور اشباه وتقدير الكبرى وكل ما هو متشابه فيمكن قياس
بعضه على البعض وكان يقال اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك

السادسة حذره ان يكون ممن لا تنفعه النصيحة فيما تصح به من الراي
الا اذا بالغت النصيحة والتوبيخ في ايلامه واذاه وروي بالغت في الخاطب
في ايلامه بالقول وغيره وضرب له العاقل مثلا في اتعاظه بالادب وبذكره
بالنصيحة ليقيس نفسه عليه فيتعظ بالادب والبهائم مثلا في عدم اتعاظها
وتذكرها بالضرب لتعتبر نفسه بالقياس اليها وقد رفعه الله عنها بالعقل فيجب
ان ينزه نفسه عن لازمها فلا يحتاج الى الايلام بقول او فعل وكان يقال اللئيم
كالعبد والعبد كالبهيمة عتبها ضربها السابعة ان يحذو عن نفسه ما يرد
عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الحازم الثابت عن حسن
اليقين بالله تعالى في اسرار حكمته وقضائه وقدره وذلك انه يعلم يقينا ان
كل امر صدر عن الله تعالى او ابتلى به عباده من ضيق رزق او سعته وكل
امر مرهوب او مرغوب فعلى وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض من ذلك مما
يعد شرا فامر عرضي لا يمكن نزع الخير المقصود منه وان ذلك اذا كان متيقنا
استعدت النفس بعلمه للصبر ومقاومة الهوى في الغم والجزع ونحوه والغرض
من الكلمة الامر بالصبر وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها ان عزائم الصبر وحسن
اليقين بالله يستلزم اطراح واردات الهموم وحذفها عن النفس وتقدير الكبرى
وكلما استلزم ذلك فينبغي ان تستعد به وتستكمل به نفسك الثامنة
تنبيه على لزوم القصد والعدل في اقواله وافعاله بضمير ذكر صغراه وتقدير
كبراه من جار هلك التاسعة تنبيه على حفظ الصاحب الحميم والرغبة
فيه بضمير ذكر صغراه واستعار له لفظ النسيب باعتبار مودته وحسن
مصاحبته كالنسيب وتقدير كبراه والمناسب ينبغي ان تحمي عليه وتصطنع عنده
العاشرة عن التصديق بالحق بعلامته ليعرف بها فتصادفه واراد تصديقه

في غيبته صديقه في حضيره وماغاب من باطنه عن غيره الحادية عشر تنبيه
على مجانبة الهوى والميول الطبيعية لضمير صغراه قوله الهوى شريك العمى ووجه
كونه شريكا له استلزامه للضلال وترك القصد كالعمى وتقدير الكبرى كل ما هو
شريك العمى فينبغي ان يجتنب ونحوه قولهم حبك الشيء يعمي ويصم الثاني عشر
تنبيه على ان البعداء من هو اقرب نفعا انفع من النسيب وفي الانسباء من هو ابعد
من البعيد وهو مشهور والى المعنى الثاني اشار القرآن الكريم بقوله تعالى ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الثالثة عشر تنبيه على ان
الحقيق باسم الغريب هو من لم يكن له نسب اي محبة واليه اشار القائل

أسرة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحقوق تطيب
فاذا وليا عن المرء يوما فهو في الناس اجنبي غريب

وذلك باعتبار محبة الوالدين له الرابعة عشر تنبيه على لزوم الحق بما يلزم تبعته
وهو تعديه وتجاوزه الى الباطل من ضيق المذاهب وعاقبة الملك وذلك ان
طريق الحق واضح مأمور باتباعه وقد نصب عليه اعلام الهداية واما طريق
الباطل ففي ضيقه وعسر على سالكيها لما فيها من التحير والخبط وعدم الهداية
الى المصلحة والمنفعة مع كونها ممنوعة تحريه طريق الحق من حاد بها عنه
اخذوا عليه مذهبه وضيقوا مطلبه حتى يعود الى طريق الحق وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه كما في قوله من ترك القصد جار الخامسة عشر تنبيه
على وجوب الاقتصار على قدره وهو مقداره ومحله في خلق الله واقتصاره عليه
مبني على معرفته به وهو ان يعلم الفطرة التي فطر الانسان عليها من طبائع الضعف
والجور والنقص فيعلم انه كذلك فيمنع نفسه حينئذ عن الترفع على ابناء نوعه والا
ستطالة على احد منهم بفضل قوة واعجاب بنفسه جسمانية او نفسانية

ويقتصر على ما دون ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه
من العجز والنقص وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها من اقتصر على قدره
كان اقتصاره ابقى له وذلك ان المتطاول الى ما فوق قدره والمجاوز لقدره في
مظنة ان يهلك لقصد الناس اياه بالمكاره والنكير ولذلك قيل من
جهل قدره قتل نفسه والاقتصار على القدر يستلزم عدم هذه الامور فكان
ابقى على صاحبه واسلم وتقدير الكبرى وكل من كان اقتصاره على قدره
ابقى له فواجب ان يقتصر عليه ٥ السادسة عشر تنبيه على لزوم
سبب بينه وبين الله تعالى وهو كل ما قرب اليه من علم وقول وعمل
ولفظ السبب مستعار لذلك باعتبار ايصاله الى الله والقرب منه
كالحبل الذي يتوصل به الى المقصود وظاهر انه اوثق الاسباب لثباته
دائما ونجاة المتمسك به في الدنيا والاخرة والكلمة صغرى ضمير تقديرها
السبب بينك وبين الله تعالى هو اوثق الاسباب المأخوذ بها وتقدير
الكبرى وكل ما كان كذلك فينبغي ان يتمسك به ونحوه قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها السابعة عشر
تنبيه على مجانبة من لا يبالي به بضمير ذكر صغراه وتقديرها من لا يبالك
وقت حاجتك اليه وقدرته على نفعك فهو عدو لك ولفظ العدو مستعار له
باعتبار عدم المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو فينبغي مجانبته
الثامنة عشر تنبيه على ان الياس من بعض مطالب الدنيا قد يكون سببا
للسلامة من الهلاك وادراك النجاة منه وذلك عندما يكون الطمع في ذلك
المطلوب مستلزما للهلاك كالطمع في نيل ملك ونحوه التاسعة عشر
تنبيه بقوله ليس كل عورة الى قوله رشده على ان من الامور الممكنة والفرص

ما يفعل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه ويهتدي له ويظفر به
الاعمى واستعار لفظ البصير للعاقل الذكي والاعمى للجاهل الغبي وغرض
الكلمة التسلية من الاسف والجزع عما يفوت من المطالب بعد امكانها ه
العشرون امره بتاخير الشر وعدم الاستعجال فيه ونبه فيه عليه
بضمير ذكر صغراه ومعناها انك قادر على تعجيله اي وقت شئت وتقدير
الكبرى وكلما كان كذلك فينبغي ان لا تعجل فيه اذ لا يفوتك ونحوه من الحكمة
قوله ابدا بالحسنة قبل السيئة فلست مستطيع للحسنة في كل وقت وانت
على الاساءة متى شئت قادر الحادية والعشرون نبه على وجوب قطيعة
الجاهل بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل ما يعد صلة العاقل فينبغي
ان تعد قطيعتها وتفعلها وانما كانت تعد لها باعتبار استلزامها للمنفعة
ومنفعة قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة الثانية
والعشرون نبه على وجوب الحذر من الزمان ودوام ملاحظة تغيره والاستعداد
لحوادثه قبل نزولها بالاعمال الصالحة واستعار لفظ الخيانة باعتبار تغيره
عند الغفلة عنه والامن فيه والركون اليه فهو في ذلك كالصديق الخائن والكلمة
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من خان الزمان فينبغي ان يكون منه على حذر وفي
الحكمة من امن الزمان ضيع ثغرا مخوفا الثالثة والعشرون نبه بقوله
من اعظمه اهانه على وجوب ترك العظامة ولم يرد الزمان المجرد بل من حيث
هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها ومعد لطيب العيش بالصحة والشباب
والامن ونحوها وبذلك الاعتبار يكرم ويستعظم فيقال في العرف زمان
طيب وزمان عظيم واما استلزام ذلك لاهانة من يستعظمه لان اعظامه له
يستلزم استنامته اليه واشتغاله بما فيه من اللذات التي يغفل بسبب محبتها

عن الاستعداد لما وراءه ثم ان الزمان يكر عليه بمقتضى طباعه فيعدمه للردى
ما كان يعتد به من كمال او مال او جاه او رجال فيصبح حقيرا بعد ان كان
خطيرا او صغيرا بعد ان كان كبيرا وقليلا بعد كونه كثيرا والكلمة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من اهانه الزمان فيجب ان لا يستهين ولا يعظمه ه
الرابعة والعشرون قوله ليس كل من رمى اصاب وقد سبق بيانه في قوله
ليس كل طالب يصيب واستعار وصف الرمي لقصد المطالب ورميها
بسهام العزائم والارادات الخامسة والعشرون نبه على ان تغير
السلطان في رايه ونيته وفعله في رعيته من العدل الى الجور يستلزم
تغير الزمان عليهم اذ تغير من الاعداد للعدل الى الاعداد للجور ه
وروي ان كسرى انوشروان جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها فقال
اي شيء اضر بارتفاع الاعمال وادعى الى محقه من اتاني بما في نفسي جعلت
هذه الدرة في فيه فقال كل منهم قولا من احباس المطر والجراد واختلاف
الهوا ونحو ذلك فقال للوزير قل انت فاني اظن عقلك يعادل عقول الرعية
كلها او يزيد عليها فقال انما يضر بارتفاعها تغير راي السلطان في رعيته
واضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله ابوك لهذا العقل اهلك الملوك لما
اهلوك له ودفع اليه الدرة فجعلها في فيه السادسة والعشرون
امره بالبحث عن الرفيق في طريق اذا اراد سلوكها الغاية ان يجتنبه ان كان
شريرا ويرافقه ان كان خيرا فان الرفيق اما رحيق او حريق وكذلك عن
الجار في دار يريد سكناها الغاية ان يجاوره او يجتنبها ان كان شريرا
ويرغب فيها ان كان خيرا وروي هذا الكلام مرفوعا السابعة والعشرون
حذره ان يذكر من الكلام ما كان مضحكا سوا كان عن نفسه او عن غيره لما يستلزمه

ذلك من الهوان وقلة الهيبة في نفوس الناس الثامنة والعشرون اوصاه
في معاملة النساء بامور احدها حذره من مشاورتهن ونفره عنه بضمير
صغراه قوله فان رايهن الى افن اي يرجع الى ضعف لنقصان عقولهن
وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يستشار لما ان ضعف
الراي مظنة الخطا الثاني ان يكف عليهن من ابصارهن بحجابه لهن وهو
كناية عن الحجب والخدر ونبه على وجوب ذلك بضمير ايضا صغراه قوله فان
شدة الحجاب ابقى عليهن اي ابقى من التبرج لسترهن وادوم لحفظهن وتقدير
الكبرى وكل ما كان كذلك وجب فعله الثالث نبه على انه لا يجوز
ان يرخص في ادخال من لا يوثق به عليهن والكلام في قوة صغرى ضمير دل به
على ذلك المنع وتقديرها ان ادخال من لا يوثق به عليهن اما مساو لخروجهن
في المفسدة او اشد لانه اذا لم يكن خروجهن اشد منه كان اما مساويا او
اضعف وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يجوز الرخصة فيه وانما
كان اشد في بعض الصور لان دخول من لا يوثق به عليهن امكن لخلوته بهن
والحديث معهن بما يراد من الفساد بخلاف لقائهن في الطرق ونحوها
الرابع امره ان يحسم اسباب المعرفة بينهن وبين غيرهن لكونها مظنة
المفسدة وقرينة الحال يخرج من ذلك غير اولي الاربة من الرجال ولكون ذلك
متعذرا قال ان استطعت ه الخامس نهاه ان يملك المراة من امرها
ما خرج من حد نفسها من ما كول وملبوس ومما يرجع لها التصرف فيه شرعا
من امورها دون ما جاوز ذلك كاعطائها ومنعها وشفاعتها ونحوها ونبه
على علة ذلك بضمير صغراه قوله فان المراة الى قوله بقهرمانة واستعار لها لفظ
الريحانة باعتبار كونها محلا للذة والاستمتاع بها كالريحانة وكنى بكونها ليست

بقهرمانة عن كونها لعالم الخلق لكونها حاكمة مسلطة بل من شانها ان تكون محكوما
عليها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يجاوز بها امر نفسها
ويمكن من امر غيرها السادس من كذلك نهاه ان يعدو بكرامتها نفسها
اي لا يلزمها بكرامة بعد لها صلاح نفسها وهو كقوله ولا تملك المراة من
امرها ما جاوز حد نفسها السابع نهاه ان يطمعها في الشفاعة لغيرها
لان ذلك تجاوز منه بكرامتها حد نفسها وقد سبق تنبيه عن ذلك ه
الثامن نهاه عن التغاير في موضع الغيرة ونبه على وجه المسلك في ذلك
بضمير صغراه قوله فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم وكنى بالصحيحة عن
البريئة من الخيانة وبالسقم عن الفساد والتهمة والشك في امرها وانما كان
كذلك لان المراة حين ترمى بها من الفساد تستقبح ذلك وتستنكره
ويعظم عليها مع استشعارها خوف الفضيحة والعقوبة من الرجل فاذا نسبت
الى ذلك وتكررت المواجهة به وسماعه هان عليها وصار الكلام في ذلك
واللوم فيه في قوة اغرائها بذلك الفعل وقد علمت ان الطباع الحيوانية
من تحيل المتعة في الامر الممنوع منه وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك
لم يجز فعله التاسع والعشرون ان يجعل لكل انسان من خدمه شغلا
يخصه ويأخذه بفعله ويؤاخذه على تركه وذلك من الحكمة المنزلية ونبه عليه
بضمير صغراه قوله فانه الى قوله خدمتك وذلك انهم اذا اشتركوا في
التكاليف بشغل واحد يتوكل به كل واحد منهم فالغالب عليهم ان يكل كل منهم
فعله الى الاخر فيستلزم ذلك ضياعه قال كسرى ابرويز في وصيته لولده
شيرويه وانظر الى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع فوله الجند ومن كان منهم
ذا سرادق قد احسن القيام عليه فوله النفقات والقربة وهكذا فاصنع

في خدمه داركه ولا تجعل امرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك
التاسع والثلثون امره باكرام عشيرته ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم جناحك
الى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح ولفظ اليد باعتبار كونهم محل نهوضه
وقوته على الحركة الى المطالب كالجناح واليد وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك
وجب عليك اكرامه ثم ختم الوصية بوداعه فاستودع الله دينه
ودنياه وساله خير القضا له في عاجلته وآجلته ولفظ الاستيداع مجاز
في طلب الحفظ من الله له وبالله التوفيق

وارديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك والقيتهم
في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم
ونكصوا على اعقابهم وتولوا على ادبارهم وعولوا على احسابهم الا من فاء من
اهل البصاير فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم
على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معوية في نفسك وجاذب الشيطان
قيادك فان الدنيا منقطعة عنك والاخرة قريبة منك والسلم

اقول هذا الكتاب من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفين اما بعد
فان الدنيا دار تجارة وربحها او خسرها الاخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها
الاعمال الصالحة ومن راى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها واني لاعظك مع علمي
بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى اخذ على العلماء ان
يؤدوا الامانة وان ينصحوا الغوي والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجوا
لله وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فان الله بالمرصاد وان دنياك ستدبر
عنك وستعود حسرة عليك فانتبه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء
عمرك فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذي لا يصلح من جانب الا فسد من آخر

ثم يتصل به قوله وقد ادبرت الى آخره والمهيل المتداعي الذي يتبع بعضه
بعضا في التمزق وارديت اهلكت والجيل الصنف وجاروا عدلوا
والوجهة القصد والنكوص الرجوع وعولوا على كذا اعتمدوا عليه وفي
الكتاب مقاصد الاول موعظته وتذكيره بحال الدنيا وكونها دار
تجارة والغاية من التجارة فيها اما ربح الآخرة وذلك بصلاح الاعمال واما
خسران الآخرة بفسادها الثاني تنبيهه على ان من راى الدنيا بعينها اي بعرفها
بحقيقتها ويراها ويعتبرها بالعين التي ينبغي ان يعرف بها وهي عين البصيرة
ويرى بها ما ينبغي ان يرى منها من تغيرها وزوالها وانها خلقت لغيرها
لتقدرها ويجعلها في نظره لما خلقت له الثالث تنبيهه على ان الله تعالى فيه
علما نافذا لا بد من وقوع معلومه اذ ما علم الله تعالى وقوعه وجب وانما
وعظه امتثالا لامر الله ووفاء بعهده على العلماء ان يؤدوا الامانة ويبلغوا
احكامه الى خلقه وينصحوا ضالهم ورشيدهم ولان ذلك الوعظ من معلوماته
تعالى فلا بد منه الرابع امره بتقوى الله ونهاه ان يكون ممن لا يرجوا لله
وقارا اي لا يتوقع لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار هنا الاسم من التوقير
وهو التعظيم وقيل الرجا هنا بمعنى الخوف فيكون مجازا اطلاقا لاسم احد
الضدين على الآخر وان يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب وقوله فان
الله بالمرصاد تنبيه له على اطلاعه عليه وعلمه بما يفعل ليرتدع عن معصيته
الخامس تنبيهه على ادبار الدنيا عنه وعودها حسرة عليه يوم القيمة
عند فقدها لعشقه لها وعدم تكسبه بعض النجاة وعنادها اليها السادس
امره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال على كبر سنه وحال عمره فان تلك الحال
اولى الاحوال بالانتباه منها وتنبيهه على انه غير قابل للاصلاح في ذلك السن

لاستحكام جهله وتمكن الهيئات الرديّة من جوهر نفسه وتمكّنها انه فهو كثوب
خلق ووجه الشبه كونها لا تصلح بالموعظة فلا تزكو بها كما ان الاخلاق
كما لا تصلح الخَلِق من الثياب بالخياطة بل كلما اصلح من جانب تسدّى من جانب
آخر الشايع اخرجه في معرض التوبيخ على ما فعل باهل الشام من خدعته
لهم والقايهم في موج بحره واما تسبّطت عنهم الى الضلالة لان مثل اخداعه لهم
عن دينهم هو جهله بالله وضلاله عن طريقه واستعار لفظ البحر لجواله
وارادته وهمومه في تحصيل الدنيا باعتبار كثرتها وبعد غايتها ولفظ
ولفظ الموج للشبه التي القاها اليهم فيما يريده من الاحوال ووجه المشابهة
اضطرابها ولعبها باذهانهم وكذلك لفظ الظلمات لما حجب ابصار بصايرهم
عن ادراك الحق من الشبهات التي القاها اليهم ووصف الغشيان لطريانهم على قلوبهم
حجابها ومحل تغشاهم نصب على الحال وكذلك استعار وصف التلاطم للعب
الشبهات بعقولهم ملاحظة لشبهها بالموج كما في قوله فجار ولعطف على
القيهم وارادتهم عدلوا عن قصد الحق بسبب ما القاه اليهم من الشبه ورجعوا
عنه وتولوا مدبرين واعتمدوا في فنالهم على احسابهم حمية الجاهلية في الدين
عن اصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذب عنه الا من رجع الى الحق
من اهل العقول والبصاير فانهم حين عرفوا ضلالك فارقوك وهربوا الى الله من
موازرتك فيما تريده من هدم الدين حين حملتهم على الامور الصعبة على الذين
وحملتهم وعدلت بهم الى طرق الضلال وقوله اعقابهم وعلى ادبارهم
ترشيح الاستعارة لفظي النكوص والتولي والاستثناء من الجيل الذين
خدعهم والقاهم في موضع بحره فاتصفوا بالصفات المذكوره ولفظ الصعب
مستعار لما حملهم عليه من الامور المستصعبة في الدين باعتبار ان ركوبها

يستلزم ضلالهم ووقوعهم في مهاوي الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل
الصعب النفور العدول براكبه من القصد وهلاكه ثم ذكّره الامر بتقوى
الله في نفسه وان يجاذب الشيطان قياده ولفظ المجاذبة للممانعة المعقوله
ولفظ القياد لما يقوده به من الاماني الباطلة وكواذب الآمال وتلك الممانعة
بتكذيب النفس الامارة فيما توسوس به من تلك الاراء وقوله
فان الدنيا الى اخره تنبيه له على وجوب قطع الآمال الدنيوية لانقطاع
الدنيا وعلى العمل للآخرة بقربها وهو في قوة صغرى ضمير وتقدير كبرى
الاول وكلما كان منقطعا وجب ان يقطع الامل فيه لانقطاعه ويجاذب
الشيطان في دعوته اليه وتقدير كبرى الثاني وكل ما كان قريبا فينبغي
ان يستعد لوصوله بالعمل له وبالله التوفيق

الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة ۝ اما بعد فان عيني
بالمغرب كتب اليّ يعلمني انه وجه الى الموسم اناس من اهل الشام العمي القلوب
الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق
في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ويشترون عاجلها باجل الابرار
المتقين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على ما في
يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لامامه
واياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا
هو قثم بن العباس بن عبد المطلب ولم يزل العلي
واليا على مكة حتى قتل عليه السلم واستشهد بسمرقند في زمن معوية ۝
وقد كان معوية بعث الى مكة في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة
يدعون الى طاعته ويثبطون العرب عن نصرة علي عليه السلم ويلقون في

أنفسهم أنه إما قاتل لعثمن أو خاذل له وأن الخلافة لا تصلح فيمن قتله أو خذله
وينشرون في مجالس معوية من زعمهم وإطلاقه وسبّهم في الغطا فكتب عليه السلم
هذا الكتاب إليهم ثم ينبّههم على ذلك ليعتمد فيما تقتضيه السياسة وقيل إن الذين
بعثهم هم بعض السرايا التي كان يرسلها ليغير على أعماله ٥ والعين الجاسوس
والموسم الحاج مجمعهم والبطر شدة المرح وكثرة النشاط وحاصل الكتاب
إعلامه بالكتب إليه عينه بالمغرب وأراد بها الشام لأنها من الأقاليم المغربية
وقد كانت له عليه السلم في البلاد عيون يخبرونه بما يتجدد من الأمور عند معوية
ولمعوية عنده كذلك كما جرت عادة الملوك ثم أشار إلى وصف أهل
الشام بأوصاف يستلزم البعد عن الله أحدها شمول الغفلة لهم عما
خلقوا لأجله واستعار لقلوبهم لفظ العمي باعتبار عدم عقليتهم للحق وإدراكهم
لما ينبغي من طرق الآخرة كالعمي ولفظ الصم لأسماعهم والكمه لأبصارهم باعتبار
عدم انتفاعهم من جهة الأسماع بالمواعظ والتذكير ومن جهة الأبصار
بتحصيل العبرة بها من آثار الله سبحانه كالصم والكمه الثاني كونهم يلبسون
الحق بالباطل أي يخلطونه ويموّهونه والمراد أنهم يعلمون كونه على الحق
وكون معوية على الباطل ثم يكتمون ذلك ويغطونه بشبهة قتل عثمن والطلب
بدمه وروي يلبسون الحق بالباطل أي يطلبونه باتباع معوية الباطل الثالث
أنهم يطيعون المخلوق وأراد معوية في معصية الله الرابع كونهم يحلبون
الدنيا درّها واستعار وصف الحلب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب من
مظانه ولفظ الدرّ لمتاعها ملاحظة لشبهها بالناقة ودرّها بدل من الدنيا
وأشار بقوله بالدين إلى أن الدين وإظهار شعاره هو السبب لاجتلابهم درّ الدنيا
وأخذهم لغير ما يستحقونه منها إذ كانت مجانبتهم له عليه السلم كان عمدًا

إنما هي لحدثان الخليفة عثمن رضي الله عنه وإنكار المنكر على من قتله وخذله وبذلك
تألفوا قلوب العرب وتمكنوا من أخذ البلاد الخامس كونهم يشترون عاجل الدنيا
بالآجل للأبرار المتقين من ثواب الآخرة وذلك هو الخسران المبين ولفظ الشراء استعار
كما سبق وقوله إنه لن يفوز إلى قوله فاعله شروع في الوعيد لهم
ثم أمر ابن عباس على ما في يديه من العمل قيام الحازم المتثبت في آرائه الصليب في
طاعة الله الناصح اللبيب له ولرعيته التابع لسلطانه المطيع لإمامه ثم حذره
مما يعتذر منه وهو كل أمر عدّ في الشرع معصية لله وتقصير عن أداء حقه
والكلمة مشهورة وتروى مما تقرعه ثم نهاه عن رذيلتي البطر في النعمة والضعف
والفشل عند الشدة والأولى يستلزم الكبر والعجب وهي من رذائل طرف
الإفراط من فضيلة القوة الغضبية والثانية من رذائل التفريط منها وبالله التوفيق

إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجّده من عزله بالأشتر عن
مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها

وقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في
الجهد ولا ازديادًا لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو
أيسر عليك مؤونة وأعجب إليك ولاية إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر
كان رجلًا لنا ناصحًا وعلى عدونا شديدًا ناقمًا فرحمه الله فلقد استكمل أيامه
ولاقى حمامه ونحن عنه راضون أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له
فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمّر لحرب من حاربك وادع إلى سبيل ربك
وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك ويعنك على ما ينزل بك والسلم ٥

السبب ان محمد بن ابي بكر رحمه الله كان تضعف عن لقاء العدو ولم يكن في
اصحاب علي عليه السلم اقوى باسا في الحرب من الاشتر رحمه الله وكان
معوية بعد وقايع صفين قد تجرد للاغارة على اطراف بلاد المسلمين وكانت
مصر قد جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم علي عليه السلم انها لا تحفظ الا بالاشتر
فكتب له العهد الذي ياتي ذكره ووجهه اليها فبلغه ان محمدا تالم من ذلك ثم ان
الاشتر رحمه الله مات قبل وصوله اليها فكتب عليه السلم الى محمد هذا الكتاب وهو
يؤذن باقراره على عمله واسترضائه وتعريفه وجه عذره في توليه الاشتر
لعمله وانه لم يكن ذلك لموجدة عليه ولا لتقصير منه وقد كان محمد ربيبا
له عليه السلم وامه اسما بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابي طالب
وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له هناك محمد بن جعفر وعبد الله وعونا
فلما قتل جعفر رضي الله عنه تزوجها ابو بكر رضي الله عنه فولدت له محمدا هذا فلما
توفي عنها تزوجها علي عليه السلم فولدت له يحيى والموجدة ما يجده الانسان من
الغضب والضجر له اي ابرز الى الضجر والتام المتكرر فقوله وقد
بلغني الى قوله عملك كالاعتراف له بما يشبه الاساءة في حقه ليرتب عليه
ما يشبه الاعتذار اليه وقوله ولو لم انزعك الى قوله ولا اغلظ لما
يشبه العذر اليه بذكر ما لاجله بعث الاشتر فبين له اولا ان ذلك لم يكن لنسبته
الى تقصير في عمله ولا استبطاء منه له في اجتهاد وطلب الزيادة في الجد ونحو ذلك مما
عساه يتوهمه وثانيا انه لو تم نزعه عما تحت يديه من سلطانه لولاه ما هو خير له
تسكينا لقلبه عن ولايته مصر وثالثا اشار الى وجه بعثه الاشتر وهو كونه
بالاوصاف المذكورة ومحمد وان كان له الامر الاول الا انه في الثاني ضعيف
ثم ترحم عليه في معرض الاعلام بموته ليعلم انه مات وهو عنه راض فلا يشمت

به ثم امره بالاستعداد للعدو والاصحار له لا اشعاره بالقوة واشعار
الاستتار والتحصن بالضعف وان يمضي في محاربته على بصيرته في الحق
وتيقنه له وان يشمر للمحاربة من حاربه والتشمير كناية عن الاستعداد
للحرب وان يدعوا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي
هي احسن وان يكثر الاستعانة بالله فانها تعد لافاضة النصر وكفايته
ما اهمه من امر العدو ومعونته على ما ينزل من الشدايد وبالله التوفيق

الى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن ابي بكر رضي الله عنهما

اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن ابي بكر رحمه الله قد استشهد فعند
الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا
وقد كنت حثثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم
سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا
ومنهم القاعد خاذلا اسال الله ان يجعل لي منهم فرجا عاجلا فوالله لولا
طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت الا
ابقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقي بهم ابدا

احتسب بكذا عند الله طلب منه الحسبة بالكسر وهي الاجر في الرزية
به واستشهد كانه استحضر الى الله بالقتل ومدار الكتاب على اعلامه
بقتل محمد وافتتاح مصر ليشاركه في الهم لعظائم العدو والاستعداد له واعلامه
بحاله مع الناس على سبيل الشكوى منهم واختلافهم عليه وقسمتهم وان كانت
بحسب ما وجد الا انها مع ذلك حاصرة وذلك لان منهم من اجابه ومنهم من لم يجبه
والذين لم يجيبوا منهم من اعتل واعتذر اليه ومنهم من لم يفعل ذلك وهم الخاذلون
له صريحا

ثم ختم الكتاب بالاشارة الى وجه عذره في المقام بينهم على هذه الحال
وهو طمعه في الشهادة في سبيل الله وتوطينه نفسه عند لقاء العدو
على الموت ولولا ذلك لاحب مفارقتهم وبالله التوفيق

في ذكر جيش انفذه الى الاعداء وهو جواب كتبه اليه اخوه عقيل بن ابي طالب
فسرحت اليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا ونكص نادما
فلحقوه في بعض الطريق وقد طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئا كلا ولا
فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم يبق
معه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا فدع عنك قريشا وتركاضهم في الضلال
وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم
على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجزت قريشا عني الجوازي فقد
قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سالت عنه من رايي في
القتال فان رايي قتال المحلين حتى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا القى صح
تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعا متخشعا
ولا مقرا للضيم واهنا ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المتقعد
ولكنه كما قال اخو بني سليم

فان تسأليني كيف انت فانني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب

طفلت الشمس بالتشديد مالت للمغيب وآبت لغة في غابت والجريض
المغموم المهموم الذي يبتلع ريقه على غصة من الهم والحزن والمخنق بالتشديد
هو موضع الخنق بكسر النون والرمق بقية النفس واللأي الشدة والعسر

والاجماع تصميم العزم والجوازي جمع جازية وهي النفوس تجزي بالسيئة
والمحل من نقض البيعة يقال نقض عهده وميثاقه محل ولمن حفظه محرم
والمتقعد الراكب وحاصل الفصل التنبيه على امور الاول قوله
فسرحت الى قوله ما نجا حكاية حال جيشه مع عدو كان قد اغار على
بعض اعماله واقتالهم له حتى افلت منهم على شدة وعسر من الخلاص وعبارته
عليه السلم عن ذلك افصح ما يقال في شرح الحال وهاربا ونادما وجريضا
احوال وكلا ولا كناية عن قصير الزمان عند الشيع سريعا الانقطاع فناسب ما كان
سريعا قصير الزمان من الافعال تشبيها بهما في القصر ونحوه قول ابن
هانئ المغربي وأسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا ولا
ونوى لأي وذا وموقف هنا مصدر اي فما كان ذلك القتال الا كوقوف ساعة
ووجه الشبه السرعة والقلة ولأيا مصدر حذف عامله وما مصدرية
في موضع الرفع بالفاعل والعامل فيه المصدر بيانه عن فعله والتقدير
فلأي لأيا نجاؤه اي عسر وابطأ وقوله بلأي يتدأي لأيا مقرون
بلأي الثاني قوله فدع عنك الى قوله ابن امي كالجواب للكلام ذكر عقيل
فيه قريشا ومن انضم منهم الى معوية فامره عليه السلم بالاضراب عن
ذكرهم على سبيل الغضب منهم والواو في قوله وتركاضهم يحتمل ان يكون بمعنى
مع واستعار لهم وصف التركاض باعتبار جريهم في الضلال عن سبيل
الله وخوضهم في الباطل يسرع اليه من غير توقف كالركض في بسيط
الارض وكذلك لفظ التجوال ولفظ الجماح باعتبار حركاتهم في تيه الجهل
والخروج عن طريق العدل كالفرس الجامح وقوله فانهم الى قوله صلى
الله عليه في قوة صغرى ضمير نبه فيه على انه لا خير فيهم وانه يجب الاعراض

عنهم وتقدير الكبرى وكل امر اجمع على حربي كحرب رسول الله صلى الله عليه
فينبغي تركه والاعراض عنه واما حقيقة الصغرى فظاهره فان قريشا
صممت عزومهم على حربه منذ يوم بويع بغضا له وحسدا واحقادا بدرية
ما اتفقوا على شقاقه وحربه كما كانت حالهم في بدو الاسلام مع رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم لم يفترق الحالان في ذلك وقوله فجزت
قريشا دعا عليهم ان تجازى بمثل فعلهم به من قطيعة الرحم وسلب سلطان
الاسلام وقوله فقد قطعوا كالتعليل لحسن الدعا عليهم واراد بابن
امه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران
عايذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب ولم يقل ابن ابي لان غير ابي طالب
من الاعمام يشركه في النسب الى عبد المطلب الثالث قوله واما
ما سالت عنه الى آخره فهو تقرير لسواله والجواب عنه وفيه تنبيه على
فضيلته من وجوه الاول قوته في الدين على ما اطلع دمه الله ونقض
عهده الثاني شجاعته التي لا يزيده معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم
عنه وحشة ولا يوجد معها تضرعا ولا تخشعا الى غير ذلك من الرذايل التي
عددها ولكنه معها كالقايل للشعر وهو منسوب الى العباس بن مرداس السلمي
وهو تمثيل وقد سبق معنى التمثيل وبالله التوفيق ۝

الى معوية فسبحان الله ما اشد لزومك
للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقايق واطراح الوثايق
التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك الحجاج في عثمن وقتلته
فانك انما نصرت عثمن حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له
اول هذا الكتاب اما بعد فان الدنيا حلوة خضرة ذات زينة

وبهجة لم يصب اليها احد الا شغلته بزينتها عما هو انفع له منها وبالآخرة
امرنا وعليها حثنا فدع يا معوية ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذي اليه
مصيرك والحساب الذي اليه عاقبتك واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا
حال بينه وبين ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شرا اغراه
بالدنيا وانساه الآخرة وبسط امله وعاقه عما فيه صلاحه وقد وصلني
كتابك فوجدتك ترمي في غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط
في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ باضعف شبهة
فاما سوالك الي المتاركة والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا ذلك اليوم
لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكها فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه
وعزل عثمن من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح
الامة ما قد كان ظهر لمن كان قبله او خفي عنهم عيبه والامر يحدث بعده
الامر ولكل وال راي واجتهاد ثم شرع بقوله فسبحان الله الى آخره والفصل
يشتمل على امرين احدهما التعجب من شدة لزومه الاهواء التي ابتدعها والحيرة
فيها عن قصد الحق اذ كان في كل وقت يهوي شبهة ويبتدع رايا يغوي به
الصحابة ويصدهم عنه عليه السلم فيقول تارة انه قتل عثمن وتارة انه خذله
وتارة انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة يصرفهم عنه بالعطاء
وتفريق بيت المال بحسب هواه دون اذن شرعي وتارة يغريهم بطلبه
للامامة ويطلب اليه الاقرار على الشام الى غير ذلك مما يبتدعه في الدين
من الاباطيل ويتبع الحيرة فيها مع تضييعه لحقايق الامور التي يعتقدها
ويعمل عليها كاعتقاده كونه عليه السلم الحق بهذا الامر واطراح لوثايق الله وعهوده
المطلوبة المرضية له وهي على عباده حجة يوم القيمة كما قال تعالى واذ اخذ ربك من
بني ادم الآية ۝

الثاني جوابه عن خطابه في امر عثمن وفخره بنصرته وتبكيته له على الله
بخذلانه اياه وقوله فانك الى اخره في قوة صغرى ضمير وبيانها ان معوية
لما استصرخه عثمن شاق عنه وهون ذلك بعلة حتى اخذ الشد به الجهد بعث
يزيد بن اسد القسري وقال له اذا اتيت ذا خشب فاقم بها ولا تقل الشاهد
يرى ما لا يرى الغايب فاني انا الشاهد وانت الغايب قال فاقام بها حتى قتل عثمن
فاستقدمه بجنده معوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان معه فكان نصرته له
حيث بعث لنصرته انما كان على وجه التحذير والتقاعد عنه ليقتل فيدعوهم الى
نفسه وكان ذلك النصر في الحقيقة لمعوية وكان خذلانه له حيث كان محتاجا
الى النصر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يفخر بنصرته وينسب
غيره الى الخذلان وبالله التوفيق

الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله   من عبد الله علي
امير المومنين الى القوم الذين عصوا الله تعالى حين عصي في ارضه وذهب بحقه
فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف
يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه   اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد
الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروع اشد على الفجار
من حريق النار وهو مالك بن الحرث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما
طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فان
امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم
ولا يوخر ولا يقدم الا عن امري وقد اثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة
شكيمته على عدوكم   السرادق البيت من القطن
والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد السيف ونبا السيف عن الضريبة اذا لم

يقطعها والاحجام التاخر وفلان شديد الشكيمة اذا كان ابيا قوي
النفس واصل الشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفاس
والكتاب مرتب على امور الاول قوله من علي الى قوله يتناهى
عنه صورة عنوان وصف اهل مصر بكونهم عصوا الله حين عصي في ارضه
ايما الى انكارهم للاحداث التي نسبت الى عثمن حتى كان ذلك سببا لمسيرهم
الى المدينة فان قلت فلم قال ذلك مع ان كثيرا من قاتل عثمن اذ ذاك مذحج فالمه بذلك
قلت لا يلزم ذلك الحمد ان يكون منهم انما كان للمنكر عليه دون من
قتله وانكارهم للمنكر حسنة مدح واما قاتلوه والذين تسوروا داره فكانوا
قوما قليلين ولعله لم يكن فيهم من اهل مصر الا النادر وليس في كلامه ما يقتضي
مدح اولئك واستعار لفظ السرادق لما عم من الجور البر والفاجر والمقيم
والمسافر كالسرادق والجامع لاهله الثاني قوله اما بعد الى قوله الضريبة
مدح صدر الكتاب اعلمهم فيه ببعث الاشتر اجمالا ووصفه باوصاف
تستلزم رغبتهم فيه وكني بعدم نومه ايام الخوف عن علو همته وتعلقها
حين الخوف بتدبير الحرب والاستعداد للقاء العدو وبكونه لا ينكل عن
الاعداء ساعات الفزع عن شجاعته وشدة باسه ولما كونه اشد على الفجار
من حريق النار فهو وصف صادق لانه ما كان يبقى على فاجر اذا ظفر به
لقوته في دين الله وكان طمع الفاجر في الخلاص من حريق لو وقع به اقوى
من طمعه في الخلاص من يده وبعد تعديد اوصافه الجميلة ذكر اسمه
هو ابلغ لان الغرض الاهم وصفه ومذحج بفتح الميم المسجد ابو قبيلة من اليمن
وهو مذحج بن جابر بن مالك بن مليان بن سبا والنخع قبيلة من هذه القبيلة
والاشتر نخعي الثالث امرهم بالمقصود وهو السمع له والطاعة لاوامره

مطلقا بل فيما طابق الحق ووافقه من اوامره واشار الى حسن امتثال امره
بقوله فانه سيف الى قوله الضريبة وهو صغرى ضمير واستعار لفظ
السيف له باعتبار كونه مبدا لهلاك العدو وقتاله به كالسيف ورشح بذكر
الظبه وكنى بكونه غير كليلها وغير نابي الضريبة عن كونه ماضيا
في الحوادث غير واقف ولا راجع عنها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
وجب امتثال امره فيما يشير به من الحرب وغيره الرابع امرهم ان يوافقوا
امره في نفارهم وعدم نفارهم ونبه على حسن ذلك بضمير صغراه قوله
فانه الى قوله امري فاذا ان كل ما يامرهم به فهو على وفق المصلحة اذ كان
من امره عليه السلم والقوانين الكلية التي علمه اياها انما هي من اعلامهم حاجة
اليه في الراي والتدبير وغيره في معترض الامتنان عليهم بذلك واشار الى
علة اشارته لهم به وهو كونه ناصحا لهم قوي النفس شديد الوطاة على عدوهم
وكنى بشدة شكيمته عن كونه لا يلويه عن مقاومة العدو شي والذي
اشار اليه هو وجه المصلحة من جهتهم فاما من جهته فهو استقامة الامر له وصلاح
حالهم وبالله التوفيق

الى عمرو بن العاص فانك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر
غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت
اثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى
اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك واخرتك ولو بالحق اخذت ادركت
ما طلبت فان يمكن الله منك ومن ابن ابي سفين اجزكما بما قدمتما وان تعجزا
وتبقيا فالذي امامكما شر لكما مدار الكتاب على
توبيخه بمتابعة معويه في باطله وتنفيره عما هو عليه من ذلك ووعيده عليه السلم

لهما عليه بقوله فانك قد جعلت الى قوله امرئ اشارة الى متابعته
لمعويه في مظاهرته على حربه عليه السلم وبيعه لدينه في ذلك بطعمة مصر
وذمه باوصاف اربعة للتنفير عنه احدها كونه ظاهرا غيه وضلال
معويه اوضح من ان يوضح الثاني كونه مهتوكا ستره ومن المشهور
عنه انه كان هاتكا لستر دين الله عنه فانه كان كثير الخلاعة والهزل
صاحب سمار وجلساء لهو ومتاع وشرب وسماع وقد كان يستتر بذلك
في زمن عمر خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في انية
الذهب والفضة واما في ايام عثمن فكان شديد التهتك واما فارق
الوقار حيث خرج على علي عليه السلم لحاجته الى استغواء الناس ممن هو بطاهر
الدين الثالث كونه يشين الكريم بمجلسه وذلك ان الكريم يضبط نفسه
ويتنزه عما يشين العرض من الرذايل وقد كان مجلس معويه مشحونا
بني امية ورذايلهم ومجالسة الكريم لهم تستلزم نسبته اليهم والحاقه
بهم وذلك مما يشين عرضه ويقبح ذكره الرابع كونه يسفه الحليم
بخلطته وذلك انه كان دابه هو وبنو امية شتم بني هاشم وقذفهم والتعرض
بذكر الاسلام والطعن عليه وان اظهروا الانتماء اليه وذلك مما يستفز الحليم
ويسفه رايه في الثبات عند مخالطتهم وسماعه منهم واتباعه لاثره كناية عن
موافقته له فيما يفعله واقتدايه به فيه وشبه اتباعه له باتباع الكلب للاسد
ووجه الشبه قوله يلوذ الى قوله فريسته ومثل هذا التشبيه بالغ في التنفير
لعمرو لو كان له كرم وقوله فاذهبت واما ذهاب دنياه فان اذهابها
ما كان يعيش به من الرزق الحلال والعطاء الحق من الامام العادل على الله
به وطيب نفس وامن من الحروب التي لقيها بصفين والاهوال التي شاهدها في

مواقعه بلغوبه وقوله ولو اخذت الى قوله طلبت حزب الله الى لزوم
ترغيبه فيه بذكر لازمه وهو ادراك ما طلبت من دنيا واخرى وقوله
فان يمكن الله الى آخره وعيد بعذاب واقع اما منه على تقدير تمكينه
من ذلك او من الله في الآخرة لعذاب اشد لقوله تعالى ولعذاب الآخرة اشد
وابقى واستعار لفظ الايام للآخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجهها
نحوها طبعا وبالله التوفيق

الى بعض عماله اما بعد فقد بلغني عنك امر ان كنت فعلته
فقد اسخطت ربك وعصيت امامك واخزيت امانتك بلغني انك جردت
الارض فاخذت ما تحت قدميك واكلت ما تحت يديك فارفع الي
حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس
الخزي الهوان وجردت الارض قشرتها فقوله بلغني الى قوله
يديك بيان لما بلغه عنه من الخيانة اجمالا وانما ذكره اولا مجملا ليستعد
النفس للرهبة ان كان الامر مرهوبا او للرغبة ان كان مرغوبا وكنى بجرد الارض
عن اخرابه لها واخذ ما تحت قدميه عن اخذ حاصلها وارتفاعها وكذلك باكل
ما تحت يديه عن تصرفه فيما في يديه من مال المسلمين واستخلاصه لنفسه ثم
امره ان يرفع حسابه اليه لينظر في صدقه وما قيل في حقه وكذبه ونبهه
على انه لا ينبغي ان يخون مال الله بضمير صغراه قوله واعلم الى آخره وتقدير
الكبرى وكل حساب هو اعظم من حساب الناس ينبغي ان يجتنب باداء الامانة
خوفا من تعلقه وبالله التوفيق

الى بعض عماله اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك
شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء
الامانة الي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب
وامانة الناس قد خربت وهذه الامة قد فتكت وشغرت قلبت لابن
عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين فلا ابن عمك
آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم
تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم
وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة
وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم
وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب
الصدر بحمله غير متأثم من اخذه لا اب حدرت على اهلك تراثك من ابيك
وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد اما تخاف من نقاش الحساب ايها
المعدود كان عندنا من ذوي الالباب كيف تسيغ طعاما وشرابا وانت
تعلم انك تاكل حراما وتبتاع الاماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين
والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه
البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم
امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت
به احدا الا دخل النار ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت
ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وازيح
الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم لي
حلال اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكانك قد بلغت المدى
ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة
ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص

المشهور ان هذا الكتاب الى عبد الله بن عباس حين كان واليا له عليه السلم
على البصرة والفاظ الكتاب تنبه على ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن
وقوله فلا ابن عمك آسيت وكذلك ما روي ان ابن عباس كتب اليه جوابا
عن هذا الكتاب اما بعد فقد اتاني كتابك تعظم فيه ما اصبت من بيت مال
البصرة ولعمري ان حقي في بيت المال لاكثر مما اخذت والسلم فكتب عليه السلم
جواب ذلك اليه اما بعد فان من العجب ان تزين لك نفسك ان لك في بيت
المال من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاءك
ما لا يكون ينجيك من المأثم ويحل لك المحارم انك لانت المهتدي السعيد اذن وقد بلغني
انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكة والمدينة
والطايف تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى
رشدك وتب الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم فعما قليل تفارق من
الفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الارض غير ممهد ولا موسد قد
فارقت الاحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب غنيا عما خلفت فقيرا
الى ما قدمت والسلم وانكر قوم ذلك فقالوا ان عبد الله بن عباس لم يفارق
عليا قط ولا يجوز ان يقال في حقه ما قال القطب الراوندي رحمه الله يكون
المكتوب اليه هو عبيد الله بن عباس لا عبد الله قال وحمله على ذلك اشبه وهو به
اليق واعلم ان هذين القولين لا مستند لهما اما الاول فهو مجرد استبعاد
ان يفعل ابن عباس ما نسب اليه ومعلوم ان ابن عباس لم يكن معصوما وعلي
عليه السلم لم يكن ليراقب في الحق احدا ولو كان اعز اولاده كالحسن والحسين
عليهما السلم في ذلك فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون الغلظة على الاقرباء في هذا
الامر اشد ثم ان غلظته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته اياه لانه عليه السلم

اذا فعل احد من اصحابه ما يستحق به المواخذة اخذه به سواء كان عزيزا
او ذليلا قريبا منه او بعيدا استوفى حق الله منه او تاب اليه
ثم فعل عاد في حقه الى ما كان عليه كما قال العزيز عندي ذليل حتى اخذ الحق
منه فلا يلزم اذن من غلظته على ابن عباس ومقابلته اياه بما يكره مفارقته
له وشقاقه على ما بينهما من المحبة الوكيدة والقرابة واما القول الثاني
فان عبيد الله كان عاملا له عليه السلم باليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك ولنرجع
الى المتن فنقول الشعار ما يلي الجسد من الثياب وبطانة الرجل
خاصته وكلب الزمان شدته وحرب العدو اشتد غضبه والفتك القتل
على غرة وشغرت تفرقت والمجن الترس والازل الخفيف الوركين والهوادة
المصالحة والمصانعة وضح رويدا كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة واصلها
الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسيرا فلا يشبعها فيقال له ضح
رويدا والمناص المهرب والمخلص والنوص الهرب والتخلص وفي الكتاب
مقاصد الاول انه ذكره باحسانه اليه في معرض الامتنان عليه من
وجوه الاول اشراكه اياه في امانته التي ايتمنه الله عليها وهي ولاية امر الرعية
والقيام باصلاح امورهم في معاشهم ومعادهم الثاني جعله بطانته وملازميه
واستعار له بذلك الاعتبار لفظ الشعار لملازمته ومباشرته الجسد الثالث
كونه اوثق اهله في نفسه واذناهم منه لمواساته وموازرته واداء الامانة
اليه المقصود الثاني انه بعد تذكيره باحسانه اليه ذكر مقابلته
لذلك بالاساءة اليه في مفارقته اياه وخذلانه له وخيانته لما تحت يديه
من الامانة عند رؤيته شدة الزمان عليه وقيام العدو في حربه وتفرق
كلمة الامة عن الحق لسيانه فقابل احسانه اليه بالكفران ليحسن ذمه على ذلك

وتوبيخه بيذقته وبوتخه واراد مفارقته له في الطريق ولزوم حد الامانه
وقوله فلبث لابن عمك ظفر الجرب يضرب مثلا لمن يكون مع اخيه فيتغير
عليه ويصير خصما له واصله ان الرجل اذا كان سلما لاخيه يكون ظفر
ترسه اليه فاذا فارقه وصار حربا له يقلب له ظفر ترسه ليدفع به عن
نفسه ما يلقاه من شره فجعل ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقه
وضربه مثلا لمن فعل ذلك الثالث الجزء في تعنيفه وتوبيخه وحكايه
حاله في خيانته في معرض التوبيخ وذلك قوله فلا ابن عمك الي قوله هذه
البلاد وشبهه بمن لم يرد الله بجهاده بل الدنيا ومن لم يكن على بينه من
ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه الشبه مشاركته لطالبي عرض
الله والجاهلين به في طلب غيره والاعراض عنه ولذلك شبهه بمن له غرض
من عبادته الا خدع المسلمين عن دنياهم واشار الي وجه الشبه فلما
امكنتنا الشده الي قوله الكيسه اي كما ان غرض الذي يخدع غيره عن شيء
ان يترصد الفرص في اخذه وينتهزها اذا وجدها فكذلك انت في اسراعك بالوثوب
على الخيانه وشبه اختطافه لما اخذ من المال باختطاف الذيب الازل
لان خفة الوركين تعينه على سرعة الوثبه والاختطاف وداميه المعزي
الكسره لانها امكن للاختطاف لعدم المانع ثم اخبر في معرض التوبيخ
انه حمله الي وطنه مكه ولكن بكونه رحيب الصدر بما اخذ عن سروره وفرحه
به او عن كثره ما حمل منه لان من العاده اذا اراد الانسان حمل شيء في
صدره فتح مذرعه وباعه وحوي منه ما امكنه حمله ونصب تحسره وعبر على
الحال واضافه رحيب في تقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ والتقريع
في حمله من حمل تراثه الي اهله من والديه واستفهم على سبيل التعجب من حاله

والانكار عليه عن امرين احدهما عن امانته بالمعاد وخوفه من مناقشة الله
في الحساب تذكر اليه بذلك وتنبيهه على انه كان معدودا في نظره من ذوي
العقول وادخله في خبر كان تشبيها له على انه لم يبق عنده كذلك الثاني
عن كيفية اساغته للشراب والطعام مع علمه ان ما ياكله ويشربه ويتبجح
به من هذا المال حرام لكونه مال المسلمين اليتامي منهم والمساكين والمجاهدين افا
الله عليهم لتحرير عباده وبلاده استفهام انكار عليه وتقريع له بذكر معصيته
لله المقصود الرابع امره بعد التوبيخ الطويل بتقوى الله ورد اموال
المسلمين عليهم وتوعده ان لم يفعل ثم امكن الله منه ان يعذر الى الله فيه اي
يبلغ اليه بالعذر فيه وبسله وذكر الضرب بالسيف المخصوص بالصفه
المذكوره اغلظ في الوعيد وابلغ في الزجر والمقصود الخامس اقسم ان
ولديه على قربهما منه وكرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانه لم يراقبهما
في ذلك حتى ياخذ الحق منهما ويزيح الباطل عن مظلمتهما اي محل ظلمهما من مال او
غيره ومراده ان غيرهم بطريق الاولى لعدم المراقبه له ثم اقسم القسم
البار انه ما يسره ان يكون ما اخذه ابن عباس من اموال المسلمين حلالا له يخلفه
ميراثا لمن بعده لما علمه ان جمع المال وادخاره سبب للعذاب في الاخره
كما قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضه الايه وقسيم الاول كالعذر
له في شدة انكاره عليه والثاني لتحقير ما اخذه وبيان انه لو كان اخذه على
وجه حلال فلا يصلح للقنيه فكيف به وهو حرام وذلك ليتركه ويخرج عنه
الي اهله السادس امره بالامهال على سبيل التهديد بقرب الوصول الي
الغايه التي هي الموت والدفن وعرض اعماله عليه بالمحل الذي ينادي فيه الظالم
بالحسره ويتمنى فيه مضيعو امر الله والعمل الصالح الرجعه الي الدنيا حين لا

تخلص لهم مما هم فيه وذلك المحل هو عرصة القيمة وذكر البدا بالجنة حتى لا
رجعة لبيان كذا للتخويف والتهديد ببعداد الامور المتغرم واما قوله ولات
حين مناص فانهم يشبهون لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل ولا يستعمل لات
الا مع حين وقد جاءت حين مرفوعة بانها اسم لات وقيل ان التا زايدة كهي في ثمت
وربت وقد مر ذلك قبل

الى عمر بن ابي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله
واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه

اما بعد فاني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا
ذم لك ولا تثريب عليك فلقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير
ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام
واحببت ان تشهد معي فانك ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود
الدين ان شا الله   عمر هذا ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
واما النعمان بن عجلان فمن سادات الانصار ثم من بني زريق والتثريب
التعنيف واستقصاء اللوم والظنين المتهم واستظهرت بفلان اتخذته
ظهيرا او مدار الكتاب على اعلام عمر بن ابي سلمة بانفاذ النعمن عوضا عنه ثم
اعلامه بان ذلك لم يكن عن ذنب صدر منه يستحق به الذم والعزل وانه
شاكر له بكونه احسن ولايته وادى امانته ثم اعلامه بغرضه من عزله
واستدعايه وهو الاستعانة به على عدوه كل ذلك ليطمين قلبه ويفارق
الولاية عن طيب نفس ويتبعه على وجه رغبته في حضوره معه بقوله فانك
الى آخره وهو في قوة صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من استظهر به على

العدو واقامة عمود الدين فواجب ان يرغب في حضوره وان يشهد معي
ولفظ العمود مستعار لاصوله التي تحفظها وقيامها بقوم كالعمود للبيت
وبالله التوفيق

الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خره

بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك
تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم
فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة وبرا النسمة لين كان ذلك حقا
لتجدن بك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح
دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالا الا وان حق من قبلك
وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سوا يردون عندي عليه ويصدرون عنه
والسلام   اعتامك اختارك من بين الناس وقد اعلمه
بما بلغه من الامر الصادر عنه اجمالا ليتنبه له واشعره انه امر مكروه
بما يلزمه وهو اسخاط الهه واغضاب امامه ونبه بقوله ان كنت فعلته على عدم
تحققه لذلك ثم بين له ذلك الامر وهو عطاوه مال المسلمين لمن اختاره رئيسا
من اعراب قومه ووصف ذلك الفيء بكونه حازته رماحهم وخيولهم وعليه اريقت
دماؤهم ليتاكد في النفوس ويتبين وجه استحقاقهم له ثم بعد ذلك بتاكد قبح
قسمته في غيرهم ثم اقسم قسمة المتغالي في معرض الوعيد ان كان ذلك منه حقا
ان يلحقه به هوان وحقارة عنده ويخف وزنه في اعتباره وكنى به عن صغر
منزلته ومن ان انتصب على التمييز ثم نهاه عن استهانته بحق ربه وعن اصلاح
دنياه بفساد دينه تنبيها على عظم الله ووجوب المحافظة على دينه وطاعته
ونبهه على ما يلزم من دخوله في جملة الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم نبّه على قبح ما فعل من تخصيص قومه
بذلك المال بقوله الى قوله سواء وهو في قوة صغرى ضمير وقوله
يردون اليه ويصدرون عنه تاكيد لتساويهم في الاستحقاق وانه لهم كالشريعة
المشتركة وتقدير الكبرى وكل حق يكون سواء بين المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به
وقد ذكرنا حال مصقلة من قبل وبالله التوفيق ٥

الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه
وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره فانما
هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته
ويستلب غرته وقد كان من ابي سفين في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث
النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث
والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب ٥ قال السيد فلما قرا زياد
الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم يزل في نفسه حتى ادعاه معوية ٥
قوله عليه السلم كالواغل المدفع الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب
معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب
من قعب او قدح او ما اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل
سيره ٥ زياد هذا دعي ابي سفين ويقال زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن
فلان الثقفي والاكثرون على انه كان عبدا وانه بقي الى ايام زياد فابتاعه واعتقه
واما ادعاء ابي سفين له فيروى انه تكلم يوما بحضرة عمر فاعجب الحاضرين كلامه
فقال عمرو بن العاص لله ابوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفين
اما والله انه لقرشي ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله

وضعته في رحم امه قال فهلا تستلحقه قال اخاف هذا العير الجالس
ان يخرق علي اهابي يعني عمر ولما ولي علي عليه السلم الخلافة ولى زيادا فارس
فضبطها ضبطا صالحا وحماها وكتب اليه معوية يخدعه باستلحاقه لحاله
من امير المؤمنين معوية بن ابي سفين اما بعد فان المرء ما طرحه الهوى في مطارح
العطب وانك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء
ظنك بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي وقطعت رحمي وبتّ نسبي وحرمتي
كانك لست اخي وليس صخر بن حرب اباك وابي وشتان بيني وبينك اطلب بدم ابن
ابي العاص وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء فكنت كتاركة
بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحا وقد رايت ان اعطف عليك
ولا اواخذك بسوء سعيك وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك فاعلم ابا
المغيرة انك لو خضت البحر في طاعة القوم تضرب بالسيف حتى ينقطع
متنه لما ازددت منهم الا بعدا فان بني عبد شمس ابغض الى بني هاشم من الشفرة
الى الثور الصريع وقد اودع للذبح فارجع رحمك الله الى اصلك واتصل بقومك
ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمري ما فعل
ذلك بك الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة من امرك ووضوح
من حجتك فان احببت جانبي ووثقت بي فامرة بامرة وان كرهت جانبي
ولم تثق بقولي ففعل جميل لا علي ولا لي والسلم وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة
اليه فكان ذلك سبب قيامه على الحسن بعد علي عليهما السلم وانصافه الى معوية
ولما بلغ عليا عليه السلم ذلك كتب اليه اما بعد فاني وليتك ما وليتك وانا اراك
لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى اخر الكتاب ولنرجع الى المتن فنقول
غرب السيف حده والاستفلال طلب الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على

اعلامه بما علمه من كتاب معوية اليه ثم نبّه على قصده من ذلك الكتاب وهو
ان يستنزل عقله ويستغفله عمّا هو عليه من الراي الصحيح في نصرة الحق ورايه
له عليه السلم ويكسر حدّته في ذلك واستعار لفظ الغرب لحدّة عقله ورايه ولفظ
الاستفلال للطلب فيه عن ذلك الراي الصالح ملاحظة لشبهه بالسيف ثم
حذّره عنه بقوله فانما هو الشيطان باعتبار وسوسته وصدّه عن الحق
على وجه الشبه بقوله ياتي الانسان الى قوله شماله وهو كقوله تعالى
ثم لآتينّهم من بين ايديهم الى قوله شمائلهم اي انه ياتي الانسان من كل جهة كما
ياتي الانسان الشيطان وحصر الجهات الاربع لانها الجهات التي يعتاد الاتيان
منها وقال بعض المفسرين من بين ايديهم نثبطهم في العفو ونغريهم بالعصيان
ومن خلفهم نذكّرهم مخلفيهم ونحسّن لهم جمع المال وتركه لهم وعن ايمانهم
نحسّن لهم الرياسة والثنا وعن شمائلهم نحبّب اليهم اللهو واللذات ٥ وعن
شقيق قال ما من صباح الا ويقعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي
فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
واما من خلفي فيخوّفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من جهة الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين
واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ٥
ثم نبّه على جهة فساد حيلة معوية وذلك ان معوية انما اراد استغفاله
باستلحاقه اياه اخا فنبّهه عليه السلم على ان ذلك الاستلحاق انما يتم بصحة استلحاق
ابي سفين له ابنا ولم تصح تلك الدعوى وانما كان من قوله انه كان كذا وكذا فلتة عن حديث
النفس ووقع منه من غير تثبت ولا روية واقرارا بالزنا في قوله وضعته في رحم
امه وذلك نزغة من نزغات الشيطان ألقاها على لسانه فلا يثبت بها نسب ولا

يستحق بها ارث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر
ثم شبّه المتعلق في نسبه بهذه الدعوة بالواغل المدفع ووجه الشبه كونه
ابدا مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه الشبه اضطرابه وعدم لحوقه
بنسب معين واستقراره كما يضطرب النوط ولا يستقر وبالله التوفيق

الى عثمن بن حنيف الانصاري وكان عامله على البصرة
وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها

اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلا من فتيان اهل البصرة دعاك الى مأدبة
فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما ظننت انك تجيب
الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا
المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه الا
وان لكل ماموم اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى
من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن
اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا
ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى قد كانت في
ايدينا فدك من كل ما اظلته السما فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها
نفوس آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في
غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها
واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم
وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على
جوانب المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح

ويسابحني هذا القدر ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة
ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا
وحولي بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما قال القايل

وحسبك داء ان تبيت ببطنة ... وحولك اكباد تحن الى القد

أأقنع من نفسي بان يقال امير المومنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم في
جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها
او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى
او اهمل عابثا او اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق المتاهة وكاني بقائلكم يقول
اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة
الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة ارق جلودا والنابتات
العذية اقوى وقودا وابطا خمودا وانا من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
كالضوء من الضوء والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت
عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض
من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد
اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلت من
حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القوم الذين غررتهم بمداعبك
اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك فها هم رهاين القبور ومضامين اللحود
والله لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله في عباد
غررتهم بالاماني وامم القيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد
البلا اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن
ازور عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم

حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس
لك فتقوديني وايم الله يمينا استثني فيها بمشية الله تعالى لاروضن
نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح
مادوما ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها اتمتلئ السائمة
من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض وياكل علي من زاده
فيهجع قرت اذن عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة
والسائمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بوسها
وهجرت في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت
كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم
وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم

المادبة بالضم الطعام يدعى اليه والعائل الفقير والقضم الاكل باطراف الفم وطمر
الثوب الخلق وما اوفر المال الكثير والمدرة المرة وفدك اسم قرية كانت لرسول
الله صلى الله عليه واله وسلم والجدث القبر واضغطها ضيقها والقمح الحنطة
والنسائج جمع نسيجة بمعنى منسوجة والجشع اشد الحرص على الطعام والمبطان
عظيم البطن لكثرة الاكل وغرثى جائعة والبطنة وهي الامتلاء من الطعام والتقمم
تتبع القمامة وهي الكناسة ويكترش يملا كرشها والسدى الملقى المهمل والروائع
الاشجار التي تروع بنضارتها والعذية التي لا يسقيها الا ماء المطر والركوس
المردود مقلوبا كالمنكوس والمداحض المزالق وازور اخذ جانبا واعزبي ابعدي
يقال عزب الرجل بالفتح اذا ابعد وسلس الرجل يسلس بكسر اللام في المستقبل
سهل قياده والرياضة التاديب والتعويد والربيضة الجماعة الرابضة
من الغنم وتجافت اي نبت وارتفعت والهمهمة الصوت الخفي وفي الكتاب

مقاصد الاول اشار الى ما يريد عتابه عليه وهو اجابته الى المأدبة سرعا
مستطابا له الالوان وتنقل اليه الجفان واعلمه انه بلغه ذلك مغريا له
ليحسن توبيخه عليه وذلك في قوله اما بعد الى قوله الجفان الثاني اشار
على وجه المعاتبة الى تخطيته في ذلك بقوله وما ظننت انك تجيب الى كذا
اي كان ظني بك من الورع انك تتنزه وتنسك عن الاجابة الى طعام قوم لا يلتفتون
الى فقرائهم ويقصرون الدعوة بالكرامة على اغنيائهم وامرائهم ووجه
الخطا في اجابة داعيها ولان تخصيصهم الاغنيا دون الفقرا بالكرامة والدعوة
دليل واضح على انهم يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى
ومن كان كذلك فاجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله وذلك خطا كبير خصوصا
من امور الدين المتمكن من انكار المنكرات الثالث امره ان يحترز فيما يتفق له
ان يقع فيه من ذلك بالنظر الى ما يحضره من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام
ولم يتحقق حلاله فليتركه وما تيقن حله وطيب وجه اكتسابه براءته عن
الشبهة فينال منه وكنى عنه بالقضم تحقيرا له وتقليلا ويفهم منه تجنب
التاديب الاول ان التنزه عن هذا المباح افضل له من تناوله الرابع نبهه
بعد ذلك بقوله الا وان لكل ماموم اماما على ان له اماما يجب ان يقتدي به وهو
تمثيل في قوة قياس كامل حذفت صغراه فاصل التمثيل مطلق الامام والماموم
وعلة كونهما اماما وماموما وفرعه هو عليه السلم وعامله وحكمه وجوب الاقتدا
وتقدير القياس انك ماموم وكل ماموم لامام فيجب عليه ان يقتدي بامامه ينتج
انه يجب عليك ان تقتدي بامامك وتستضيء بنور علمه الخامس اردف ذلك
بالتنبيه على ما يجب ان يقتدي به فيه من حاله في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها
بما يستر بدنه من طمريه ومن مطعومها ما يسد به فورة جوعه من قرصيه

غير ملتفت فيما لبسه الى زينته فان طمريه كانا يحوق عمامته ومدرعته وقد
استحيا من راقعها ولا مكترث فيما طعمه بلذة وطيب فان قرصيه كانا
من شعير غير منخول واحد بالغداة وواحد بالعشي السادس تمم اجابة
على رياضته بانك لا تستطيع لهم فانما قوة متوغلة باستعداد لم يصلوا
اليه ثم امرهم اذا كانت الحال كذلك ان يعينوه في معونته على انفسهم
ورياضتها بالورع واراد به هنا الكف عن المحارم ثم بالاجتهاد في الطاعة ويحتمل
ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة ثم الاجتهاد فيها السابع ردف بالقسم البار
على رد ما عساه يعرض لبعض الاذهان الفاسدة في حقه عليه السلم ان زهده في
الدنيا مشوب برياء وسمعة وان وراه محبتها وجمعها وادخارها خصوصا
وهو امام الوقت وخليفة الارض بعدد انواع ما اتاه الله على المسلمين منها
ثم اقسم انه لم ياخذ منه الا قوته وشبهه في القلة والحقارة بقوت الاتان
الدبرة وخصها لان ضعفها بالدبر وشغلها بالمه يقلل قوتها ثم بالغ في
وصف حقارة دنياه عنده فاخبر انها في نظره واعتباره اهون من عفصة مرة
وظاهر ان من كان كذلك كيف يتصور محبته وعلة لها الثامن انه لما
كان فيما اقسم عليه من الدنيا ولا حرث من ارضها شبرا استثنى من ذلك
فدك بقوله بلى كانت لنا فدك من كل ما اظلته السما وذكرها في معرض حكاية
حاله وحال القوم معه على سبيل التشكي والتظلم ثم احدهما منهم الى الله سبحانه
وتسليم الامر له والرضا بكونه حكما واعلم ان فدكا كانت خاصة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ من امر خيبر قذف الله في قلوب اهل فدك
الرعب فبعثوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فصالحهم على النصف فقبل ذلك منهم فكانت
له خاصة اذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وروي انه صالحهم على كلها ثم المشهور

بين الشيعة والمتفق عليه عندهم ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اعطاها
فاطمة عليها السلم في حيوته وروي ذلك من طرق مختلفة منها عن ابي سعيد الخدري قال
لما نزلت هذه الآية وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاطمة عليها السلم
فدك فلما ولي ابو بكر الخلافة عزم على اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها
من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتقول انه اعطاني فدكا في حياته واستشهدت
على ذلك عليا عليه السلم وام ايمن فشهدا لها بها فاجابها عن الميراث بخبر رواه
وهو نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه فهو صدقة وعن دعوى
فدك انها لم تكن للنبي صلى الله عليه واله وسلم وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال
وينفقه في سبيل الله وانا اليه كما كان اليه فلما بلغها ذلك لاثت خمارها واقبلت
في لمة من حفدتها ونسا قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه وهو في حشد من المهاجرين
والانصار فضربت بينها وبينه قبطية ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكا ثم
امهلت طويلا حتى سكنوا من فورتهم وقالت ابتدي بحمد الله من هو اولى بالحمد
والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت خطبة طويلة
قالت في اخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم فانما يخشى الله من عباده
العلما واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه
الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه
ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة بنت محمد اقول عودا على بدء ما اقول ذلك
سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب داعية ثم قالت لقد جاكم
رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تعزوه
تجدوه ابي دون ابائكم واخا ابن عمي دون رجالكم ثم قالت ثم انتم الان تزعمون
ان لا ارث لنا افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون

ايها معشر الملة ابتز ارث ابيه ابى الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ولا ارث
ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم
الله والزعيم محمد والموعد القيمة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبا مستقر
وسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ثم التفتت الى قبر
ابيها فتمثلت بقول هند بنت اثاثة

قد كان بعدك انبا وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما قضيت وحالت دونك الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا ... اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب

قال فلم ير الناس اكثر باكيا وباكية منهم يومئذ ثم عدلت الى مسجد الانصار
وقالت يا معشر الانصار واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الفترة
عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة في حقي والسنة عن ظلامتي اما قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المرء يحفظ في ولده سرعان ما اجدتم وعجلان ما
اسنتم الان مات رسول الله امتم دينه ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع
وهيه واستبهم فتقه وبعد وقته واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت
الامال اضيع الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة اعلن بها كتاب
الله قبل موته وانباكم بها قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمراى ومسمع
تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وانتم نخبة
الله التي انتخب وخيرته التي اختار ناديتم العرب وبادهتم الامور وكافحتم البهم
حتى دارت بكم رحى الاسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة

الشرك وهذا دعوة الهرج واستوسق نظام الدين افلحتم بعد الاقدام
ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد ايمانهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد اري ان قد اخلدتم
الى الخفض وركنتم الى الدعة وجحدتم الدين ووسعتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم
ومن في الارض جميعا فان الله غني حميد الا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة
التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر
باقية الخف باقية العار موسومة الشنار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم رجعت
الى بيتها واقسمت ان لا تكلم ابا بكر ولتدعون الله عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة
فاوصت ان لا يصلي عليها فصلى عليها العباس ودفنت ليلا وروي انه لما سمع كلامها
حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا خيرة النسا وابنة
خير الابا والله ما عدوت راي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عملت الا بامره
وان الرائد لا يكذب اهله وقد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله لنا ولك
اما بعد فقد دفعت آلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودابته وحذاه الى علي
واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انا معاشر
الانبيا لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان
والحكمة والعلم والسنة وقد عملت بما امرني ونصحت فقالت لقد كان رسول الله قد
وهبها لي قال من يشهد لك بذلك فجا علي بن ابي طالب وام ايمن فشهدا لها بذلك فجا
عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان يقسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنة رسول الله وصدق علي وصدقت ام
ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان مالك لابيك كان رسول الله صلى الله عليه

يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله ولك على الله
ان اصنع بها كما كان يصنع فرضيت بذلك واخذت العهد عليه به فكان يأخذ
غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم ثم فعلت الخلفا بعده كذلك الى ان ولي
معوية فاقطع مروان ثلثها بعد الحسن عليه السلم ثم خلصت له في خلافته
وتداولها اولاده الى ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته
على اولاد فاطمة عليها السلم قالت الشيعة فكانت اول ظلامة ردها
وقالت السنة بل استخلصها في ملكه ثم وهبها لهم ثم اخذت منهم بعده
الى ان انقضت دولة بني امية فردها عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها
المنصور فردها ابنه المهدي ثم قبضها ولداه موسى وهرون فلم تزل
ايدي بني العباس الى زمن المامون فردها عليهم وبقيت الى عهد المتوكل
فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وروي انه كان فيها احدى عشرة نخلة غرسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت بنو فاطمة يهدون ثمرها
الى الحجاج فيصلونهم عن ذلك بالجليل فبعث البازيار رجلا فصرمها
وعاد الى البصرة ففلج وفي هذه القصة خبط كثير من الشيعة ومخالفيهم
ولكل من الفريقين كلام طويل ولنرجع الى المتن ويقول اشار بالنفوس
التي شحت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما والنفوس التي سخت بها الى وجوه
بني هاشم ومن مال اليهم التاسع استفهم عما يصنع بفدك وغيرها من
القنيات الدنيوية استفهام انكار لعدم حاجته اليها وتسلية لنفسه عنها
وجذبا لها عن الدنيا الى الاعمال الصالحة بذكر غاية النفوس منها وهي مصيرها
الى الجدث ولوازم تلك الغاية من انقطاع الآثار وغيبة الاخبار فيها
وساير ما عدده من صفات الجدث وانما عدد هذه الامور لان الاوهام

تنفر عنها وتخشع القلوب لذكرها فتفزع الى الله تعالى وتنجذب الى الاعمال
الصالحة التي بها الخلاص من اهوال الموت وما بعده والواو في قوله والبئس
للحال العابد لما نبه ان فكره وغيرها من فتنات الدنيا لاحاجة اليها
اشار الى حصر حاجته وعنايته لنفسه وهي رياضتها بالتقوى والضمير كما في
قوله فيما سبق وانما هي الكوفة والتقدير وانما همتي وحاجتي رياضة نفسي بالتقوى
واعلم ان رياضة النفس تعود الى نهيها عن هواها وامرها بطاعة مولاها
وهي ماخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة
لصاحبها ولا موافقة لمراده وتمرينها على ما يوافق مراده من الحركات
والقوة الحيوانية التي هي مبدا الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان
اذا لم يكن لها طاعة القوة العاقلة ملكة كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع
الشهوة تارة والغضب اخرى وغالب احوالها ان تخرج في حركاتها عن العدل
الى الجور في الافراط والتفريط بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة والمتوهمة
وتستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي امارة والعاقلة مؤتمرة
لها اما اذا راضتها القوة العاقلة ومنعتها عن التخيلات والتوهمات
والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب ومرنتها على ما يقتضيه
العقل العملي وادبتها على طاعته بحيث تاتمر بامرها وتنتهي بنهيها كانت العقلية
مطمئنة لا تنفعل انفعالات مختلفة المبادي وكانت سائر القوى مؤتمرة مسالمة
لها اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الغرض الاقصى من الرياضة انما هو نيل الكمال
الحقيقي وكان ذلك موقوفا على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد
موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلية كان للرياضة اغراض ثلثة احدها
حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق الاول سبحانه عن درجة الاعتبار ومستن

الايثار وهي الموانع الخارجية والثاني تطويع النفس الامارة للنفس
المطمئنة لينجذب التخيل والتوهم عن الجانب السفلي الى العلوي فيتبعهما
سائر القوى فتزول الدواعي الحيوانية المذكورة وهي الموانع الداخلية الثالث
تلطيف السر وتوجيهه الى الجنبة العالية لتلقي السوانح الالهية وتهيئته لقبولها
وتعين على الغرض الاول الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها
بالقلب على التامل في الجلال المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وعظمة الله سبحانه والاعمال الصالحة المنوية لوجهه
خالصا وعن علمه اللهم بالقوى التي يعرض بها تنبيه عن هذه الامور المعينة
والاسباب المعدة وتنبه على غرضه الاقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي
والله بذكر بعض لوازمه وهي ان تاتي نفسه امنة يوم الفزع يوم الخوف
الاكبر وهو يوم القيامة وان تشتغل بجوانب الخلق وهو الصراط المستقيم
فلا تميل بها الدواعي المختلفة عنه الى ابواب جهنم ومهاوي الهلاك واسعاد
لفظ المزالق ومطارن للاقدام العقول في الطريق الالهية وحذف الميول
الشهوية والغضبية عنها الى الرذائل الموبقة العاشر بينه على ان
زهده في الدنيا واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وترك ما سوى ذلك
ليس عن عجزه عن تحصيل طيبات مطعوماتها وملبوساتها وانه لو شاء لاهتدى
الى تحصيل تلك الطيبات ممكنة والمجاز وانما تركه مع القدرة عليه
رياضة لنفسه واعدادا لها لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى ما تقتضيه
المكره وهو عدم غلبة هواه لعقله وعدم قوة حشمة له الى تخير الاطعمة
ونبه على ذلك العدم بقوله هيهات فان ما استبعد وقوعه من نفسه والكره
فقد نفاه عنها وحكم بعدمه واما ان ذلك العدم من مقتضى المكره بعينه

فلان الملزوم هنا هو المشقة لتحري الطيبات وغلبة الهوى للعقل على مقتضى
رايه في تركها والتنزه عنها وتود الشهوة له الى الموافقة على استعمالها والمستثنى
هاهنا هو عدم ذلك بعينه واما جواز استثنائه لنقيض المقدم فلان مشقة تلك
شرط مساو لتحري الطيبات والاهتداء اليها فكان عدمه مستلزما لعدم مشروطه
واكثر استعمال لو في لغة العرب على جعل الملزوم علة للازمه او شرط
مساو له ويستثنى نقيض الملزوم والواو في قوله ولعل للحال اي هيهات
ان يغلبني هواي الى تخير الاطعمة حال ما احتمل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو بصفة
كذا وقوله او ابيت عطف على يقودني داخل فيما استبعده من نفسه
والواو في قوله وحولي للحال والعامل ابيت وكذلك قوله او اكون عطف على
استبعادها لازمان من لوازم نتيجة القياس الاستثنائي فان عدم ارادته لتحري
الطيبات لما استلزم هنا عدم ارادتها تناولها واستمتاعه بها استلزم ذلك ان لا
يبيت مبطانا وحوله اكباد جايعة وان لا يلحقه عار بذلك والبيت تمثيل
عرضه لينفر عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة
الى يسير الطعام ونبه على خسة هذه اللوازم بما قارن نقايضها من الاحوال
المذكورة البيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها

اما بنة عبد الله وابنة مالك ويا بنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي
قصيا بعيدا او قريبا فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي
كفى بك عارا ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد
واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما في الا هذه شيمة العبد

ويروى وحسبك داء واطلق عليه اسم الداء باعتبار انه سببا لعيبه وورود

قوله او ابيت من قوله او اكون من تتمة عيني والوجه فيه ان لا يكون
او حرف عطف بل يكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها متحركة كما في
في قوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين ويكون استفهام انكار لبيانه مبطانا ولكونه
كما قال القائل وكذلك الاستفهام في قوله اقنع من نفسي في معرض الانكار
لرضا نفسه بان تدعى امير المؤمنين ولا يشاركهم في مكاره الدهر وخشونة
المطعم والواو في قوله ولا اكون للحال واو اكون عطف على اشاركهم في حكم النفي
الحادي عشر نبه على بعض العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد
في الدنيا وهو كونه لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما يراد منه وذلك في
قوله فما خلقت الى قوله المياهه وتنفر عن الاشتغال باكل الطيبات بذكر
ما يلزم المشتغل بذلك من مشابهة البهيمة واشار الى وجه الشبه بقوله
همها علفها الى قوله يراد بها وذلك المشتغل بها ان كان غنيا اشبه البهيمة
المعلوفة في اهتمامه بما يتلقفه من طعامه الحاضر وان كان فقيرا كان اهتمامه
بما يكتسبه وتقممه من حطام الدنيا بعلفه وبلايه كرشه مع غفلته عما يراد
منه كالسايمة التي همها الاكتراش بما تقممه من الكلا مع غفلتها عما يؤول
اليه حالها ويراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ الحبل وجره وكنى
بذلك عن الاهمال والارسال كما ترسل البهيمة الثاني عشر اشار الى بعض ما عساه
يعرض للاذهان الضعيفة من الشبهة وهي اعتقاد ضعفه عن قتال الاقران
بسبب ذلك القوت النزر وذلك بقوله وكاني بقائلكم الى قوله الشجعان ثم نبه على
الجواب عن ذلك من خمسة اوجه الاول التمثيل بالشجرة البرية وقياس من
نبه عليها في القوة فالاصل هو الشجرة البرية والفرع هو عليه السلم والمشترك
الجامع بينهما هو قوله الغذاء وخشونة المطعم كقوله غلا الشجرة البرية وسوء

والحكم عن ذلك هو صلابة اعصابه وقوته كصلابة عود الشجرة البرية وقوتها
وذلك دافع للشبهة المذكورة الثاني تمثيل خصومه واقرانه كعوبه بالزروع
الخضرة وهي الاصل في هذا التمثيل والفرع هو خصومه واقرانه والمشترك الجامع بينهما
هو الخضرة والنضارة الحاصلة عن الترفه ولين الطعم والحكم اللازم عن ذلك
هو رقة الجلود والضعف عن المقاومة وقلة الصبر على المنازلة والميل الى
الدعة والرفاهية والغرض ان يعلم كون اقرانه اضعف منه فتندفع الشبهة
الثالث تمثيله بالنابتات العذية وهو كتمثيله بالشجرة البرية والحكم هنا هو
كونه اقوى على سعير نار الحرب واصبر على وقدها وابطأ فتورا فيها وخمودا
كالنابتات العذية في النار الرابع تمثيله نفسه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالضوء من الضوء وفرعه نسبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلة الجامعة
هي كون علومه وكمالاته النفسانية المشرفة مستفادة ومقتبسة من مصباح
علم النبوة وكمالاتها كالمعلول من العلة والمصباح من الشعلة الخامس
تمثيله منه صلى الله عليه وسلم بالذراع من العضد والاصل فيه الذراع مع نسبته
الى العضد والفرع هو عليه السلم منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلة
الجامعة هي قربه منه وقوته وكونه ظهيرا له ووسيلة له الى حصول مقصوده
من تمام الدين وكماله وكون الرسول صلى الله عليه وسلم اصلا في ذلك كقرب الذراع من
العضد وكون العضد اصلا له وكون الذراع وسيلة الى الضرب والبطش بالعضد
والحكم في هذين التمثيلين واحد وهو كونه عليه السلم لا يضعف عن قتال الاقران
ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا الحكم عن المشترك الاول انه لما كانت علومه
اليقينية وبصيرته في الدين مناسبة بصيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك
اعظم امر مشجعه ومقويه على قتال الاقران حمية للدين وكذلك عن المشترك

الباقي ثم لما اثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف المتوهم فيه اكد ذلك بالقسم
البار انه لو تظاهرت العرب على قتاله لما ولى عنها ولو امكنت الفرصة من
رقابها لسارع اليها اي حين القتال واستحقاقهم للقتل بعداوتهم للدين وقبح
العفو عنهم ملاحظة الشبهة برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك في
مبدا الاسلام فانه لم يكن ليضع العفو الا في موضعه وروي انه قتل في يوم واحد
من بني قريظة الف انسان صبرا في مقام واحد لما راى ذلك من مصلحة الدين
الثالث عشر لوعدا ان يجتهد في تطهير الارض من هذا الشخص المعكوس
والجسم المركوس واراد معوية وانما قال شخصا وجسما ترجيحا لجانب الذم على النفس
باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه فكانه جسم وشخص فقط واشار
بكونه معكوسا ومنكوسا الى انقلابه عن الجهة العالية وانتكاسه عن تلقي الكمالات
الروحانية الى الجهة السافلة وانتكاسه في الدنيا وانعكاس وجه عقله الى تحصيلها
والاعتناء بجمعها فان غرض العناية الالهية من خلق الانسان ان يترقى في مدارج
الكمال بعد حط فطرته الاصلية عن المدنس برذايل الاخلاق فاذا جذبته دواعي
النفس الامارة الى الدنيا وغرته بجمعها حتى انقلب بها لم يزل يتخطى في درجات محبتها
وبحسب ذلك يكون انتكاسه عن مراتب الكمال وانتكاسه في الرذايل ومهاوي الضلال
وتقيده فيها بالسلاسل والاغلال وقوله حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد
استعار لفظ المدرة لمعوية ووجه الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة انه يخلص المؤمنين
من وجود معوية بينهم ليزكوا ايمانهم ويستقيم دينهم اذ كان وجوده فيهم سببا عظيما
لفساد عقايدهم وهلاك دينهم كما يفعل اهل البيادر من تصفية الغلال واخراج ما يسوءها
ويفسدها من المدر وغيره وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كان الزارع يجتهد في
اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه من بين الزرع كي لا يفسد منابته فيفسد ثمرته وفيه

نظر لانه لا معنى لاخراج الطين من الزنج لان لفظ جيد الجديد لا يفهم منه
ذلك الرابع عشر تمثل الدنيا بصورة من يعقل وخاطبها خطاب العقلا
ليكون ذلك اوقع في النفوس لغرابته ثم امرها بالتنحي والبعد عنه كالمطلق لها وحبلك
على غاربك كناية عن الطلاق مثل واصله ان الناقة اذا اريد اهمالها لترعى
وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكل من اهمل واطلق عن الحكم ثم جعلها ذات
مخالب استعارة بالكناية عن كونها كالاسد في جذبها للانسان عما فيها من الشهوات
والقنيات الى الهلاك الابدي كما يجر الاسد فريسته وكذلك جعلها ذات حبايل
وكنى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها ولذاتها
الوهمية بحبايل الصايد واستعار لفظ مداحضها لشهواتها وملذاتها ايضا
باعتبار كونها من مزال اقدام العقول عن طريق الله مضارع لها وعبر بجميع
ذلك عن زهده فيها وابعادها عن نفسه ثم اخذ في سوالها عن القوم الذين
غرتهم بمداعبها والامم الذين فتنتهم بزخارفها سوالا على سبيل التوبيخ لها
والذم على فعلها ذلك بهم في معرض التنفر عنها وهو من قبيل تجاهل العارف واستعار
لها لفظ المداعب جمع مدعبة يعني دعابه ووجه المشابهة انها عند صفا لذاتها
للخلق واغترارهم بها كم كثرها عليهم تعد ذلك بالامر الجد تشبه من مزح مع
غيره وينبسط معه بالاقوال والافعال اللينه لتغريه ثم ياتيه بعد ذلك بالامر
الجد فيوذيه او يهلكه وانما نسب الغرور اليها لكونها سببا ماديا لذلك وفي
نسخة الرضي رحمه الله غررتيهم باثبات اليا ووجهه انها جاءت من اشباع الكسرة
الخامس عشر اشار الى غايتهم التي صاروا اليها وهي كونهم رهاين القبور
ومضامين اللحود ونبه في ذلك على ان غرورهم وفتنتهم بها لم تخلصهم من هذه الغاية
كل ذلك لغرض التنفير عنها وهاهنا للتنبيه واستعار لفظ الرهاين لهم باعتبار كونهم

موثقين في القبور باعمالهم كالرهن ويحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينه
بمعنى راهنه وهي الاشخاص المقيمة بقبورها السادس عشر اقسم
انها لو كانت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقام عليها حدودا في عباد غرتهم
بالاماني واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر اي ان تلك الموارد
ليس من شانها ان يكون اليها ورود وعنها صدر ثم لما كان في هذا الخطاب
كالمعلم لها انه قد اطلع على خداعها وغرورها قال كالموئس لها من نفسه
هيهات اي بعدا اعزبي بكسر وكوني اليك ثم نبه على بعض العلل
الحاملة على التبعد عنها والتنفر عن قربها وهي ما يلزم وطي دحضها من
الزلق وركوب لججها من الغرق والازورار عن حبايلها من التوفيق للسلامة
وما يلزم السالم منها من عدم الاناة بضيق مناخه وكل مناخ اناخ به
من فقر وسحر ومرض وبلاء بعد السلامة منها فهو فسيح رحب بالقياس
الى ما يستلزمه القبيح في شغبها والجري في ميادين شهواتها من العذاب
الاليم في الاخرة وهي علة في الفقر وعدم الالتفات اليها كيوم حان انسلاخه
والفاظ المداحض واللجج والحبايل مستعارة لشهواتها ولذاتها فالاول
باعتبار كون شهواتها مظنة ان يخبر فيتبحر الانسان عند استعمالها الى الاستكثار
منها ويتجاوز القدر المعتدل الى المحرم فتزل قدم نفسه عن صراط الله فيقع
في مهاوي الهلاك والمآثم والثاني باعتبار ان مطالبها والامال فيها غير متناهيه
فمن لوازم المشتغل بها والمنهمك في لذاتها ان يغرق نفسه في بحر لا ساحل
له منها فينقطع عن قصد رحمة الله الى الهلاك الابدي كالملقي نفسه في بحر
لجي والثالث باعتبار ان الانسان اذا اغتر بها وحصل في محبة مشتهياتها
عاقته عن النهوض والتقدم الى جناب الله ومنعه ان يطير بجناحي قوته العقلية

في حضرة قدس الله ومنازل اوليائه الابرار كما تعوض حبائل الصائد
جناح الطائر ولفظ الوطي والركوب والزلق والعرق وريح ثم كرر الامر لها
بالبعد عنه واقسم انه لا يذل بها فيذله ولا يسلس لها قياده فتقوده وفيه
تنبيه على انها لا يذلها الامن اذل نفسه وعبدها لها ولا يهلك الا انقاد
من اسلس لها قياده وهو ظاهر اذ الانسان ما دام قامعا للقوة الحيوانية
مصرفا لها بزمام عقله فانه من المحال ان تذله الدنيا او يستعبده اهلها ومهما
اتبع شهوته بما تميل اليه فانها تذله اشد اذلال وتستعبده اقوى استعباد
كما قال عليه السلام عبد الشهوة اذل من عبد الرق واستعار لفظ السلاس
القياد للتنهيك في متابعة النفس الغافلة الامارة وعدم التشدد في
ضبطها باستعمال العقل عن متابعتها التاسع عشر اقسم ليوفين ما
صمم عزمه عليه وهو بصدده من رياضة نفسه ووصف تلك الرياضة
في قوتها باستلزامها من اخذ بها كون نفسه تهش معها الى القرص
وترضى به اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما وهي تلك رياضة
القوة الشهوية ولما كانت اكبر عدو للنفس واكثر الفساد يلحق بسببها
خصها بالذكر وقوة العزم يحتمل ان يريد رياضة جميع القوى وانما وصفها
بكون النفس تهش معها الى القرص لان ضبط الشهوة اعظم من ضبط
ساير القوى واصعب فكانت الاشارة الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ
في وصف الرياضة بالشدة واستثنى في يمينه بمشية الله تادبا لقوله
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وتنبيها على استناد
جميع الامور في سلسلة الحاجة الى الله تعالى في كونه يدع مقلته في تلك
الرياضة كعين ماء نضب ماؤها ووجه الشبه ان تفنى دموعها وتستفرغها

بالبكاء شوقا الى الملأ الاعلى وما اعد لاوليآء الله من السعادة
الابدية وخوفا من حرمانها ومن كان في مقام الغربة ومحل الوحشة
كيف لا يشتاق الى وطنه الاصلي ومقام انسه الازلي مطعوما
وماذوما ومستمرعه احوال ثم اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة
على تقدير ان يرضى بمثل حالها وغايتها من الدنيا في معرض الانكار لذلك
الظاهر من نفسه والاصل في التمثيل البهيمة والفرع هو عليه السلام والمشترك
الجامع هو الرعي والشبع والحكم هو البروك والنوم والراحة ولما
كان الاصل المقيس عليه في غاية من الخسة بالقياس الى الانسان الكامل
استلزم ذلك التشبيه به قوة النفرة عما استلزم التشبيه من الصفات
وقوله قرت اذن عينه واخبار في معرض الانكار والاستهزا
باللذة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم الثامن عشر تنبيه
على ان النفس اذا كانت بالصفات المذكورة فلها استحقاق طوبى وجمع
في تلك الصفات اكثر مكارم الاخلاق فالاولى القيام بواجب طاعة الله
وما افترضه عليها الثاني قوله وعركت بجنبها بوسها كناية عن الصبر على
نزول المصايب يقال اعرك فلان بجنبه الاذى اذا اغضى عمن يؤذيه
وصبر على فعله به ويلازم ذلك عدة فضايل كالحلم والكرم والعفو والصفح
والتجاوز وكظم الغيظ واحتمال المكروه بالعفة ونحوها الثالث
ان تهجر بالليل غمضها وهو كناية عن احيايها لها بعبادة ربها واشتغالها بذكره
حتى اذا غلب النوم عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها اي لم يكن لها
كلفة في تهيئة فراش وطيب وساد بل كانت بريئة عن كل كلفة عرية
عن كل قنية منزهة عن كل بدعة وقوله في معشر يصلح لكل

من انفعال النفس المذكورة اي فعلت بهذه الانفعال في جملة تخشع من شانهم
كذا وعرفهم لصفات اربع احدها كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم
الثاني وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم وهو كناية عن اشتغالهم ليلاً
بعبادة ربهم كقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الثالث وهمهمت
بذكر ربهم شفاههم لقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا الرابع وتقشعت
بطول استغفارهم ذنوبهم وهو لازم عن الثلثة الاولى وغيره لها واستعار
لفظ التقشع لانمحاء ذنوبهم ووجه المشابهة ان الذنوب والهيئات
الردية في تسويدها لالواح النفوس وتغطيتها وحجبها لها عن قبول
انوار الله تشبه السحاب المتراكم الحاجب لوجه الارض عن قبول نور
الشمس الاستعداد لها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وامحائها من الواح
النفوس لفظ التقشع كل ذلك للترغيب في طاعة الله والجذب
الى الدخول في زمرة اوليائه وبالله التوفيق

الى بعض عماله

اما بعد فانك ممن استظهر
به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف واستعن
بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم
بالشدة حين لا تغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك والن لهم جانبك
وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك
ولا ييأس الضعفاء من عدلك النخوة الكبر والاثيم الاثم والضغث
النصيب من الشيء يختلط بغيره واصله القبضة من الحشيش المختلطة

من رطبه ويابسه فاعتزم بكذا اي الزمه واجد به وقد استماله اولاً
بامور ثلثة اعلمه بها من نفسه واعدّه لقبول اوامره وهي كونه ممن يستظهر
به على اقامة الدين ويقمع به نخوة الاثيم ويسد به الثغر المخوف واستعار
لفظ اللهاة لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر فيحتاج الى سده بالعسكر
والسلاح ملاحظة لشبهه بالاسد الفاتح فاه للافتراس ثم اردف ذلك
بما امره به من مكارم الاخلاق اولها ان يستعين بالله على ما
اهمه من الامور فان الفزع اليه والاستعانة به افضل ما اعان على حصول
المهمات الثاني ان يمزج الشدة بضرب من اللين ويضع كلاً موضعه
فيرفق ويلين ما كان الرفق اولى به واوفق له ويلجأ بالشدة حين لا يغني الا
الشدة الثالث ان يخفض جناحه لرعيته وهو كناية عن التواضع الرابع
ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك
العبوس والتقطيب الخامس ان يلين لهم جانبه وهو كناية عن المساهلة
معهم وعدم التشدد عليهم السادس ان يواسي بينهم في اللحظة والنظرة
والاشارة واللحظة اخص من النظر وهو امر بفضيلة العدل بين الرعية
لئلا يطمع عظماؤهم في حيفه على الضعيف فيتسلط عليه ولا ييأس
الضعيف من عدله على القوي فيضعف نفسه وينكل عما هو بصدده
من الاعمال الصالحة وبالله التوفيق

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

اوصيكما
بتقوى الله وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق
واعملا للاجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً اوصيكما وجميع ولدي واهلي
ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم واني سمعت
جدكما رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول صلاح ذات البين افضل من

عامة الصلاة والصيام الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا
يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى
ظننا انه سيورثهم والله الله في القران لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله
الله في الصلاة فانها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما
بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم
في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل واياكم والتدابر والتقاطع لا
تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم اشراركم ثم تدعون فلا يستجاب
لكم ثم قال عليه السلام يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا
تقولون قتل امير المؤمنين قتل امير المؤمنين الا لا تقتلن بي الا قاتلي انظروا اذا
انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور
تغبته كذا اردته واغباب افواههم ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما
والمناظرة المحافظة والمراقبة والتدابر التقاطع والتعادي والمثلة التنكيل وقد
اوصاهما بامور اولها تقوى الله الذي هو راس كل خير الثاني الا يبغيا الدنيا
وان بغتهما اي لا يطلباها وان ارادتهما اي اقبلت عليهما بما يعد منها تخيلا واستعار وصف
البغية لها باعتبار سهولتها عليهما عن توافق اسباب خيرها لهما فهي بذلك
الاعتبار كالطالبة لهما الثالث ان لا يأسفا على ما قبض وغيب عنهما من
خيرها فهي من لوازم الزهد الحقيقي فيها الرابع ان يقولا الحق وهو ما ينبغي
قوله من اوامر الله ونواهيه وان يكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا وذلك من
لوازم قول الحق والعمل له اذ من كان على حاق العدل فلا بد ان يجانب الظالم المنحرف
الى طرق الجور ويخاصمه ليرده الى فضيلة العدل فيكون حينئذ عونا للمظلوم ثم عاد

مؤكدا الوصية بهما مع جميع ولده واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى
الله مكررا لها ومردفا باوامر اخرى احدها اصلاح ذات البين وذات
البين كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق وقيل هي الحالة بين الحالين والقبيلين
ذا الرجل واهله امر باصلاح ما بينهما من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا
الوصل وبالذات النفس اي اصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه وقيل ذات هنا
مقحمة زائدة ونحوه قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات
البين من لوازم الالفة والمحبة في الله وهي فضيلة تحت العفة ورغب في ذلك
بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قوله صلاح ذات
البين افضل من عامة الصلاة والصيام ووجه الافضلية هنا انك علمت فيما
سلف ان اهم المطالب للشارع صلى الله عليه واله وسلم جمع الخلق على سلوك
سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم ذلك مع تنازعهم وتثاور طباعهم
وثوران الفتنة بينهم فكان صلاح ذات بينهم مما لا يتم اهم مطالب الشارع
الا به وهذا المعنى غير موجود في الصلاة والصيام لامكان المطلوب
المذكور بدونهما فتحققت افضليته من هذه الجهة والخبر في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكلما كان كذلك فهو واجب ان يفعل الثاني حذره من الله
تعالى في الايتام ونهى عن اجاعتهم وكنى عنها باغباب افواههم اذ هو مظنة
جوعهم ثم عن اضاعتهم واستلزم ذلك النهي امرهم ببرهم والاحسان اليهم
وهو فضيلة تحت العفة الثالث الوصية في الجيران والتحذير من الله فيهم
ونبه على حفظ قلوبهم واكرامهم بوصية الرسول صلى الله عليه في حقهم وجعلهم
نفس الوصية تاكيدا للمحافظة عليهم كالمحافظة على وصية الرسول صلى الله
عليه والمجاز من اطلاق اسم المتعلق على المتعلق وقوله ما زال الى قوله

[illegible]

في قوة صغرى ضمن تقدير كبراه وكل من اوصى النبي في حقه كذلك فواجب
ان يحفظ السابع الوصية بما اشتمل عليه القرآن الكريم من القوانين والقواعد
والتحذير من الله سبحانه في تركه والنهي عن ان يشتغلهم بذلك غيرهم المستلزم
للامر بالمسارعة والسبق اليه الخامس الوصية بامر الصلوة والتحذير من
الله في امرها ونبه على فضلها متضمن صغراه قوله فانها عمود الدين وهو عين
ما رويناه من الحديث نقل وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فواجب ملازمته وهو
ما يستلزمه تركه من علم مناظرة الله لتاركيه وترك محافظته عليهم
ومراقبته لان من لا يحفظ الله في نفسه ويراقبه في مراعاة جانبه لم يحفظ
الله ولم يراقبه ويحتمل ان يريد لم يناطكم الاعداء لم يراقبوكم اذ في
الاجماع على بيت الله الحافظة عليه عز بالله واعتصام به يوجب
مراقبة الحق للمعتصمين به وانفعال القلوب عنهم وعن كثرتهم ومناظرتهم
السابع الوصية بالجهاد في سبيل الله بالمال والنفس واللسان والتحذير من
الله في تركه وهو فيما علمت فضيلة الثامن الوصية بالتواصل والتباذل
اي يبذل كل منهم النصرة لصاحبه في سبيل الله التاسع التحذير من
التقاطع والتدابر وسره ظاهر العاشر النهي عن ترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر المستلزم للامر بهما وتنفر عن ذلك الترك بما يستلزمه ويعدله من
تولي الاشرار عليهم وعدم استجابة دعاء الداعين منهم ووجه اعداده لذلك
ترك الاجماع على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلة المعروف
من طباع الاشرار ويعد لاستيلائها وغلبتها وولاية اهلها وذلك يستلزم
كثرة الشر والاشرار وقلة الصالحين وضعف هممهم عن استنزال رحمة الله تعالى
بادعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم ثم عقب ذلك بوصيته اهل بيته ومن يلي

عبد المطلب بما يخصه من امر دمه والوصية بامور احدها نهاهم
عن اثارة الفتنة بسبب قتله فقال لا احدكم تخوضون دماء المسلمين خوضا
وكني به عن كثرة القتل وقوله تقولون قتل امير المؤمنين حكاية
ما جرت به العادة ان يقوله طالب الثار حين يهاجه اظهار العذر والسبب
الحامل له على الثار الثاني نهاهم ان لا يقتلوا الا قاتله اذ ذاك هو مقتضى
الثالث تنبيههم بقوله انظروا الى قوله هذه على انه لا يجوز قتله بمجرد
ضربته حصل الموت بسبب غيرها الان نعلم ان موته كان بسببها الرابع
ان يضربوه ضربة وذلك مقتضى عدله عليه السلام ايضا الخامس نهى
عن المثلة به معللا بما رواه سماعا من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
وذلك لما في المثلة من تعدي الواجب وتشويه الخلقة وشفاء الغيظ وذلك
رذائل يجب الانتهاء عليها وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فواجب ان لا يفعل وبالله التوفيق

الى معوية

وان البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه
وقد علمت انك غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتاولوا على
الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم من امكن
الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى حكم القران ولست من اهله
ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا القران في حكمه
هذا الفصل من كتاب له اليه بعد التحكيم وتمسك معوية بما حكم به الحكمان
ويحتمل ان يكون عند اجابته الى التحكيم والوتغ بالتحريك الهلاك واوتغ فلان دينه
بالاثم اهلكه وافسده وفي نسخة الرضي رحمه الله يدبغان اي يظهران

والغبطة السرور والغبطة تمني مثل حال الغير وقصد الفضل بذكر الاطلع
والذرب والتنفير عنها انما يلزمهما من اهلاك دين المرء ودنياه وشديد ان خلله
وعيبه لمن يعنيه اما دينه فلكونهما رذيلتين مضادتين للعدل والعفو مجانبتين
للايمان والدين واما في دنياه فلان اعظم مطالب الدنيا للعقلا الذكر الجميل
وانما يحصل بظهور مكارم الاخلاق ومن رذيلها واراد بما اقتضى فواته
ما جعله معوية شبهة له في محاربته وهو الطلب بدم عثمن وهو في نفسه
صغرى ضمير احتج به على وجوب ترك المشاقه وتقدير كبراه وكل من كان
كذلك تعين عليه ان يترك ذلك الطلب ثم اعلمه بحال من طلب امرا باطلا
وتاولوا على الله في ذلك والاشارة الى اصحاب الجمل حيث كانوا طالبين للامر
والملك فتاولوا على الله اي على سلطان الله وهي الخلافة الحقة فجعلوا خروجهم
وبغيهم عليها تاويلا وهو الطلب بدم عثمن ونحوه من الشبهه الباطلة فاكذبهم
الله بنصره عليهم ورد مقتضى شبههم والاكذاب كما يكون بالقول كذلك
يكون بالفعل وقال القطب الراوندي رحمه الله معناه وقد طلب قوم امر
هذه الامة بغير حق فتاولوا القران كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فسموا من نصبوه من الامرا اولي الامر متحكمين على الله فاكذبهم
الله بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون الوالي من قبل الله كذلك ثم حذره يوم الغبنة
منبها له على ما فيه من سرور الذين خلفوا عاقبة اعمالهم ثم حصلوا عليه من
الشقاوة اي انهم اغتبطوا غيرهم لهم وتمنى مثل مراتبهم ويندم من امكن الشيطان
من قياده فصرفه كيف شا ولم يجاذبه واستعار لفظ التمكين من القياد لمطاوعة
النفس الامارة وعرض التحذير ان لا يكون كمن سبق من طالبي هذا الامر بالتاويل
على الله وقوله دعوتنا الى الحكم صورة سؤاله والجواب عنه وكونه ليس

من اهله اذ لم يكن صالحا للامامة كما سبق بيانه مرارا وحيث لم يكن
اهلا لان يجاب الى الرضى بالتحكيم اعلمه بذلك وانه انما اجاب القران الى حكمه
وذلك في قوله تعالى في حق الزوجين وان خفتم شقاق بينهما الاية فجعل عليه
السلم هذا اصلا وقياسا عليه بطريق الاولى حال الامة عند وقوع الشقاق بينهم
وبعين ذلك احتج ابن عباس رضي الله عنه على الخوارج حيث انكروا التحكيم
فقالوا كيف يجوز لعلي ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان ذلك ليس بامر
علي وانما هو بامر من الله تعالى في كتابه اذ يقول في حق الزوجين وان خفتم
الاية افترون انه تعالى امر بذلك في حق الرجل والمراة لمراعاة مصلحتهما ولا يامر
بذلك في حق امته لرعاية مصلحتهم فرجع كثير منهم الى قوله وبالله التوفيق

اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيا الا فتحت
له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها ومن
وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي
اللهج الحرص الشديد وصدر الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا لتقل الرغبة
فيها وذكر منها امورا الاول كونها مشغلة عن غيرها اي عن الاخرة وهو
ظاهر مما مر الثاني كونها لم يصب صاحبها منها شيا الا كان ذلك معدا للحرص
عليها واللهج بها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه واله وسلم لو كان لابن ادم واديان
من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب الثالث كونها
لا يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم العيب الثاني
فان حصول بعضها اذا كان معدا للفقر اليها لم يستغن طالبها ابدا منها ثم اردف
ذلك بذكر امور للتنفير عنها ايضا احدها استعقابها الفراق لما جمع منها الثاني

نقض ما حكم من امورها ثم نبه على وجوب الاعتبار بما مضى من العمر من
احوال الناس والقرون الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر ان يضيع في الباطل
او حفظ ما يبقى من السعادة الاخروية بالسعي في تحصيلها وبالله التوفيق ۝

الى امرايه على الجيوش من عبد الله علي امير المومنين الى اصحاب المسالح
اما بعد فان حقا على الوالي ان لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به
وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على اخوانه الا وان
لكم عندي الا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في
حكم ولا اوخر لكم حقا عن محله ولا اقف به دون مقطعه وان تكونوا عندي
في الحق سوا فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة والا
تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان انتم
لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة
ولا يجد فيها عندي رخصة فخذوا هذا من امرايكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح
الله به امركم والسلام ۝ احتجز امنع والنكوص الرجوع
على الاعقاب والغمرة الشدة واعلم انه قدم هنا ما يجب على الوالي المطاوع رعيته
بوجه كلي كما هو عادة الخطيب ثم بين تفصيل ما يجب عليه لهم تفصيلا لذلك الكلي ثم
ما يجب عليهم له ثم امرهم بلزوم ما اوجبه عليهم اما الاول فقوله اما بعد
الى قوله اخوانه واشار اليه الى امرين احدهما ان لا تغيره عنهم ما اختص به من
الفضل والطول لان تغيره عنهم خروج عن شرايط الولاية الثاني ان تزيده تلك
النعمة من الله دنوا من عباده وعطفا على اخوانه لان ذلك من تمام شكر النعمة واما
الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة امور احدها ان لا يحتجز دونهم سر الامور

المصلحة الا في الحرب ويحتمل ترك مشورتهم هناك لامرين احدهما ان الامر
ربما لا اخبار فلو توقف على المشورة فيه لما استقام امره بها ولذلك كان
عليه السلم كثيرا ما يحملهم على الجهاد ويتضجر من تثاقلهم عنه وهم له كارهون
كما سبق الثاني ان كتم ذلك خوف انتشاره الى العدو فيكون سبب استعداده
وتاهبه للحرب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا الى الحرب
ورى بغيره كما روي انه لما نوى غزاة بدر كتب للسرية كتابا وامرهم ان يخرجوا من
المدينة الى صوب مكة يومين او ثلاثة ثم ينظروا في الكتاب ويعملوا بما فيه فلما
ساروا الليل نظروا فيه فاذا هو يامرهم فيه بالخروج الى نخلة محمود وان يفعلوا
كذا وكذا ففعلوا وخرج النبي صلى الله عليه وسلم خلفهم الى بدر وكان الظفر لهم
ولو اعلمهم عليه السلم حين امرهم بالخروج انه يسير الى قريش لانتشر ذلك الى
قريش وكان استعدادهم اقوى وجاز ان يكون ذلك ايضا مانعا لبعض الصحابة عن
النهوض خوفا من اهل مكة وشوكتهم الثاني انه لا يطوي دونهم امرا الا في حكم
استعار لفظ الطي لكتمان الاسرار اي لا اخفي عنكم امرا الا ان يكون حكما من احكام الله
فاني امضيه دونكم من غير مراقبة ومشاورة فيه كالحدود ونحوها ۝
الثالث ان لا يوخر لهم حقا عن محله كالقضا وسائر الحقوق اللازمة له ولا
يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلقة بالمتخاصمين المحتاجة الى الفصل الرابع
ان يسوي بينهم في الحق ما لا ولان يقتضي فضله الحكمة فبدا بوجوب حق الله تعالى
اولا اذ كان حكم قضايه بنصبه لهم اماما وفعله بهم ما ذكر من نعمه تعالى
عليهم ثم ثنى بما يجب له وذكر امورا احدها بذل طاعته اذ لا حجة لهم عليه يكون
سببا لعصيانهم الثاني ان لا ينكصوا عن دعوته اذا دعاهم وهو من تمام الطاعة
الثالث ان لا يقفوا في حير التفريط في مصلحة يرونها او يبدوا لهم الرابع ان

يخوضوا الغمرات ويركبوا الشدائد في نصرة الحق وطلبه ثم اردف ذلك بالوعيد
لهم ان يستقيموا له على ما وجب له عليهم مما عدده وتوعدهم بامرين احدهما هوان
المعوج منهم عن طاعته اليه وسقوط منزلته والثاني اعظام العقوبة له
وعدم الرخصة فيها عنده ولما بين لهم ما يجب عليهم امرهم ان ياخذوا ذلك
البيان والنصح منه ومن سائر امراء العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح الله به
امورهم من الطاعة وفعل ما امروا به وبالله التوفيق

من عبد الله علي امير المؤمنين   الى عماله على الخراج

الى اصحاب الخراج اما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما
يحرزها واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من
البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه
فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة
وسفراء الائمة ولا تحسموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا
تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا
ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد
الا ان تجدوا فرسا او سلاحا يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم
ان يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكة عليهم ولا تدخروا انفسكم نصيحة
ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وابلوا في سبيله
ما استوجب عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا
وان ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة الا بالله   السفير الرسول
والحسمة وحشمته بمعنى اي غضبته وصدر الكتاب بمقدمة كلية وهو ان لم

يحذر ما يصير اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه استعدادا يحرسها منها
فان الانسان انما يستعد للامر المرغوب او المرهوب اذا رغب فيه او خافه وهي في
معرض التوبيخ على ترك الحذر والغرض تقديم طاعة الله تعالى وما يستعد به الانسان
مما يحرز نفسه من عذاب الله   ثم اعلمهم بكون التكليف لهم يسيرا تسهيلا
لهم وكون ثوابه كثيرا ترغيبا فيه وهو في قوة صغرى ضمير رغبهم به في القيام
بالامور المكلف بها وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب القيام به والاجتهاد فيه
ثم اردفه بالتنبيه على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعله من العقاب الاليم وتركه
من الثواب العظيم الذي لا عذر في ترك طلبه لو لم يكن في فعله عقاب والمعنى انه لو لم
يكن فيه عقاب يخاف فيترك لاجله لكان في تركه ثواب يجب لاجله فكيف وفي فعله
العقاب الاليم فبالاولى ان يجب تركه وهو افصح الكلام   والغرض التحذير من
الوقوع في رذيلة الظلم ثم اردف ذلك باوامر ونواهي فمن الاوامر امران احدهما
انصاف الرعية من انفسهم ومتولها الثاني ان يصبروا لحوائجهم لينتظم امر مصالحهم
وعلل ذلك بكونهم خزان الرعية ووكلائهم على بيت مالهم وسفراء ائمتهم اليهم
وهو في قوة صغرى تقدير كبراه وكل من كان كذلك فعليه النصفة في حقهم والصبر
على حوائجهم ومن النواهي ستة احدها ان لا يغضبوا احدا ولا يحسموه فيستحيي عن
حاجته الثاني ان لا يمنعوا احدا عن حاجته ويحجبوه دونه الثالث ان لا يحوجوا
احدا في طلب الخراج الى بيع ما يضطر اليه من كسوة او دابة ينتفع بها في عمل او عبدا
الرابع ان لا يضربوا احدا سوطا لمكان درهم فانه ليس من السنة اخراج ما يستحق
من الاموال الشرعية بالضرب الخامس ان لا ياخذ من مال احد من اهل القبلة او المعاهدين
من اهل الكتاب شيئا الا ان يكون فرسا او سلاحا يعدى به على المسلمين والاسلام فانه
يجب اخذه من ايدي اعدائهم لئلا يكون شوكة عليهم وعونا السادس ان لا يدخروا

أنفسهم أي عن أنفسهم نصيحة بل ينصح بعضهم لبعض ولا عن الجند حتى يستقر
ولا عن الرعية معونة ولا عن دين الله قوة ثم أمرهم أن يبلوا في سبيله ويعطوا
ما استوجب عليهم من شكر نعمه وطاعته ثم علل وجوب ذلك بقوله فإن الله
إلى آخره وهو بقوة صغرى صغير والمعنى أنه تعالى جعل شكره عهدنا ونصرته
من أعظم نعمه علينا كما يستوي وقيل المراد لأن نشكره ونقدر اللذي في كل من اصطنع
عندنا وجب علينا شكره وبالله التوفيق

كتبه إلى أمراء البلاد في معنى الصلوة

أما بعد فصلوا بالناس الظهر حين تفي الشمس مثل مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس
بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر
الصائم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل وصلوا بهم
الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلوة أضعفهم ولا تكونوا فتانين
بين في هذا الكتاب أوقات الصلوات المفروضة فالأول وقت الظهر وحده
بوقت فيء الشمس أي رجوعها وميلها إلى المغرب ثم شبه مقداره بمربض
العنز وهو أول وقت الظهر وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثاني وقت العصر
وقدره ببقاء الشمس بيضاء لم تصفر للمغيب ووجه استعارة لفظ الحية لظهورها
على الأرض المجاز الثابته في عضو من النهار وأراد القسم والقطعة منه ثم قدر ذلك
العضو بمقدار أن يسار فيه فرسخان المسير المعتاد الثالث وقت المغرب
وعرفه بأمرين أحدهما حين يفطر الصائم وذلك عند سقوط القرص والثاني حين
يدفع الحاج ويفيض من عرفات ولشهرة هاتين العلامتين وتعارفهما عند المخاطبين
عرفه بهما الرابع وقت العشاء الآخرة وعرفه بتواري الشفق وذلك من ناحية

المغرب وحد آخره بثلث الليل وإنما حد آخر هذا الوقت دون أوقات سائر الفرائض
لأن الفرائض بين آخر كل وقت منها وبين أول وقت الأخرى ولا كذلك آخر وقت العشاء
الآخرة لاتصاله بالليل الخالي عن الفرائض وأما آخر وقت الصبح فحده بطلوع الشمس
أيضا ظاهر الخامس وقت صلوة الغداة وحده حين يعرف الرجل وجه صاحبه
وذلك حين طلوع الفجر الثاني وهو الحمرة المعترضة من ناحية المشرق والعلامة
التي ذكرها أوضح لسائر الناس ثم أوصاهم بفعل وترك أما الفعل فأن يصلوا
بالناس صلوة أضعفهم وهو أن لا يطولوا في القراءة في الفرائض كقراءة البقرة والسور
الطوال فإن ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدي ذلك إلى المشقة وعجز
بعضهم عن أداء الفريضة في الجماعة وهو ضرر منفي في الدين وأما الترك فأن لا
يكونوا فتانين بإطالة الصلوة ووجه الفتنة هنا أنهم يكونون صارفين للناس عن
الاتفاق والتساعد على صلوة الجماعة بإطالتها المستلزمة لتخلف العاجزين
والضعفاء والله أعلم

كتبه للأشتر النخعي رحمه الله على مصر وأعمالها
حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر رحمه الله وهو أطول
عهد كتبه وأجمعه للمحاسن

هو مالك بن الحرث الأشتر النخعي من اليمن وكان من أكابر أصحابه عليه السلام وفضلاء أصحابه
عليه السلام وذكر الثقة والشجاعة الذين عليهم عمدته في الحرب وذكر أن الطرماح لما
دخل على معوية قال له قل لابن أبي طالب جمعت من العساكر بعدد حب جاورس
الكوفة وها أنا قاصده فقال له الطرماح إن لعلي عليه السلام ديكا أشتر يلتقط جميع ذلك
فانكسر معوية من قوله وفي العهد فصول قوله

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله علي امير
المؤمنين مالك بن الحرث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها
وجهاد عدوها واستصلاح ارضها واهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله
وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد
الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده
وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره
ان يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء
الا ما رحم الله ٥ يزعها يكفها وصدّر عليه السلم هذا العهد بذكر
امور هي غرض الولاية بها يكون نظام الامر فمنها ما يعود الى منفعة الوالي وهو
جباية الخراج ومنها ما يعود الى الرعية وهي جهاد عدوهم واستصلاحهم
بالسياسة وحسن الرعي ومنها ما يعود اليهما وهو عمارة البلاد ولواحقها ثم
امره باوامر خمسة تعود الى صلاح نفسه اولها اخذها بتقوى الله وخشيته
وقد سبق بيان كونها اصل كل فضيلة الثاني اتباع اوامره في كتابه من فرائضه وسننه
ورغب في ذلك بقوله لا يسعد الى قوله اضاعتها وقد تكرر بيان ذلك الثالث ان ينصر الله
سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدو وانكار المنكرات ورغب في ذلك
بقوله وقد تكفل الى قوله اعزه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
الرابع ان يكسر من نفسه عند الشهوات وهو امر بفضيلة العفة الخامس ان
يكفها ويقادعها عند الجمحات وهو امر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة
تحت العفة وحذر من النفس بقوله فان النفس الى آخره وهو من قوله تعالى ان النفس
لامارة بالسوء الآية وما بمعنى من وهي نصب على الاستثناء اي الا نفسا رحمها الله ٥
في اوامره ووصاياه بالاعمال الصالحة المتعلقة باحوال الولاية تدبير

الملك والمرتبة وذلك قوله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد
جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت
تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وانما يستدل
على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة
العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف
منها فيما احبت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم
ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين
واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في
العمد والخطأ فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من
عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك
فقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم فلا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي
لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة
ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن اني مؤمر آمر فاطاع
فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا احدث
لك ما انت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته
منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك مما عزب عنك من
عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل
جبار ويهين كل مختال انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة
اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله
كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى
ينزع ويتوب وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم

فان الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد ولكن احب الامور
اليك اوساطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضا الرعيه فان سخط العامه
يجحف برضا الخاصه وان سخط الخاصه يغتفر مع رضا العامه وليس احد
من الرعيه اثقل على الوالي مؤونة في الرخا واقل معونة في البلا واكره للانصاف
واسال بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطا عذرا عند المنع واضعف
صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصه وانما عمود الدين وجماع المسلمين
والعدة للاعدا العامه من الامه فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن ابعد
رعيتك منك واشناهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي
احق من سترها ولا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك
والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العوره ما استطعت يستر الله منك
ما تحب ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقد كل حقد واقطع عنهم سبب
كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع
فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل
بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين
لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرايز شتى يجمعها سو الظن بالله
شر وزرايك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الاثام فلا يكونن
لك بطانه فانهم اعوان الاثمه واخوان الظلمه خير الخلف ممن له مثل ارايهم
ونفاذهم وليس عليه مثل اصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه
ولا اثما على اثمه اوليك اخف عليك مونه واحسن لك معونه واحنا عليك
عطفا واقل لغيرك الفا فاتخذ اوليك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن
اثرهم عندك اقولهم بمر الحق واقلهم مساعده فيما يكون منك مما كره الله لاوليايه

واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ثم رضهم
على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث
الزهو وتدني من العزه ولا تكونن المحسن والمسي وتدريبا لاهل الاساه على
الاساه والزم كلا منهم ما الزم نفسه ۝ واعلم انه ليس شي بادعى
الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المونات عليهم وترك
استكراهه اياهم على ما ليس قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن
برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك
لمن حسن بلاوك عنده ولا تنقضن سنه صالحه عمل بها صدور هذه الامه
واجتمعت عليها الالفه وصلحت عليها الرعيه ولا تحدثن سنه تضر بشي من
ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسه
العلما ومنافثه الحكما في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامه ما استقام به
الناس قبلك ۝ الضاري المعتاد للصيد الجري
عليه والصفح الاعراض عن الذنب والبجح بسكون الجيم الفرح والسرور والبادره
الحده والمندوحه السعه والادغال الادخال للفساد في الامر والنهك الضعف
والابهه الخيله الكبر وطامن سكن وطماح النفس جماحها وطمح البصر ارتفع
وغرب الفرس حدته واول جريه والمساماه مفاعله من السمو والجبروت الكبر
العظيم وادحض حجته ابطلها ونزع يرجع واجحف به ذهب والالحاف
شده السوال وملمات الدهر ما يلم من خطوبه وجماع المسلمين جمعهم والصغو الميل
واشناهم ابغضهم والوتر الحقد والتغابي التجاهل والتغافل وبطانة الرجل خاصته
والاصار الاثام وحفلاتك مجالسك في المحافل والمجامع والاطرا المدح
البالغ والزهو الكبر والتدريب التعويد والمنافثه المحادثه واعلم ان مدار

هذا الفصل لما كان على امره وهو الذكر الجميل في العقبى والكون من الصالحين
ليعمل له وذلك بقوله اني قد وجهتك الى قوله يقول فيهم وهو في قوة
صغرى ضمير تقديرها انك موجه الى بلدة حالها كذا وحال الناس في فعلك
بها كذا وتقدير الكبرى وكل من وجه الى بلد كذلك وكان الناس ينظرون من
امره مثل ما كان ينظر فيه من امر الولاة ويقولون فيه مثل ما كان يقول فيهم
فيجب عليه ان يكون احب الامور اليه العمل الصالح ليحصل منه على الذكر الجميل
بين الناس الدال على كونه المذكور عند الله من الصالحين ونبه على تلك الدلالة بقوله
وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده وفي نسبة اجرا القول
الى الله ترغيب عظيم في تحصيل الذكر الجميل ثم اعقب ذلك بامره ان يجعل
العمل الصالح احب الذخاير اليه واستعار لفظ الذخيرة باعتبار ان تحصيله
في الدنيا الغاية الانتفاع به في العقبى كالذخيرة ولما امره بالعمل الصالح
اجمالا شرع في تفصيله وذكر انواعا احدها ان يملك هواه في شهوته وغضبه
فلا يتبعهما وشح بنفسه عما لا يحل لهما من المحرمات وقوله فان الشح
الى قوله كرهت تفسير لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف على حد
العدل في المحبوب فلا تعود شهوته الى حد الافراط من فضيلة العدل فتقع في
رذيلة الظلم والفجور وظاهر ان ذلك شح بالنفس وبخل بها عن لقايها في مهاوي
الهلاك ٥ الثاني ان يشعر قلبه الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم
وهي فضايل تحت ملكة العفة اي اجعل هذه الفضايل شعار القلب ولفظ
الشعار والسبع مستعار وان اشار الى وجه استعارة السبع بقوله تغتنم
اكلهم الثالث ان يعفو ويصفح عنهم وهو فضيلة تحت الشجاعة وقوله فانهم
الى قوله في الخلق بيان لسببين من اسباب الرحمة لهم واللطف بهم وقوله

يفرط منهم الزلل الى قوله الخطا تفسير للمثلبة وهي السبب الثاني والكلام في
قوة صغرى ضمير في حسن العفو والصفح واراد بالعلل التي تعرض لهم الامور
المشغلة الصارفة لهم عما ينبغي من اجرا اوامر الوالي على وجوهها وقوله
ويؤتى على ايديهم كناية عن كونهم غير معصومين بل لهم ممن يؤتون من قبل
العمد والخطا وما يأتي على ايديهم اوامر الولاة والمواخذات فيما يقع منهم من عمد
او خطا وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي ان يرحم ويشمل بالمحبة
واللطف به ويقابل خطاؤه بالعفو والصفح وفي امره باعطا العفو مثل
الذي يحب ان يعطيه الله من عفوه اتم ترغيب في العفو واقوى جاذب
اليه وكذلك قوله فانك فوقهم الى قوله وابتلاك بهم تخويف من الله في
معرض الامر بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير آخر في ذلك الرابع
نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله وكنى بحربه عن الغلظ على عباده وظلمهم
ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية وقوله فانه لا يدي لك الى قوله ورحمته
صغرى نبه بها على انه لا يجوز ظلم عباد الله ومحاربته وكنى بعدم اليدين عن
عدم القدرة يقال ما لي بهذا الامر يدا اذا كان مما لا يطاق وحذف النون
من يدين لمضارعته المضاف وقيل لكثرة الاستعمال وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فلا يجوز ان ينصب لحرب الله بظلم عباده الخامس نهاه عن الندم
على العفو وعن البجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد عنه مندوحة
وان ذلك كله من لوازم اعطا القوة الغضبية مادها وقد علمت انها شيطان
يقود الى النهار السادس نهاه ان يأمر بما لا ينبغي الامر به وكان الذين
ينهى عما عساه يعرض في النفس من وجوب طاعة الخلق لامره وان عليهم
ان يسمعوا ويطيعوا امره ان يأمر فان ذلك فساد في القلب والدين واشار الى

ذلك السادس بقوله ادعى الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة احدها
انه ادعى الى القلب صرف له عن دين الله وهو معنى افساده الثاني
ان ذلك يمسكه للدين واضعاف له الثالث انه مقرب من الغير لكون
الظلم من اقوى الاسباب المعدة باجماع همم الخلق على زواله واليه الاشارة
بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم الآية والكلام في قوة ثلث صغريات
لثلث ضماير وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان كذلك فلا يجوز ارتكابه
السابع ارشده الى دوا الابهة والكبر الذي عساه يعرض له في سلطانه
وولايته وذلك ان ينظر الى عظم الله تعالى فوقه وقدرته على ما لا يملكه
من نفسه ولا يستطيع طلبها او دفعها عنها فان ذلك يسكن حدة الكبر الذي يحدث
له فيطغيه ويكسر حدة غضبه ويرد اليه ما يقربه قوته الغضبية من عقله
تعزب عند جماحها وهذه ايضا صغريات ثلث لثلثة ضماير تبنى فيها على وجوب
فعل ما ارشده اليه من الدواء وتقدير الكبريات فيه وكل ما كان كذلك يجب
عليك فعله الثامن حذره من التعظم والتجبر ونفره عن ذلك بكونهما
مساماة لله وتشبها به وبان التكبر يستلزم ان يذل الله صاحبه ويهينه
وتقدير الاحتجاج فانك ان تجبرت ولحلت بذلك الله ويهينك وهو في
قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر من الله
بترك التجبر التاسع امره بانصاف الله وانصاف الناس من نفسه واهل هواه
من رعيته فانصاف الله العمل باوامره والانتهاء عن زواجره متقبلا بذلك نعمه وانصاف
الناس العدل فيهم والخروج اليهم من حقوقهم اللازمة لنفسه ولاهل خاصته واحتج
على وجوب ذلك الانصاف بقياس مفصول صغرى الاول قوله فانك ان لا تفعل
تظلم اي تظلم عباد الله وكبراه ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده

وتقدير نتيجته فلذلك لا نفعل الا ادحض الله حجتك عند مخاصمته وكنت له حربا
الى ان ينزع ويتوب من ظلمكه وقوله وليس شي الى قوله على ظلم تنبيه
على لازم آخر لعدم الانصاف والاقامة على الظلم وهو كونه ادعى الى تغيير نعمة الله
وتعجيل نقمته من كل شي وذلك قوله فان الله الى قوله بالمرصاد بيان للزوم
اللازم المذكور وذلك ان الله سبحانه اذا كان يسمع دعوة المظلوم ويطلع على
فعل الظالم فانه يسرع الى تغيير نعمته اذا استعد لذلك العاشر امره ان
يكون احب الامور اليه اقربها الى حاق الوسط من طرفي الافراط والتفريط وهو
الحق واعمها للعدل واجمعها لرضا الرعية فان العدل قد يقع على وجه لا يعم
العامة بل يشمع فيه رضا الخاصة لقلتهم بل يجحف به ولا ينتفع برضاهم عند
سخط العامة وذلك يؤدي الى وهن الدين وضعفه اما سخط الخاصة فانه
مغتفر ومستور عند رضا العامة فكان رضاهم اولى الثاني انه وصف
الخاصة بصفات مذمومة تستلزم قلة الاهتمام بالنسبة الى العامة ووصف
العامة بصفات محمودة توجب العناية بهم اما صفات الخاصة فاحدها كونهم
اثقل مؤونة على الوالي في الرخاء لتكلفه لهم ما لا يتكلفه لغيرهم الثاني كونهم
اقل معونة له في البلاء لمحبتهم الدنيا وعزة جانبهم الثالث كونهم اكره للانصاف
لزيادة اطماعهم في الدنيا على العامة الرابع كونهم اسال بالالحاف لانهم عند
الحاجة الى السؤال اشد جراة على الوالي واطمع في الولاية جانبا الخامس
كونهم اقل شكرا عند الاعطاء لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما
يعطونه واعتقادهم حاجة الوالي اليهم وتخوفه منهم السادس كونهم ابطا
عذرا للوالي عند منعهم اي انهم اقل مسامحة له ان اعتذر اليهم في امر لاعتقادهم فضيلة
انفسهم وكونهم ولحين قضا الحقوق السابع كونهم اضعف صبرا عند

ملمات الدهر لتعودهم الترفه وجزعهم على ما في ايديهم من الدنيا واما صفات
العامه فاحدها كونهم عمود الدين فاستعار لهم لفظ العمود باعتبار قيام
الدين بهم لقيام البيت بعموده الثاني كونهم جماع المسلمين لكونهم الاغلب
والاكثر والسواد الاعظم الثالث كونهم العده للاعدا لكثرتهم ايضا
ولانهم كانوا اهل الحرب في ذلك الزمان وهذه الصفات للفريقين تستلزم وجوب
حفظ قلوب العامه وتقديمه على حفظ قلوب الخاصه ولذلك امره ان يكون صغوه
وميله الى العامه الحادي عشر امره ان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم
اليه اطلبهم لمعايب الناس الى قوله سترها واذا كان الوالي احق من سترها
لزم ان لا يكشف عما غاب عنه منها وذلك لنفع اهل النميمه وابعادهم وان يلزم ما يجب
عليه وهو تطهير الخلق مما ظهر له من دينهم دون ما غاب عنه واكد ذلك بالامر
بستر العوره من الغير بقدر الاستطاعه فان كل عيب عوره ونبه على الرغبه
في ذلك بما يستلزمه من اعداده لستر الله منه ما يحب ان يستره على غيره
من الذنوب والعيوب الثاني عشر امره بنزع الحقد وحل ما عقده في قلبه منه
لكونه من الرذايل الموبقه وان يقطع اسبابه من قبول قول السعاه واهل النميمه
الثالث عشر امره ان يتغافل عن كل امر لا يتضح له ولا يقوم به برهان
ونهاه ان يعجل الى تصديق من سعى به ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله
فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ووجه عيبه كونه سبب الاحقاد والضغاين بين
الناس ومنبع الفاحشه والفساد في الارض وتقدير كبراه كل من كان غاشا
وجب ان لا يلتفت اليه الرابع عشر نهاه ان يدخل في مشورته ثلثه البخيل والجبان
والحريص ونبه على وجه المفسده في استشاره كل واحد من الثلثه بضمير صغرى
الاول قوله يعدل بك الى قوله الفقر وذلك لان البخيل لا يشير الا بما يراه مصلحه

عنده وهو البخل وما يستلزمه من التخويف بالفقر وهو يعدل بالمستشير عن
الفضل وصغرى الثاني قوله يضعفك عن الامور لان الجبان لا يشير الا
بحفظ النفس والتخويف من العدو وهو المصلحه التي يراها وكل ذلك مضعف
عن الحرب ومقاومه العدو وصغرى الثالث قوله يزين لك الشره بالجور
وذلك لان المصلحه عنده جمع المال وحفظه وما يستلزم الجور عن فضيله العدل
والقصد وتقدير الكبرى في الثلثه وكل من كان كذلك فلا يجوز استشارته
ثم نفر عن الثلثه بضمير آخر نبه بصغراه عن مبدا رذايلهم الثلث وهي
البخل والجبن والحرص ليعرف فيجتنب فينفر عن اهلها فذكر انها غرايز اي
اخلاق متفرقه تحصل للنفس عن اصل واحد يشملها وهو سوء الظن بالله
وعدم معرفته تعالى فالجاهل به لا بمعرفته من جهه ما هو جواد فياض بالخيرات
لمن استعد بطاعته لها يسيء ظنه به وبانه لا يخلف عليه عوض ما يبذله
فيمنعه ذلك مع ملاحظه الفقر عن البذل فيلزمه رذيله البخل وكذلك
الجبان جاهل به تعالى عن جهه لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وغير
عالم بسر قدره فيسيء ظنه بانه لا يحفظه من التلف وسقوط الهلاك فيمنعه
ذلك عن الاقدام في الحرب ونحوها فيلزمه رذيله الجبن وكذلك الحريص
جاهل به تعالى من الوجهين المذكورين فيسيء ظنه ويعتقد انه اذا لم يحرص
الحرص المذموم لم يوصل اليه تعالى ما يصلح حاله مما يسعى فيه ويحرص عليه
فيبعثه ذلك على الحرص وكذا النفس فكانت هذه الاخلاق الثلثه المذمومه
راجعه الى ما ذكره عليه السلم الخامس عشر لما كان من الاعمال الصالحه
اختيار الوزرا والاعوان نبهه على ما ينبغي استصلاحه لذلك ليجتنبه من
ينبغي تجنبه فمن لا ينبغي هو من كان للاشرار من الولاه قبله وزيرا

ومشاركا لهم في الآثام وينهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة له وتفرع
عنهم بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله الحلف وتقدير كبراه وكل من
كان كذلك فلا يجعل بطانة وقوله تمنى له مثل ارايهم غير لمن هو
الحلف من الاشرار وهو الذين ينبغي ان يستعان بهم وبيان لوجه حسنهم
بالنسبة الى الاشرار وهو ان يكون لهم مثل ارايهم ونفاذهم في الامر وليس عليهم
مثل اصارهم ولم يعاونوا ظالما على ظلمه ثم رغب في اتخاذهم اعوانا بضمير
صغراه قوله اوليك اخف الى قوله الفا اما انهم اخف مونة فلان لهم وازعا من
انفسهم عما لا ينبغي لهم من مال وجاه فلا يحتاج في ارضائهم بما ينبغي لهم او ردعهم
عما لا ينبغي الى مزيد كلفة بخلاف الاشرار والطامعين فيما لا ينبغي وبحسب
قربهم الى الحق ومجانبتهم للاشرار كانوا احسن معونة واشد عنده تلطفا
واشد حنوا عليه وعطفا واقل لغيره الفا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
فينبغي ان يتخذ عونا ووزيرا ولذلك قال فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وجعله
لانك ثم ميز من ينبغي ان يكون اقرب هولاء اليه واقوام في الاعتماد عليه باوصاف
اربعة احدها ان يكون اقولهم بمر الحق له الثاني ان يكون اقل مساعدة له فيما
يكون منه ويقع من الامور التي يكرهها الله لاوليائه وانتصب قوله واقعا على
الحال اي في حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلة المساعدة حيث وقع
من هواك سواء كان في هوى عظيم او يسير او حيث وقع هواك اي سواء كان
ما تهواه عظيما او يسيرا ويحتمل ان يريد واقعا ذلك الناصح من هواك ومحبتك حيث
وقع اي عظيما ان يكون له من هواك موقع تام امره في اختبارهم واختيارهم باوامر
احدها ان يلازم اهل الورع منهم والاعمال الجميلة واهل الصدق وهما فضيلتان
تحت العفة الثاني ان يروضهم ويؤدبهم بالنهي عن الاطراء له او يبجحوا له زورا

وقولا باطلا ينسبونه فيه الى فعل ما لم يفعله فيمدحونه في ذم قوله تعالى
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ويتفرع عن كثرة الاطراء نتيجة صغراه قوله
فان كثرة الاطراء الى قوله العزة واستلزام الاطراء للرذيلتين المذكورتين ظاهر
وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك يجب اجتنابه الثاني نهاه ان يكون
المحسن والمسيء عنده بمنزلة سواء ويتفرع عن ذلك بيان وجه المفسدة في ضمير صغراه
قوله فان ذلك الى قوله الاساءة وبيانه ان اكثر فعل الاحسان انما يكون طلبا
للمجازاة بمثله خصوصا من الولاة وطلبا لزيادة الرتبة على الغير وزيادة الذكر
الجميل مع انواع من الكلفة في ذلك فاذا راى المحسن مساواة منزلته لمنزلة المسيء
كان ذلك صارفا له عن الاحسان وداعيا الى الراحة من تكلفه وكذلك لما كان
للاساءة انما يترك خوفا من الولاة واشفاقا من نقصان الرتبة عند النظر فاذا
راى المسيء مساواة رتبته مع مرتبة المحسن كان التقصير به اولى وتقدير
الكبرى وكل ما كان فيه تزهيد للاحسان وتدريب على الاساءة فينبغي ان يجتنب
ثم اكد ذلك بامره ان يلزم كلا من اهل الاحسان والاساءة ما الزم به نفسه
من الاستعداد بالاحسان لهما فيلزم المحسن منزلة الاحسان ويلزم المسيء منزلة الاساءة
السادس عشر نبهه على الاحسان الى رعيته وتخفيف المؤونات عنهم وترك
استكراههم على ما ليس له قبلهم بما يستلزمه ذلك من حسن ظنه بهم المستلزم
لقطع النصب عنه من قبلهم والاستراحة اليهم وذلك ان الوالي اذا احسن الى رعيته
قويت رغبتهم فيه واقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنه
بهم فلا يحتاج معهم الى كلفة في جميع اهوائهم والاحتراس من شرورهم واكد ذلك بقوله
وان احق من حسن ظنك به الى قوله عنده السابع عشر نهاه ان ينقض سنة
صالحة عمل بها السلف الصالح من صدر هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها

الرعية فان نقض مثلها يستلزم فساد اثرها من الالفة وصلاح الرعية وذلك
مفسدة ظاهرة في الدين الثامن عشر نهاه ان يحدث سنة تضر بشي من ماضي
السنن واشار الى وجه الفساد فيها بضمير صغراه قوله فيكون الى قوله منها والضمير
في قوله سنها يعود الى السنن التي دخل عليها الضرر فيكون الاجر لمن سن السنة الماضية
التي دخل عليها الضرر فيكون الاجر لمن سن السنة الماضية التي ضرب بها سبيل الحادثة
الوزر عليك بما نقضت منها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي ان يجتنب
ويتحفظ عنه التاسع عشر امره ان يكثر مدارسة العلماء اي باحكام الشريعة
وقوانين الدين ومنافثة الحكماء اي العارفين بالله واسراره في عباده وبلاده العاملين
بالقوانين الحكمية التجربية والاعتبارية وتصفح انوار الاخبار في تثبيت القواعد والقوانين
التي يصلح عليها امر بلاده واقامة ما استقام به الناس قبله وبالله التوفيق

في التنبيه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم امر المدينة

ووضع كل على حده وطبقته التي تقتضي الحكمة النبوية وضعه فيها والاشارة
الى تعلق كل طبقة بالاخرى بحيث لا صلاح لبعضهم الا بالبعض وبذلك يكون
قوام المدينة ثم بالاشارة الى كل من يستصلح من كل صنف وطبقة ويكون اهلا
لتلك الرتبة والوصية في كل ما يليق به وذلك قوله واعلم ان الرعية طبقات لا
يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة
والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج
من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى
من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه
او سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله
حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام

للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون
عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث
من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون
عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات
فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم
مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم
ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه قوله فول من جنودك
انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك انقاهم جيبا وافضلهم حلما
ممن يبطي عن الغضب ويستريح الى العذر ويرؤف بالضعفا وينبوا عن الاقويا وممن
لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي الاحساب واهل
البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة واهل النجدة والشجاعة والسخا
والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما
يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شي قويتهم به ولا تحقرن
لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك
ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا
ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك عندك
من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم
من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم
يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة
استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل من حسن
الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز

امرئ
الشجاع ويحرض الناكل ان شا الله ثم اعرف لكل منهم ما ابلى ولا تضمن بلا
امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلايه ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله
ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم
احب ارشادهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم فان تنازعتم في شي فردوه الى الله ورسوله فالراد الى الله الاخذ
بمحكم كتابه والراد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر
للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم
ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفي الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا
يكتفي بادنى فهم دون اقصاه واوقفهم عند الشبهات واخذهم بالحجج واقلهم تبرما
بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم
ممن لا يزدهيه اطرا ولا يستميله اغرا واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضايه
وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة
لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال له عندك وانظر
في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى
وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم
محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحيا
من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا
واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم اسبغ عليهم
الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم
وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون
من اهل الصدق والوفا عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على

استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط
يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت
عليه العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته
بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح امره فان في صلاحه
وصلاحهم صلاحا لمن سواهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله
وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك
لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد
ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا علة او ثقلا او انقطاع شرب بالة او احالة
ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجوا ان يصلح به امرهم
لا تثقلن عليك شي خففت به المونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة
بلادك وتدبير ولايتك مع استجلابك حسن ثنايهم وتبجحك باستفاضة العدل
فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم
من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم
من بعد احتملوا طيبة انفسهم فان العمران محتمل ما حملته وانما يوتى خراب الارض
من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسو ظنهم بالبقا
وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص
رسايلك التي تدخل فيها مكايدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره
الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملا ولا تقصر به الغفلة عن ايراد
مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما ياخذ لك
ويعطي منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك
قدر
ولا يجهل قدر مبلغ نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل

ثم لا تكن اختيارك العمال على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان
الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ليس وراء ذلك من
النصيحة والامانة شي ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم
كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن
وليت امره واجعل لراس كل امر من امورك راسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشعب
عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ه ثم استوصي
بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق
ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في
بر وبحر وسهل وجبل حيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون
عليها فانهم سلم لا يخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك
وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا
للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة
فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه وليكن البيع بيعا
سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البايع والمبتاع فمن قارف
حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب في غير اسراف ثم الله في الطبقة
السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البوسى والزمنى فان في هذه
الطبقة قانعا ومعترا فاحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما
من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل
الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع
التافه لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور
من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاوليك ثقتك من

اهل الخشية والتواضع ولترفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله
يوم تلقاه فان هولا من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل
فاعذر الى الله في تادية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن
ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسالة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل
وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود
الله لهم
المعاقد جمع معقد مصدرا والمرافق
المنافع وتفاقم الامر عظم والخلوف المتخلفون جمع خلف والشح والحطمة
السفقة ويضلعك يثقلك والمحك اللجاج والحصر العي والعجز والبرم التضجر
والازدهاء انفعال من الزهو وهو الكبر والاطراء كثرة المدح والاغتيال
الاخذ على غرة والمحاباة المعاطاة في الامور والمقاربة فيها والاثرة الاستبداد
والجماح الجمع والتوخي التقصد والجدوة الجثوة والشرب النصيب من
الماء والبالة العمل من الآبار به الارض واحالت الارض تغيرت عما كانت عليه
من الاستوا فلم تنجب زرعها ولا اثمر نخلها والاجمام الاراحة ومعتمدا قاصدا
والاعواز الفقر واستنام الى كذا سكن اليه والمترفق طالب الرفق من التجارة
والمطارح جمع مطرح وهي الارض البعيدة والبايقة الداهية والغايلة الشر
والاحتكار حبس المنافع عن الناس عند الحاجة اليها والبوسى الشدة والقانع
السايل والمعتر الذي يتعرض للعطاء من غير سوال والصوافي جمع صافية
وهي ارض الغنيمة والتافه الحقير واشخصه همه رفعه وتصعير الخد امالته
كبرا وعجبه من دونه واعذر في الامر صار ذا عذر فيه واعلم ان في الفصل
ابحاثا البحث الاول انه قسم اهل المدينة الى سبع طبقات وحكم انه لا ينصلح
بعضها الا بالبعض على ما بينه وقوله من اهل الذمة وسلة الناس تفصيل

للاهل الاول فاهل الذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة الناس تفسير
لاهل الخراج ويجوز ان يكونا تفسير الاهل الجزية والخراج لان للامام ان يقبل
ارض الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة واراد بالسهم الذي سماه الله لكل
منهم الاستحقاق ولكل من ذوي الاستحقاق في كتابه احكاما من الصدقات
كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة وفصله في سنة نبيه صلى الله عليه
وحده الذي وضع الله عليه عهدا منه عندا اهل بيت نبيه هو مرتبته
ومنزلته من اهل المدينة الذين لا يقوم الا بهم فان للجندي منزلة وحدا محدودا
لا يجوز له تعديه وفريضته وقوته عنده والعمل بما يلزم تلك المرتبة كذلك
الكتاب والعمال والقضاة وغيرهم فان لكل منهم حدا يقف عنده وفريضة
يلزمه عليها عهد من الله محفوظ عند نبيه واهل بيته عليهم السلم اشتملت
عليها الشريعة ٥ البحث الثاني انه نبه بقوله فالجنود باذن الله
الى قوله معونتهم على ان لكل من الاصناف المذكورة تعلقا بالاخر بحيث لا
يقوم الا به والحاجة اليه ضرورية ومجموعهم تقوم صورة المدينة فبدا
بالجنود لانهم الاصل وذكر وجه الحاجة اليهم في اربعة اوصاف احدها
كونهم حصون الرعية واستعار لهم لفظ الحصون باعتبار حفظهم للرعية وحياطتهم
لهم كالحصن الثاني انهم زين الولاة فان الوالي بلا جند كاحد الرعية لا يبالي
به ولا يطاع له امر والفساد فيه ظاهر الثالث كونهم عز الدين واطلق
لفظ العز عليهم اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان العز للدين لازما لوجودهم
الرابع استعار لفظ سبل الامن لهم باعتبار لزوم الامن لوجود الجند في الطرق
ونحوها والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فليس
تقوم الرعية الا به وقوله وليس تقوم الرعية الا بهم نتيجة القياس

المذكور وقال باذن الله تنبيه على انه اراد جنود الحق الذين هم
مقتضى الحكمة لا مطلق الجنود الثاني اهل الخراج ومن يؤخذ
منهم واشار الى وجه استلزام الحاجة الى الجند للحاجة اليهم بقوله لا
قوام للجنود الى قوله حاجتهم بقوله لا قوام الى قوله الخراج دعوى
وقوله الذي يقوون الى قوله حاجتهم في قوة صغرى ضمير نبه
به عليها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قوام للجند الا به فينتج
انه لا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج ولما كان الخراج انما يحصل
من جماعة من الرعية ولا يقوم الا بوجودهم وجب ان يكون الحاجة اليهم
ضرورية ولا تقوم الجند الا بهم الثالث القضاة والعمال والكتاب
وجمعهم لان وجه الحاجة اليهم واحد واشار اليه بقوله لما يحكمون من
الى قوله وعوامها فانهم امناء الوالي والرعية على ما يجمعونه من الاموال او
يخص كلا منهم وعلى ايديهم يكون احكام العقود وجمع المنافع وهو في
قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فحاجة الجند والرعية
اليه ضرورية الرابع التجار وذوي الصناعات وادعى انه لا قوام
للاصناف السابقة الا بهم ونبه على ذلك بقوله فيما يجتمعون عليه من
مرافقهم فان كان ما يفعله التجار من جلب الامتعة وبيعها وشراها وتقويمه
من الاسواق وبذلك وما يفعله الصناع من المنفعة بايديهم مما لا يحصل
من غيرهم الانتفاع به مع بقي من افق ومنافع للرعية في مقام حاجتهم ضرورتهم
وهو في قوة صغرى ضمير كبراه ما سبق الخامس الطبقة السفلى
من اهل الحاجة والمسكنة ونبه على وجه الحاجة اليهم بقوله الذين يحق
رفدهم ومعونتهم وبيان ذلك ان رفد هولا ومعونتهم يستلزم اجتماع

همهم وتوفر دواعيهم لرافدهم ومعينهم وبهم يستنزل الرحمة ويستدر
البركة من الله تعالى لاهل المدينة ويدرك الثواب الاخرى فكانت
الحاجة اليهم داعية لذلك ٥ ولما اشار الى وجه الحاجة الى جميعهم
قال وفي الله لكل سعة اي في وجود الله وعنايته ليعتمد على الله في
تدبير امورهم اذ هو تعالى رب العناية الاولى وقال ويتكل على الوالي
حق بقدر ما يصلحه ليعلم ان مراعاة كل منهم واجبة عليه فيشتمل
عليها وبالله التوفيق البحث الثالث في امره باستصلاح كل
صنف باوصاف يجب ان يكون عليها ونصبه في مقامه فالصنف
الاول الجند واشار الى تعيين من يصلح لهذه المرتبة باوصاف وامره
ونهاه فيهم باوامر ونواهي اما الاوصاف فاحدها من كان انصح في نفسه
لله ولرسوله ولامامه جيبا اي اكثرهم امانة في العمل بما امر الله ورسوله
وامامه وناصح الجيب كناية عن الامين الثاني افضلهم حلما ثم وصف ذلك
الافضل فقال ممن يبطي عن الغضب ويستريح الى العذر فيقبله اذا جاءه
ويروف بالضعفا فلا يغلظ عليهم وينبو على الاقويا اي يعلو عليهم ويحب
المشار اليهم على من دونهم وممن لا يثيره العنف اي لا يكون له عنف فيثيره
كقولك ولا ارى الضب بها ينجحر وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا فعل
ولا تقعد به الضعف عن اقامة حدود الله واخذ الحقوق من الظالمين اي
لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك الثالث من كان من اهل الاحساب
والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة من الاحوال والافعال والاقوال
الخيرية الرابع من يكون من اهل النجدة والشجاعة الخامس من يكون من
اهل السخا والسماحة واما الاوامر فاحدها ان يولي من الجند من كان بهذه

الصفات الثاني ان يلصق من ذكر منهم اي يلزمهم في هذه المرتبة
ويرغب فيهم بقوله فانهم الى قوله العرف ووصفهم بكونهم جماع من الكرم
وهو الفضايل المذكورة لازمة لهم والامانة والسخا والسماحة فضايل تحت
العفة والحلم والنجدة فضايل تحت الشجاعة ويحتمل ان يكون الضمير في
قوله فانهم عايدا الى الفضايل المذكورة كقوله تعالى فانهم عدو لي
يشير الى الاصنام الثالث ان يتفقد من امورهم ومصالحهم ما
يتفقده الوالدان وهو كناية عن نهاية الشفقة عليهم الرابع نهاه
ان يعظم في نفسه شي تقويهم به من مال او نفع فيدعوه ذلك الى التقاصر
عن حقهم الخامس ان لا يحقر لطفا يتعاهدهم به فيحمله لحقارته
على تركه الصغير وكل ما كان كذلك فالاولى بل فعله السادس
نهاه ان يدع تفقد الصغير من امورهم اعتمادا على تفقد عظيمها واحتج
لاولويته بفعله بقوله فان لليسير الى فعله موقعا ينتفعون به والمعنى
ظاهر فان موضع اليسير المنتفع به يستغنى فيه عن الجسيم وتقدير
كبرى هذا الضمير وكل ما كان له موضعا ينتفع به فالاولى فعله لموضعه لينتفع
به السابع امره ان يكون اثر روس جنده عنده من كان بالصفات الاكرم
وهو الذي يواسي من تحت يده من الجند بما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم
مما في يده بما يسعهم ويسع من وراءهم من ضعفا اهليهم وخوالفهم حتى يكون بذلك
همهم واحدا فيكونوا اعوانا له وكالجسد في جهاد العدو ثم رغب في العطف عليهم
بما يستلزمه من عطف قلوبهم عليه وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
ما كان مستلزما لعطف قلوبهم فعله واجب مصلحته وانما كان سببه
محبتهم من اهم المطالب لانها لا تتم الا بامور ثلثة احدها حيطتهم

ومحافظتهم على ولاة امورهم الثاني قلة استثقال دولهم الثالث ان
يتركوا استبطاء انقطاع مدة دولهم وذلك في قوة صغرى ضمير تقديره كبراه
وما لا يتم الاهم للطالب الا به كان من اهم للطالب الثامن امره ان
يفسح في آمالهم اي يجعل لهم من نفسه طمعا يفسح به آمالهم فيه لان ذلك
مما لا يتم الامور الثلثة المذكورة الا به ولذلك رتب هذا الامر عليها بالفاء
التاسع امره ان يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء
منهم واحتج لوجوب ذلك بقوله فان كثرة الذكر الى قوله ان
شاء الله وهو ظاهر في القضية صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان
كذلك كان واجبا العاشر امره ان يعرف لكل امرئ ما ابلى في نفسه
اليه لانه يهز الشجاع ويشجع الجبان الحادي عشر نهاه ان يضم بلاء
امرئ الى غيره الثاني عشر ان يقصر به دون غاية بلائه فيذكر بعضه
او يحقره الثالث عشر ان يدعوه شرف امرئ الى ان يعظم صغير بلائه
فان كل ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد الرابع عشر امره
ان يرد الى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الامور محتجا
بالآية ثم فسر الرد الى الله بالاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول بالاخذ
بسنته ووصف السنة بكونها جامعة لان مدارها على وجوب الالفة
واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سبيله الصنف الثاني
قضاة العدل وعينهم له باوصاف وامره فيهم باوامر اما التعيين فاوجب
ان يكون افضل رعيته في نفسه وميز ذلك الافضل بصفات احدها
احدها ان يكون ممن لا تضيق به الامور محاورتها حين يرد عليه
الثاني ممن لا تمحكه الخصوم اي تغلبه على الحق باللجاج وقيل ذلك

كناية عن كونه ممن يرتضيه الخصوم فلا يلاحه ونقل ما اول قوله ٥
الثالث ان لا يتمادى في زلته اذا زل فان الرجوع الى الحق خير من التمادي
في الضلال الرابع ان لا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه كما يفعله قضاة السوء
حفظا للجاه وخوفا من شناعة الغلط الخامس ان لا تشرف نفسه على طمع
فان الطمع في الناس داعية الحاجة اليهم والميل عن الحق السادس ان لا يكتفي
بادنى فهم دون اقصاه لان ذلك مظنة الغلط السابع ان يكون اوقف
الناس عند الشبهات لانها مظنة الوقوع في المآثم الثامن احدهم
بالحجج التاسع واقلهم تبرما بمراجعة الخصم لما يستلزمه التبرم من تضييع
الحقوق العاشر وكذلك اصبرهم على كشف الامور الحادي عشر اصرمهم
عند ايضاح الحق قاطع النزاع آخذا الثاني عشر ممن لا يحدث له كثرة
المدح كبرا الثالث عشر ممن لا يستميله الى غير الحق اغراء بمن حكم يغلبه
ثم جمع فيه هذه الصفات تنبيها على ان فيها ما هو اولى دون ان يكون
شرطا في القضاء واما الاوامر فاحدها ان يختار ممن كان بالصفات المذكورة
الثاني ان يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر باله
الثالث ان يفسح له في البذل ما يزيح علته وهو كناية عما يكفيه ويقل معه حاجته
الى الناس فلا يميل اليهم وما يحتمل ان يكون زيد لا من البذل وان يكون مفعولا ليفسح اي
يوسع له ما يكفيه من المال ويحتمل ان يكون في معنى مصدر يفسح اي يفسح له فسحا يزيح
علته الرابع ان يعطيه من المنزلة عنده ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصته
ليامن بذلك اغتيال الاعداء وتقدير كبرى هذا الضمير وكل ما كان كذلك فواجب
بذله للقاضي الخامس ان ينظر في اختيار من كان بهذه الصفات فيما امره به
نظرا بالغا البحعا باقصاه وعلل ذلك بقوله فان هذا الدين الى قوله الدنيا واستعار

له لفظ الاسير باعتبار تصرفهم له كالاسير والكلام صغرى ضمير تقدير
كبراه وكل ما كان كذلك فيجب النظر في اختيار من يعمل فيه بالحق ويخرجه من
اسر اشرار الاشرار وبالله التوفيق الصنف الثالث العمال ووصفهم
ايضا باوصاف وامره فيهم باوامر مصلحية اما الاوصاف فاحدها ان يكون العامل
من اهل التجربة للاعمال في الولايات ليعمل على علم بقواعدها ويبذل بذلك لانه
الاصل الاكبر للعمل الثاني ان يكون من اهل الحيا فلا ينتهي في الانفعال الى حد
الاستحيا وهو طرف التفريط فتضيع به الحقوق والمصالح ولا يتجاوزه الى حد
الوقاحة فيقع في طرف الافراط وما يلزمه من الجفاوة وتنفر القلوب عنه ٥
الثالث ان يكون من اهل البيوتات الصالحة والقدم السابقة في الاسلام
وهي كناية عن البيوت المتقدمة في الدين والخير ولهم في ذلك فضل معروف
واشار الى وجه الحكمة في توليه من كان بهذه الصفات الثلث بقوله
فانهم الى قوله نظرا وذلك ان الحيا وصلاح البيوت والتقدم في الاسلام
يفيدهم كرم الاخلاق محافظة على الاعراض من المطاعن وقلة الاشراف والتطلع
الى المطامع الدنية والتجربة تفيدهم بلاغة النظر في عواقب الامور والكلام
في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو اولى بقصد ما يوليه
والعمل ۞ واما الاوامر فاولها ان ينظر في اموره فيستعملهم بعد التجربة
والاختبار ولا يوليهم محاباة وامره ان يعطوهم شيئا على الولاية فيوليهم وينالهم
بذلك دون مشاورة فيه فانهما اي المحاباة والاثرة والخيانة اما كما هو مصرح به
في بعض النسخ عوض الخيانة جمع من شعب الجور والخيانة اما الجور فللخروج بهما
عن واجب العدل المامور به شرعا واما الخيانة فلان يجري في اختيارهم من
الدين وهو امانة في يد الناصب لهم فكان نصبهم من دون ذلك بمجرد المحاباة ولا اثم

حرج جامع الامانة ونوعا من الخيانة وثانيها ان يقصد بالعمل من كان
بالصفات المذكورة للعلل المذكورة الثالث ان يسبغ عليهم الارزاق ونبه
المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان عونهم بالارزاق يكون قوة لهم
على استصلاح انفسهم الذي لا بد منه الثاني انه غنى لهم عن تناول ما تحت
ايديهم من مال المسلمين الثالث ان يكون حجة له عليهم ان خالفوا امره او ثلموا
امانته واستعار لفظة الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضماير تقدير
كبرياتها وكل ما كان كذلك كان فعله مصلحة واجبة الرابع ان يتفقد
اعمالهم ويبعث العيون والجواسيس من اهل الصدق والوفا عليهم واشار
الى وجه المصلحة في ذلك بقوله فان تعاهدك الى قوله الرعية فان تعهده
امورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم على اداء الامانة فيما ولوا من الاعمال وعلى
الرفق بالرعية والمذكور صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب
فعله الخامس ان يتحفظ من خيانة الاعوان من العمال وارشده بقوله
فان احد منهم بسط الى قوله التهمة الى ما ينبغي من اذابه واقامة سنة الله فيهم
واستعار لفظ التقليد لتعليق شبه التهمة اليه ملاحظة لشبهها بما يقلد
به من الشعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة وهذه العقوبة مقدرة
بحسب العرف وراي الامام او من ارتضاه الصنف الرابع اهل
الخراج وامره فيهم باوامر احدها ان يتفقد امور خراجهم ويتعرف فيه ما يصلح
اهله مما سنشرحه ثم اشار الى وجه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان في
صلاحهم الى قوله الا بهم ونبه بقوله لا صلاح لمن سواهم الا بهم على حصر صلاح
الغير فيه تاكيدا لتقدير الكبرى وكل من كان لا صلاح للناس الا به فيجب
مراعاة اموره وتفقد احواله ثم بين الصغرى بقوله لان الناس عيال على الخراج

واهله وهو ظاهر في ذلك الوقت الثاني ان يكون نظره في عماره
الارض ابلغ من نظره في طلب الخراج واستجلابه ونبه على وجه الحكمة فيه
بقوله لان ذلك اي الخراج لا يدرك الا بالعماره وهو في قوة صغرى ضمير ثم بينها
بقوله ومن طلبه الى قوله قليلا وهو اشارة الى ما يلزم بعض المدعي وهي مفاسد
ثلث احدها اخراب البلاد لعدم العماره والثاني اهلاك العباد لتكليفهم
ما ليس في وسعهم والثالث عدم استقامه امر الطالب للخراج والوالي على
اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى وكل ما لا يدرك الا بالعماره وجب ان
يكون النظر فيها ابلغ من النظر فيه فينتج ان النظر في العماره يجب ان يكون ابلغ
من النظر في الخراج الثالث امره ان يخفف عنهم من خراجه ما يرجو ان
يصلح به امرهم على تقدير ان يشكوا من حالهم ما عساه يلحقهم من ثقل ارضهم
من ثقل خراج او علة سماويه او انقطاع نصيب كان لهم من الماء او تغيير ارض
وفسادها بسبب غرق او عطش ثم نهاه ان يستثقل ما يخفف عنهم به المؤنه
واشار الى وجه الحكمة فيه بقوله فانه ذخر الى قوله العدل فيهم ومعناه ظاهر
ومعتمدا ينصب على الحال والعامل خففت وفضل ينصب بالمفعول عن معتمدا
وقوته والثقة عطف على المفعول المذكور ونبه على وجه المصلحة
في اعتماد فضل قوتهم بما اجممتهم والثقه منهم بما عودتهم من عدلك من قوله فربما
حدث الى قوله انفسهم وتقدير الكلام خفف عنهم معتمدا فضل قوتهم فان ذلك
يستلزم احتمالهم لما عساه يحدث من الامور مما تعولون اذ عولت عليهم فيه بطيب
نفس وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب
ان يخفف عنهم ويعتمد فضل قوتهم وفي قوله فان العمران يحتمل ما حملته بيان للصغرى
لان التخفيف عنهم يلزم عمران ارضهم وهو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حادث

الامور ثم بينه بقوله وانما يؤتى خراب الارض الى قوله اهلها على
سبب الخراب وبقوله وانما يعوز الى قوله العبر على ذلك السبب وهو
مركب من ثلثة اجزا احدها اشراف نفوس الولاة على الجمع والثاني
سوء ظنهم لانه لا يبقى في العمل والثالث عدم انتفاعهم بالعبر لغفله
التفاتهم اليها فظاهر ان هذه الامور اذا اجتمعت في الوالي
استلزمت جمعه للمال واستقصاه على الرعيه واستلزم ذلك اعوازهم
وفقرهم فاستلزم ذلك خراب ارضهم وتعطيل عمارتها الصنف
الخامس الكتاب وامره فيهم باوامر احدها ان يولي امورهم
خيرهم وتغيير الخير هنا هو من كان ثقه فيما يراد منه من مصالح
العمل الثاني ان يخص رسائله واسراره ومكايده باجمعهم لصالح الاخلاق
وقد علمت اصولها غير مره وهي العلم بوجوه الاراء المصلحيه والتهدي
الى موضع كل سر موضعه ثم العفه والشجاعه والعداله مع ما يجب
الاربعه من الفضائل الخلقيه ثم فسر بعض الفضائل التي عداها تخفي وذكر
منها خمسا احدها عدم البطر وهي فضيله تلزم الشكر
وهو فضيله تحت العفه ونفر عن صاحب البطر بقوله فيجترى الى قوله
ملا وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من يجترى عليك كذلك
فلا يصلح لولاية امرك الثانيه الفطنه والذكا فيما هو بصدده من الامور
المذكوره وكنى عن ذلك بقوله ممن لا تقصر به الغفله الى قوله منك
والذكا فضيله تحت الحكمه الثالثه ان لا يكون ممن يضعف عقده
لك من الامور بل يحكمه محكما الرابعه ان لا يعجز عن اطلاق
ما عقده عليك خصومك من الامور بالحيله والخديعه وهذان لازمان

لاصالة الراي وهي فضيلة تحت الحكمة الخامسة ان لا يحمل
مبلغ قدر نفسه في الامور فيرفعها الى فوق محلها ومرتبتها وهي فضيلة
تحت الحكمة الخلقية ايضا ونبه على اجتناب الجاهل بذلك بقوله
فان الجاهل الى قوله الجهل وهي صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من كان
كذلك فيجب اجتنابه الثالث نهاه ان يكثر اصحابه للعمال تفرسا منه
وسكونا وحسن ظن باحدهم واشار الى وجه المفسدة في ذلك بقوله
فان الرجال الى قوله شي والمعنى ان الرجال قد يتصنعون بحسن الخدمة
ويتعرضون لان يتفرس فيهم الولاة فيعرفونهم بذلك مع انه ليس وراء
ذلك التصنع من النصيحة والامانة شي وهو صغرى ضمير تقديره كبراه
وكل من كان كذلك فينبغي ان لا يعتمد على اختياره بحسب الفراسة
الرابع امره ان يعتمد اختيارهم كذلك امره ان يختبرهم بولايتهم لمن كان
قبله من الصالحين ارشادا الى وجه الاختبار ونبه على من كان بالصفات
المذكورة وهو ان يكون احسن اثرا في العامة واعرفهم بوجه الامانة في الدين
ورغبه في ذلك بضمير صغراه فان ذلك الى قوله امره وتقدير كبراه
وكل ما كان كذلك وجب فعله الخامس امره ان يجعل لراس كل
امر من اموره راسا من الكتاب الموصوفين بكون مناسبا له بحيث لا يكبر
عليه كبيرها فيقهره ولا يكبر عليه كثيرها فيشتت عن ضبطه ويقصر
دونه السادس نهاه ان يتغافل عما يكون في كتابه من عيب وتنبيهه
على ذلك بقوله ومهما الى قوله الزمته وهو صغرى ضمير تقديرها فان كل
ما يتغافل عنه من ذلك يلزمه به وتقدير كبراه وكل ما يلزم به فلا يجوز ان
يتغافل عنه الصنف السادس التجار وذوو الصناعات وامره

فيهم بادا امرا ولها ان يستوصي بهم خيرا الثاني امره ان يوصي بهم كذلك
باصنافهم المقيم منهم والمضطرب في تجارته بماله والمترفق ببدنه وهم اهل
الصنايع واشار الى وجه الحكمة في الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين
احدهما منفعتهم وذلك قوله فانهم الى قوله عليها والضمير في قوله
مواضعها وعليها يعود الى المنافع وقوله وحيث اي من مكان لا يجتمع
الناس لمواضع تلك المنافع منه ولا يجترون عليها وذلك بحسب كالبحار والجبال
ونحوها الثاني انه لا مضرة فيهم وذلك قوله فانهم سلم الى قوله غايلته
وتقدير كبرى الضميرين وكل من كان كذلك فيجب الاستيصا به
والوصية بالخير في حقه الثالث ان يتفقد امورهم بحضرته وفي حواشي
بلاده وما عساه يعرض لهم من المظالم والموانع ليزيلها عنهم الرابع
ان يعلم ان فيهم من المعايب المعدودة وهي الضيق الفاحش والشح والتفسير
هنا البخل ثم الاحتكار للمنافع التي يعم نفعها وهي الحنطة والشعير
والتمر والزبيب والسمن والملح ثم التحكم في البياعات وهو عبارة
عن البيع على حكمه بالهوى المطلق من غير تقييد بشريعة او عرف
فان ذلك عدول عن العدل الى رذيلة الجور ثم نبه على وجه المفسدة
اللازمة لتلك المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاة اما انه مضرة
فظاهر واما انه عيب على الولاة فلان قانون العدل بايديهم فاذا
اهملوه بترك ردع هولاء عن طرف الجور توجهت اللائمة نحوهم والعيب
عليهم وهو صغرى ضمير تقديره كبراه وكل ما كان كذلك فيجب انكاره
وردعه الخامس لما بين له وجه المفسدة في تلك المعايب امره بمنع
الاحتكار واحتج بمنع الرسول صلى الله عليه وسلم له السادس

امره يكون البيع سهلا سمحا وان يكون بموازين عدل واسعار لا تجحف بالبايع فيذهب اصل مبيعه ولا بالمشتري فيذهب راس ماله السابع امره بايقاع النكال على من احتكر بعد نهيه عن ذلك وان يعاقبه من غير اسراف الصنف السابع الطبقة السفلى وميز هم باوصاف وامر فيهم باوامر ونواهي اما تمييزهم فالعاجزون عن الحيلة والاكتساب والمساكين والمحتاجون واهل البوسى والزمنى وهولا كلهم وان دخل بعضهم في بعض الا انه عدّاهم بحسب تعدد صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا يتغافل عن احدهم ويتساهل فيه واما الاوامر فاحدها انه حذر من الله فيهم واشار الى وجه الحكمة في ذلك التحذير بقوله فان فيهم قانعا ومعترا وهو ضغري صمير بقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر الله فيه ويحفظ له ما استحفظ من حقه فيه الثاني ان يجعل لهم قسما من بيت ماله ومن صوافي الاسلام في كل بلد واضاف بيت المال اليه واراد الذي يليه ونبه على ذلك بقوله فان للاقصى الى قوله حقه وتقدير كبرى هذا الضمير وكل من كان كذلك وجب ان يحسن الرعاية في حقه باداه اليه الثالث نهاه ان يشغله عنهم بطر ونفر عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر الى قوله المهم واراد بالتافه القليل من امورهم واحوالهم وهو ضمير بقدير كبراه وكل من لا يعذر بذلك فلا يجوز له الشغل عنه الرابع نهاه ان يصعر خده عنهم اي يعرض به عنهم تيها وكبرا الخامس نهاه ان يصعر خده لهم وهو كناية عن التكبر عليهم السادس امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم لعجزه وحقارته في عيون الاعاظم والجند وان يفرغ

لهما ولا تغنه له من اهل الخشية والتواضع وينصبه لهم ليرفع اليه امورهم السابع ان يعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم يلقاه اي يعمل في حقهم ما امره الله به بحيث يعتذر اليه اي يكون ذا عذر عنده اذا سأله عن فعله بهم ونبه على وجه الحكمة في مزيد العناية بهم بقوله فان هولا الى قوله وعيرهم الثامن اكد الامر بالاعذار الى الله في تادية حق كل واحد من المذكورين اليه التاسع امره ان يتعهد الايتام وذوي الرقة في السن اي الذين بلغوا في الشيخوخة الى ان رق جلدهم وضعفت حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم وممن لا ينصب نفسه للمسالة وحاجته وفقره ثم اشار الى ثقل التكليف بجموع الاوامر السابقة بقوله وذلك على الولاة ثقيل وبقوله والحق كله ثقيل توطينا لنفسه على ذلك ثم رغبه فيه بقوله وقد يخففه الله الى قوله لهم تنبيه حقيقة الى الله ليرغبه فيه ويشجعه على فعله واستماله بذكر صفات الصالحين وهم الذين طلبوا العاقبة من الله في الآخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيوية ووثقوا بصدق موعود الله لهم في القرار وبالله التوفيق

في امر ونواهي مصلحية وآداب خلقية وسياسية بعضها عامة وبعضها خاصة تتعلق بعماله وبخاصته وبطانته وبنفسه واحوال عبادته الى غير ذلك فهو قوله واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يوخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق

والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب
طاعته واعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من
امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك
ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تحرج به صدور
اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك
وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا
صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص لله دينك
اقامة فرايضه التي هي له خاصة واعط الله من بدنك في ليلك ونهارك
ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا
من بدنك ما بلغ فاذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا
فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سالت رسول الله صلى الله عليه واله
حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين
رحيما واما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة
عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب عنهم يقطع عنهم
علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن
ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه
الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من
الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت بالبذل في الحق ففيم احتجابك
من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس
عن مسالتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة
فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة

وبطانة فيهم استيثار وتطاول وقلة انصاف فاحسم مؤونة اولئك بقطع
اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا
يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك
يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا
والاخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا
واقعا ذلك من قرابتك وخواصك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك
منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك
واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان في ذلك اعذارا تبلغ به حاجتك من
تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان في الصلح
دعة لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر
من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب فخذ بالحزم واتهم في ذلك — ليتغفل
حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة والبسه ما اعطيت
فانه ليس من فرايض الله سبحانه شي الناس اشد عليه اجتماعا مع تفريق
اهوايهم وتشتيت ارايهم من تعظيم الوفا بالعهود وقد لزم ذلك المشركون
فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا
تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجتري على الله الا جاهل شقي وقد جعل
الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته
ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد
عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التاكيد والتوثقة ولا
يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك
على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان

يحيط بك فيه من الله طلبة ولا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدما
وسفكها بغير حلها فانه ليس شي ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال
نعمة وانقطاع مدة من سفك الدما بغير حقها والله سبحانه مبتدي بالحكم
بين العباد فيما تسافكوا من الدما يوم القيمة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام
فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي
في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطا وافرط عليك سوطك او يدك
بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان
تودي الى اوليا المقتول حقهم واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك
منها وحب الاطرا فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من
احسان المحسن واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او
ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور
الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس فان الله سبحانه يقول كبر
مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون واياك والعجلة بالامور قبل اوانها او التساقط
فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت
فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستيثار بما الناس
فيه اسوة والتغابي عما يعنى به مما قد وضح للعيون فانه ماخوذ منك لغيرك
وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية
انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك
بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك
من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى
لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد
لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من
الحجة لنفسي عليك لكي لا يكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها

الشرط قوم يعلمون انفسهم بعلامات الخدمة
يعرفون بها والخرق ضد الرفق والانف الانفة وهي خصلة تلازم الكبر
والاكناف الجوانب والاسداد الاعطا والحامة القرابة والعقدة الضيعة
والعقلة ايضا المكان كثير الشجر والنخل واعتقد الضيعة انشاها
والمغبة العاقبة واصحر اي ظهر والدعة الراحة واستوبلوا الامر
استثقلوه والوبال الوخم يقال استوبلت البلاد اذا استوخمت فلم توافق
ساكنها وخاس بالعهد نقضه والختل الخداع وانصاه سطه واستفاض
الماسال والادغال الافساد والدغل الفساد والمدالسة مفاعلة من
التدليس في البيع وغيره كالمخادعة ولحن القول كالتورية والتعريض فيه
والوكزة ما ضربته والدفعة وقيل هي جمع اليد على الذقن والنخوه الابهه
والمحكي من الامر وسورة الرجل سطوته وحد باسه وغرب اللسان حدته
والبادرة سرعة السطوة والعقوبة ه اما الامور التي تعم مصلحتها
فاحدها ان تجعل لذوي الحاجات نصيبا من نفسه تفرغ لهم فيه بدنه عن
كل شاغل ويجلس لهم مجلسا عاما اما في الاسبوع او دونه حسب ما يمكن الثاني
ان يتواضع فيه لله ورغبة في التواضع نسبته الى الله باعتبار انه خالقه الذي
من شانه ان يخضع له التواضع الثالث ان يقعد عنهم جنده واعوانه وابان وجه المصلحة
في ذلك بقوله فاني سمعت الى قوله القوي ووجه الدليل من هذا الخبر انه دل
بالمطابقة على وعيد الامة التي لا ينتصف فيها لضعيف من قوي بعدم طهارتها

المستلزم لعدالتها الاحرى دلّنا الاكثر على وجوب ان يكون فيها ذلك ثم لمّا
كانت الامور المأمور بها مما لا يتم ذلك الواجب الا بها كانت بأسرها واجبة
الرابع امور يلزمه مباشرتها وان عمّت مصلحتها وامور مبتدا حذف
خبره اي وهناك امور او نحوه منها اجابة عماله بما يرى المصلحة في الجواب
به نقد يعجز الكتاب عن كثير من ذلك ومنها اصدار حوائج الناس التي
تضيق منها صدور اعوانه عنده وردّها عليه ولا ينبغي له ان يكلها اليهم
فان غاية قضائهم لها اذا قضيت ان يكون على غير الوجه المرضي الخامس
ان يمضي لكل يوم عمله ونبه على ذلك بقوله فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه واذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يمضي فيه ما له
السادس ان يجعل لنفسه في معاملة الله افضل تلك المواقيت اي الاوقات
المفروضة للاعمال واجزل تلك الاقسام الاعمال المؤقتة فافضلها ابعدها
عن الشواغل الدنيوية واقربها الى الخلوة بالله سبحانه ونبه بقوله وان
كانت الى قوله الرعية على ان اصلح الاعمال الخالص لله ۵ السابع ان يكون
في خاصة ما يخلصه لله في دينه اقامة فرائضه فيخصها بمزيد عناية منه
ورعاية الثامن ان يعطي الله من بدنه في ليله ونهاره اي طاعة وعبادة
فحذف المفعول الثاني للعلم به ولقرينة كون الليل والنهار محلين للافعال
ولقرينة ذكر البدن التاسع ان يوفي ما تقرب به الى الله من ذلك كاملا غير
مثلوم وبالغا احوال وما نصب على المصدر بقوله بالغا اي بالغا من بدنك
ما بلغ من القوة على الطاعة العاشر من الاداب الراجعة الى حال الامام
بالناس في الصلوة ان يكون متوسطا في صلوته بين التطويل المنفر للناس بتطويله
وبين المضيع لاركان الصلوة وفضلها واحتج لنفي التنفير بالتطويل بالمعقول

والمنقول اما المعقول فضمير صغراه قوله فان في الناس من به العلة
والحاجة وتقدير كبراه وكل من كان فيه من ذكر فيجب ان يرفق به ويخفف
عنه واما المنقول فما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الخبر ووجه التشبيه بصلوة الاضعف تخفيف الصلوة بعد حفظ اركانها
وواجباتها الحادي عشر من الاداب المصلحية لتدبير المدينة النهي عن طول
الاحتجاب عن الرعية ورغب في الانتهاء عنه من وجوه احدها
انه نوع من انواع الضيق على الرعية اذ كانت مشاهدتهم للوالي تفرج عنهم
ما يكنّهم من الامور المهمة لهم الثاني انه قلة علم بالامور اي يلزمه
ذلك فاطلق اللازم على ملزومه واكد ذلك بقوله والاحتجاب عنهم يقطع
منهم اي الولاة علم ما احتجبوا دونه من امور الرعية ثم اشار الى ما يلزم
عدم علمهم من المفاسد وهو ان يصغر كبير الامور عندهم كان يظلم بعض
حاشية الامير احدا فيصغر الاعوان جريمته عنده فيصغر وكذلك
يعظم صغيرها لو وقع من ضعيف صغير ذنب في حق كبير وكذلك
يقبح عندهم الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل ويلبس به وذلك
قوله فتصغر الى قوله بالباطل ثم نبه على وجه لزوم قطع العلم بالامور
لطول الاحتجاب بقوله وانما الوالي بشر والبشر من خاصته انه لا يعرف
ذلك الا بعلامة وليس على الحق علامات تعرف بها ضروب الصدق من القول
من كذبه الثالث انه رغب في الانتهاء عنه بضمير صغراه شرطية
منفصلة وهي قوله وانما انت الى قوله بذلك وملخصه انك اما ان يكون
مطبوعا على السخاء بالبذل في الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان الكبرى اما ان كان سخيا ببذل

[illegible] ابن ميثم

الحق فانه عند الطلب منه اما ان يعطي حقا يجب عليه او يشغل بفعل
الكرماء وذلك لا يجوز الاحتجاب عنه واما ان كان مبتلى بالمانع فان
الناس يسرعون الكف عن مسالته اذا يسوا من بذله وحينئذ لا معنى للاحتجاب
عنهم السابع قوله مع ان اكثر الى قوله معاملة وهو صغرى ضمير تقدير
كبراه وكل من كان اكثر حاجات الناس اليه ما لا مؤنة عليه فيه من
الامور المذكورة فلا معنى لاحتجابه عنهم الثاني عشر من الامور المصلحية
المتعلقة بخاصته ان يحسم مؤنتهم عن الرعية وقوله بقطع اسباب
المؤنة ارشاد الى سبب قطعها واشار الى وجه ذلك بذكر ما فيه من
الاستئثار على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالاذى وقلة الانصاف
وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب
قطع مؤنته عنهم والاحوال التي امر بقطع اسبابها هي وجوه المؤنة المذكورة
من الاستئثار والتطاول وقلة الانصاف وقوله ولا تقطعن الى
قوله مشترك تفصيل الوجوه فقطع الاسباب المذكورة فان اقطاع الحرم
قطيعة وطمعه في اتخاذ ضيعة تضر من يليها من الناس في العمل المشترك
حمل مؤنته على الناس كما ورد نحوها هي اسباب الاحوال المذكورة من
وجوه المؤنة وقطع تلك الاحوال بقطع اسبابها ثم نفر عن اسباب المؤنة
على الناس بما يلزم تلك الاسباب من المفسدة في حقه وهي كون مهنا ذلك لهم
دونه وعيبه عليه في الدنيا والاخرة وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل ما كان مهناه للغير وعيبه عليك فلا يجوز فعله الثالث عشر
ان يلزم الحق من لزمه الحق من القريب والبعيد ويكون في ذلك الالزام
صابرا لما عساه يلحقه اذاية من مر الحق محتسبا له اي مدخلا في حساب

ما يتقرب به الى الله تعالى ويعد خالصا لوجهه واقعا ذلك الالزام من
مراتبه وخواصه حيث اتفق ووقوعه مقتضى الشريعة والواو في قوله وكن
للحال ورابعا اتصالا والعامل قوله والزم الرابع عشر ان ينفي
عامة ذلك الالزام بما ثقل عليه من فعله بخاصته كانه يستنقص بفعله
ما يلزمه في العاقبة من العاقبة من عيب الدنيا وعذاب الاخرة ورغب في
ذلك بقوله فان مغبة ذلك محمودة وهي تلك العاقبة وما يلزمها من السعادة
الباقية وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مغبته محمودة
وجبت الرغبة في فعله الخامس عشر امره على تقدير ان يظن الرعية
فيه حيفا ان يظهر لهم عذره فيما ظنوا فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم
باظهاره ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان الى قوله الحق فان
في اظهار عذرك لهم ان يصير ذا اعذار تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق
لغرضهم ان فعلك حق لا حيف فيه تقدير كبراه وكل ما كان كذلك
فينبغي فعله السادس عشر نهاه ان يدفع صلحا دعاه اليه عدوه
اذا كان صلحا يرضي الله ونبه على وجوه المصلحة فيه بضمير صغراه فان
في الصلح الى قوله لبلادك وهي ثلث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو وتقدير
كبراه وكل ما كان فيه هذه المصالح فواجب قبوله السابع عشر بالغ في
تحذيره من العدو بعد صلحه وامره ان ياخذ بالحزم وينبههم على حسن ظنه
الذي عساه ينشا عن صلحه ونبه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه
قوله فان العدو ربما قارب ليتغفل اي قارب عدوه بصلحه ليطلب
غفلته فيظفر به ولهذا قيل في ذلك شعر اهل التجربة وحذق المتعولين
للعلم بها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فواجب ان يحذر منه الناس

عشر امره على تقدير ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفا
ويرعى ذمته بالامانة ويجعل نفسه جنة دون ما اعطى منهما ان يحفظ
ذلك بنفسه ولو ادى الى ضررها واستعار لفظ اللبس لادخاله في
امان الذمة ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه وكذلك لفظ الجنة لنفسه
ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس ونحوه ورغب في ذلك بوجهين اشتمل
عليهما قوله فانه الى قوله العدو احدهما ان الناس اشد اجتماعا على ذلك
من غيره من فرايض الله الواجب عليهم مع تفرق اهوايهم وتشتت
ارايهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم واستقلوا الغدر
لما فيه من سوء العاقبة المذكورة فان صغرى ضمير تقدير الكبرى وكلما
كان كذلك فيجب لزومه والمحافظة عليه ثم اكد ذلك بالنهي عن الغدر
في العهد ونقض الذمة وخدع العدو ومعاهدته ثم الغدر به ونفر عن
ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله الاشقى وهو صغرى ضميرها
فان الجري على الله شقي وتقدير كبراه ناقض العهد والمدغل جري
على الله منتج من الرابع فالشقي هو ناقض والمدغل فيه ويجوز ان يكون تقدير
الصغرى فان ذلك جراة على الله يستلزم الشقاوة وتقدير الكبرى
وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه لينتج من الاول المطلوب الثاني
قوله وقد جعل الى قوله جواره وامنا اي مامنا واستعار لفظ
الحريم للعهد ورشح بذكر السكون الى منعته والاستفاضة الى جواره ونبه
بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمينان اليه والامن من الفتنه بسببه
فاشبه الحريم المانع والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك
فلا يجوز نقضه والادغال فيه التاسع عشر نهاه ان يعقد عقدا

تجوز فيه العلل اي الاحداث المفسدة له وهو كناية عن لغو باحكام
ما يعقد من الامور العشرون نهاه ان يعتمد على لحن القول
في الايمان والعهود بعد ان يؤكدها ويتوثق من غيره فيها او يتوثق
غيره منه فيها ومثال لحن القول ما ادعاه طلحة والزبير من التوجيه
والتورية في بيعتهما له عليه السلم اي لا تعتمد على ذلك من نفسك ولا تلتفت
اليه من غيرك كما ادعاه الحادي والعشرون نهاه ان يلجا عند ضيق
امر لزمه فيه عهد الله ان يطلب انطلاقه بغير حق ورغب في الصبر
عليه بقوله فان صبرك الى قوله اخرتك وهو صغرى ضمير تقديره واراد
بتبعته ما يتبعه الانسان من العقوبة وبالطلبة ما يطالب به يوم القيمة
من لزوم العهد واحاطتها به كناية عن لزومها له ووصف الطلبة بقوله
لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك واراد انه لا يكون لك مهاد بان تستقبلها
اذ لا تستقبل في الاخرة الا الامور الخيرية ومن احاطت به طلبة من
الله فلا خير له في الاخرة تستقبله ولا يستقيل بها اي لا يكون ذلك من
تلك الطلبة والتبعة اقالة في الدنيا ولا في الاخرة الثاني والعشرون
حذره من الدخول في الدنيا وسفكها بغير حق وهو كناية عن القتل ونفر
عنه بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله حقها وهو صغرى ضمير تقديرها
فان سفك الدما بغير حق ادعى الاشيا لحلول نقمة الله واعظمها في حوق
التبعة منه واولاها بزوال النعمة وانقطاع مدة الدولة والعمر ظاهر
انها اقوى المعدات للامور الثلثة لما يستلزمه من تطابق همم الخلق ودعايهم
على ذلك القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون القتل اعظم المصايب المنفور
عنها وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب ان يحذر فعله الثاني قوله

والله سبحانه الى قوله العظيم ونبه بابتداء آيه تعالى الحكم بين العباد في القتل
على انه اعظم عنده تعالى من سائر الكبائر وهي صغرى ضمير يقدر كبراه الله
وكل ما ابتدأ الحكم به فيجب التحري فيه واجتناب ما يكره منه
الثالث والعشرون نهاه ان يقوي سلطانه ودولته لسفك الدم
الحرام ونفر عنه بقوله فان ذلك الى قوله وينقله وهو صغرى ضمير بيانها
ما سبق فان سفك الدم الحرام لما استلزم الامور الثلثه المذكوره كان ذلك
مضعفا للسلطان ومزيلا له وبتقرير الكبرى وكل ما كان كذلك
وجب اجتنابه الرابع والعشرون نهاه عن قتل العمد حراما ونفر عنه
بامرين احدهما انه لا عذر فيه عند الله ولا عندك والثاني ان فيه
قود البدن وهما صغريا ضمير يقدر الكبرى فيهما وكل ما كان كذلك
وجب اجتنابه الخامس والعشرون نهاه ان يتكبر دولة الكبر
عن ان يبتلى بقتل خطأ او افراط سوط او يده عليه في عقوبه فاحده عن
الملك الكبر على اولياء المقتول فلا يؤدي اليهم حقهم ونبه بقوله فان الوكزه
مقتله على ان الضرب باليد للمسمى وكذا قد يكون فيه القتل وهو مظنه له
السادس والعشرون حذره الاعجاب بنفسه والثقه بما يعجبه منها
وحب الاطراء والاخبار بيان ان دوام الاعجاب وملازمة له ونفر عن الثلثه
بقوله فان ذلك الى قوله المحسن وفي نفسه متعلق باوثق وقوله ليمحق احسان
المحسن فاذا تمكن الشيطان من الفرصه وزين الاعجاب للانسان وارتكبه
يمحق بذلك ما يكون له من الاحسان والثاني ان المعجب بنفسه لا يرى لاحد عنده
احسانا فيكون اعجابه ماحقا لاحسان من احسن اليه ولما كان مبدأ الاعجاب
هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن ايضا هو الشيطان وبذلك نسبه

اليه والكلام في قوة صغرى ضمير يقدر كبراه وكل ما كان اوثق
فرص الشيطان الرجيم في نفسه وجب الاحتراز عنه السابع والعشرون
حذره رذائل ثلثة احدها المن على رعيته باحسانه اليهم الثانيه
التزيد فيما فعله في حقهم وهو ان ينسب الى نفسه من الاحسان اليهم ازيد مما
فعل الثالث ان يخلف موعوده لهم ثم نفر عن المن بقوله فان المن يبطل الاحسان
وذلك اشارة الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وعن التزيد بقوله فان التزيد يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا
الاحسان اليهم والصدق في ذكره في موضع يحتاج اليه فان على ذلك نورا
عقليا يرتاح له النفوس ويلتذ به ولما كان التزيد نوعا من الكذب في صوره فهو رذيله
عظيمه لا جرم كان مما يذهب نور ذلك الحق ويطفيه فلا يكون له وقع في نفوس
الخلق ونفر عن الخلف بقوله يوجب المقت عند الله والناس اما عند
الناس فظاهر واما عند الله فلقوله تعالى كبر مقتا عند الله الآيه
والثلثه صغريات ضمير يقدر كبرياتها وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه
الثامن والعشرون حذره من ايقاع الامور على احد طرفي التفريط والافراط
في الطلب العجله بها قبل اوانها واللجاجه فيها عند تنكرها وتعسر وجوه
ماخذها وعدم ايضاحها وتسهلها وطرف التفريط التساقط فيها والقعود
عنها اذا امكنت وهو يقابل العجله فيها والضعف عنها اذا استوضحت
وهو يقابل اللجاجه فيها عند تنكرها واستلزم النهي عن هذين الطرفين الامر
بايقاعها على نقطه العدل وهو الحد الاوسط من الطرفين وموقعها الحق
فلذلك قال فيضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه التاسع والعشرون
حذره من الاستيثار بما يجب التساوي للناس فيه كالذي يستحق من مال المسلمين

وبحق الثلثون وعن التغافل عما يجب العلم والعنايه من حقوق الناس المأخوذه
ظلماً مما قد وضع للعيون اهماله ونفر عن ذلك بقوله فانه الى قوله للمظلوم
واراد ما يستاثر به من حقوق الناس ويتغافل عنها وما في قوله عما زايده
واراد بالقليل من الحين الدنيا واشار باغطية الامور الى الهيئات البدنيه
الحاجبه لخفايا الامور من ان يدركها بصر بصيرته وقد علمت ان انكشاف تلك
الاغطية عند طرح بدنه وحينئذ يشاهد ما اعد له من خير او شر كما قال
تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآيه الحادي والثلثون
امره ان يملك حمية انفه اي انفته مما يقع من الامور المكروهه وسورة حده
وحده لسانه وملكه لهذه الامور انما يكون بالاحتراس عن تعدي قوته
الغضبيه ووقوفه في فعلها على حاق الوسط بحيث لا تعرفها الى حد الافراط
فيقع في رذيلة التهور ويلزمه في ذلك رذيلة الظلم الثاني والثلثون
امره بالاحتراس من تلك الامور وارشده الى اسبابه وهو كف البادره
وتاخير السطوة الى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك
الذي عساه مصلحة واشار الى وجه احكام تلك الاسباب بقوله ولن تحكم
ذلك الى قوله عليك وذلك ان كثرة الهم عن ذكر المعاد والفكر في امره يدافعه
مانع للرغبه في الامور الدنيويه التي هي المشاجرات وثوران الغضب الثالث
والثلثون اوجب عليه امرين جمعهما جامع ما اوصاه به في هذا العهد اجمالاً
احدهما ان يتذكر ما مضى لمن تقدمه من الحكومات العادله للولاة قبله
او من الآثار المنقوله عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم او من فرايض الله ليقتدي بما
شاهده من عمله عليه السلم فيها الثاني ان يجتهد لنفسه في اتباع ما عهد اليه
في عهده هذا واستوثق به من الحجة لنفسه عليه وهي الموعظة والتذكر باوامر الله

لكيلا يكون له علة يحتج بها عند تسرع نفسه الى هواها كما قال تعالى لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهو آخره واما اسال الله
سبحانه بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطا كل رغبه ان يوفقني
واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه
مع حسن الثنا في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامه
وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راغبون والسلم
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا
ختم هذا العهد بسؤال الله ان يوفقهما لما فيه رضاه واقسم عليه في
اجابة سؤاله برحمته التي وسعت كل شي وبقدرته العظيمه على اعطا
كل رغبه وظاهر كونهما سببين لاجابة السائلين ثم فصل ما ساله مما
فيه رضا الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله
والى خلقه فان قلت العذر انما يكون عن ذنب فمن اقام على طاعة الله كيف
يكون فعله عذرا قلت يحتمل ان يريد بالعذر هنا ما يصلح عذرا عما
يمكن ان يكون ذنبا من ترك اوامر الله والتقصير فيها ويحتمل ان يكون العذر
اسما من الاعذار الى الله وهو المبالغة في الاتيان باوامره فكانه قال من
الاقامة على المبالغة اليه في ادا اوامره الثاني حسن الثنا في العباد والبلاد
وذلك مما ساله الانبيا كابرهيم عليه السلم اذ قال واجعل لي لسان صدق في
الآخرين قيل هو الذكر الجميل في الناس الثالث ان يتم نعمته عليهما الرابع
تضعيف كرامته لهما الخامس الخاتمة الحسنه بالسعادة وما يوصل
اليها من الشهادة ونبه بقوله انا اليه راغبون على صدق نيته في سؤاله
ثم ختم بالسلام على رسول الله والصلوة عليه وآله

الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين وذكر هذا الكتاب ابو جعفر
الاسكافي في كتاب المقامات   اما بعد فقد علمتما وان
كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن
ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لحرص حاضر فان
كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعه
واسراركما المعصيه ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقيه والكتمان
وان دفعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد
اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمن فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما
من اهل المدينه ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن
رايكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والناره
خزاعة حي من الازد وقيل الاسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير
كان بين النهروان والبصره وكتاب المقامات الذي صنفه الشيخ المذكور
في مناقب امير المؤمنين وقد احتج عليهما في نكث بيعته بحجتين احداهما قوله اما
بعد الى قوله حاضر وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من علمتما
من حاله ذلك فليس لكما ان تنكثا بيعته وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما
اشارة الى انهم بعد نكث بيعته كتموا ارادتهم لبيعته وارادة كثير من الناس
وزعموا انه انما حملهم عليها كرها الحجة الثانيه قوله فان كنتما
الى قوله اقراركما به وهي شرطي منفصل تقديرها انه لا يخلو ان تكونا بايعتماني
طائعين او كارهين والاول هو المطلوب ويلزمكما ان تتركا المعصيه والرجوع
الى الله بالتوبة منها من قريب قبل استحكام المعصيه في نفسكما والثاني باطل
من ثلثة اوجه احدها انه يلزمكما النفاق حيث اظهرتما الطاعه واضمرتما

المعصيه فجعلتما لي بذلك السبيل عليكما في القول والفعل الثاني انكم
ما كنتم بالتقيه مني والكتمان لعصيانكم احق من المهاجرين وذلك لانهما
كانا اقوى الجماعه واعظمهم شانا فكان غيرهما من المهاجرين اولى منهما
بالتقيه عند البيعه ونكثها بعد ذلك الثالث ان دفعهما البيعه
قبل الدخول فيها اوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد اقرارهما وهذه
الاقوال الثلثه صغريات ضمير تقدير الكبرى في الاول وكل ما جعلتما لي عليكما
به السبيل فيحرم عليكما فعله وليس لكما ان تدعياه وفي الثاني وكل
من لا يكون احق من المهاجرين بدعواه فليس له ان يدعيه اذا لم يدعوه وفي
الثالث وكل ما كان اوسع لعذرهما فليس لهما العدول عنه الى ما هو
اضيق وقوله وقد زعمتما اني قتلت عثمن اشارة الى شبهتهما المشهوره
في خروجهما عليه وقوله فبيني الى قوله احتمل جوابها اي يحاكمني
الى من تخلف عن نصرتي ونصرتكما من اهل المدينه ثم يلزم كل منا اللائمه
والعقوبه بقدر ما احتمل من الاثم والبغي ثم بعد ان اقام الحجة عليهما
امرهما بالرجوع عن ذلك بقوله فان الآن الى آخره وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه والعار اسهل الخطبين من اجتماع العار والنار في نرقه
واراد بالعار العذر والآن ظرف انتصب باعظم الذي هو اسم ان ويجوز ان
يكون هو اسمها واعظم مبتدا خبره العار والجمله خبر ان والعايد الى اسمها
محذوف تقديره فان الآن اعظم امركما فيه العاره
الى معوية اما بعد فان الله
سبحانه جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا
ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلي

بها وقد ابتلاني بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فعدوت
على طلب الدنيا بتاويل القران وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته
انت واهل الشام بي والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم
فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى الآخرة وجهك
فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله بعاجل قارعة
تمس الاصل وتقطع الدابر فاني اولي بالله الية غير فاجرة لين جمعتني
واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين
عصبه علقه به والتاليب التحريض والقارعة الداهية والدابر
المتاخر من النسل والالية اليمين قوله اما بعد الى قوله لنبلى
بها اشارة الى عرض الدنيا وغايتها لينبه لذلك ويعمل له واراد بالسعي فيها
الذي لم يؤمر به اكتسابها لها دون غيره مما يكون للضرورة فان ذلك
مامور به في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله
وقد ابتلاني الى قوله الآخر تعيين لبعض اغراضها وقد علمت كيفية ابتلاه
لخلقه فيما قبل ووجه ابتلائه عليه السلم بمعوية عصيانه له ومحاربته اياه
حتى لو قصر في مقاومته ولم يقم في وجهه كان ملوما وكان معوية حجة لله عليه
ووجه ابتلاء معوية به عليه السلم دعوته الى الحق وتحذيره اياه من عواقب
المعصية حتى اذا لم يجب دعوته كانت له الحجة اللازمة والعقاب وكان عليه السلم حجة
الله عليه وذلك معنى قوله فجعل احدنا حجة على الآخر وقوله فعدوت الى
قوله فاعدكم اشارة الى بعض وجوه ابتلايه عليه السلم به ومعنى ذلك انه انما
يطلب بخروجه عليه الدنيا وجعل السبب الى ذلك تاويل القرآن لقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وغيره من الايات الدالة على

وجوب القصاص فتاولها بادخال نفسه فيها وطلب القصاص لعثمن وانما
كان دخوله في ذلك بالتاويل لان الخطاب خاص بمن قتل وقتل منه ومعوية
بمعزل عن ذلك اذ لم يكن من اولياء دم عثمن فيفسر الاية بالعموم ليدخل
فيها والذي لم تجنه يده ولسانه عليه السلم هو ما نسبوه اليه والب بعضهم
بعضا عليه فيه وهو قتل عثمن واراد وغلب عالمكم بحالي جاهلكم
به وقايمكم في حربي قاعدكم عنه ثم لما نبهه على غاية الدنيا جعل
الله سبحانه كلا منهما حجة على الآخر ليعلم ايهم احسن عملا
رجع الى موعظته وتحذيره بامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها
بعصيانه ومخالفة امره وان ينازع الشيطان قيادة واستعار لفظ
القياد للميول الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان الى
المعصية واذا سلمها بيد الشيطان وانهمك بها في اللذات الموبقة
ومنازعته للشيطان مقاومته لنفسه الامارة عن طرف الافراط
الى الحاق الوسط في الشهوة والغضب وان يصرف الى الآخرة وجهه
اي يولي وجهه شطر الآخرة مطالعا ما اعد فيها من خير وشر وسعادة
وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها وقوله وهي طريقنا وطريقك
صغرى ضمير نبه به على وجوب صرف وجهه الى الآخرة وتقدير كبراه
وكل ما كان طريقا للانسان فواجب ان يصرف اليها وجهه وجعلها طريقا
مجازا اطلاقا لاسم ذي الغاية عليها ثم حذره من الله ان يصيبه بداهية
يصيب اصله ويقطع نسله واراد بها ما نواه له من نقوضه اليه وحربه
اياه ولذلك اقسم على تقدير ان يجمعهما جوامع الاقدار لا يزال بباحته مقيما
حتى يحكم الله بينهما وفي ذلك غليظ الوعيد بعذاب شديد

وصى به شريح بن هاني لما جعله على مقدمته
الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور
ولا تامنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب
مخافة مكروهه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا
رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا
قد ذكرنا طرفا من حال انفاذه لشريح بن هاني مع زياد بن النضر
على مقدمته بالشام في اثني عشر الفا والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب
والواقم الذي يرد الشيء اقبح الرد يقال وقمه اي رده تعهر وعنف
والوقم القهر والاذلال وكذلك القمع وقد امره بتقوى الله دايما
ولما كانت تستلزم الاعمال الجميلة اردف ذلك بتفصيلها وهي ان يحذر
على نفسه الدنيا ونسب الغرور اليها لانها سبب مادي له وان لا يامنها
على حال لما يستلزمه ذلك من الغفلة عن الآخرة ثم اعلمه انه ان لم يردع نفسه
الامارة بالسوء عن الانهماك في كثير من مشتهياتها التي يخاف مكروهها
في العاقبة ويقف بها عند حدود الله ويسلك بها صراط المستقيم
لم يزل يسمو بها اهواؤها ويسوقها حتى تورده موارد الهلكة ثم اكد وصيته
بمنعها وقهرها عند نزواتها ووثبها في الغضب وقد عرفت ان اهمالها
مبدا كل شر يلحقه في الدنيا والاخرة

الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة
اما بعد فاني خرجت عن حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا
واما مبغيا عليه وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت
محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني

عرض هذا الكتاب اعلام اهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال اهل البصرة
واستنفارهم اليه وقد مر مثل ذلك وحيه قبلته وقوله اما ظالما
الى قوله عليه من باب تجاهل العارف فيه لان القضية لم تكن بعد ظهرت
لاهل الكوفة وغيرهم ليعرفوا اهو هو مظلوم او غيره ولذلك ذكرهم الله
لينفروا اليه فيحكموا انه من خصومه فيعينوه او يطلبوا منه العتبى
وهي الرجوع الى الحق واذكر متعد الى مفعول اول وهو المذكور وبان
هو المذكر به وهو الله تعالى وقد قدمه لكونه هو المقصود من
التذكير ولما مشدده بمعنى الا ومخففه هي ما زايده دخل عليها لام التاكيد
اي لينفرن الي وبالله التوفيق ○

الى اهل الامصار يقتص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين
فكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا
واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان
بالله والتصديق لرسوله صلى الله عليه واله وسلم ولا يستزيدوننا والامر
واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمن ونحن منه برآء فقلنا تعالوا نداوي ما لا يدرك
اليوم باطفاء النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على
وضع الحق في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت
الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمست فلما ضرستنا واياهم ووضعت
مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم اليه فاجبناهم الى ما دعوا
وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعاذير
فمن تم على ذلك منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى

فهو الاكثر الذي ران الله على قلبه وصارت دايرة السو على راسه
بدا الامر اوله ويروى بدا بدل بغي مبتدا والنايرة
العداوة وجحت سالت وركدت ثبتت وحميت اشتدت ويروى
بالشين المعجمة اي التهبت غضبا واستوثقت خلصت والتمادي في الشي الاقامة
عليه وطلب الغاية فيه والركس رد الشي مقلوبا والله اركسهم اي ردهم
الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدايرة الهزيمة يقال عليهم الدايرة ويوكد
سعيها بالاضافة الى السو والفصل من حكايته حاله مع اهل الشام وحالهم
والقوم عطف على الضمير في التقينا في قوله والظاهر ايضا اي بهمته
لهم نصدرك ذلك كما صرح به هو وعمار في صفين فما نكان نقول والله
ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه
والواو للحال وقوله فلن نستزيدهم اي لا نطلب منهم زيادة في الايمان
لتمامه منهم في الامور المذكورة التي لا يجوز الاختلاف معها لتظهر الحجة واستثنى
من ذلك ما وقع الاختلاف فيه وهي الشبهة بدم عثمن والجواب عنها اجمالا
ثم حكى وجه الراي الاصلح في نظام امر الاسلام وسلامة اهله وشورى عليهم
واباهم عن قوله الى الغاية المذكورة والبا في قوله باطفا النايرة متعلق
بقوله نداو وما لا يدرك اي لا يمكن تلافيه تعدد وقوع الحرب ومستدرك
من القتل وهلاك المسلمين وقوله تعالوا انما نداويه بالمكابرة حكاية
قولهم بلسان حالهم حين دعاهم الى نظام امر الدين بالرجوع عما هم عليه فكابروه
واصروا على الحرب وتجوز باسم الجنوح اطلاقا لاسم المضاف على المضاف اليه
واستعار لفظ النيران للحرب لتشابههما في استلزام الاذى
والهلاك ورشح بذكر الوقود وكذلك لفظ الحمش والتحريش وضع المحالب

ثم حكى اجابتهم ورجوعهم الى رايه الذي راه لهم وذلك انهم صبيحة ليلة
الهرير حين حملوا المصاحف على الارماح كانوا يقولون لاصحابه عليه السلم
معاشر المسلمين نحن اخوانكم في الدين الله الله في البنات والنسا كما حكيناه
اولا وذلك عين ما كان يذكرهم به عليه السلم من حفظ دما المسلمين
وذريتهم واما اجابته لهم الى ما دعوا فاجابته الى تحكيم كتاب الله
حين دعوا اليه وظهور الحجة عليهم برجوعهم الى غير ما كان يدعوهم اليه
من حقن الدما وفي ذلك استطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمن اذ كان
سكوتهم عن دم صحابي لا حق لهم فيه اسهل من سفك دما سبعين الفا
من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وقوله فمن تم على
ذلك اي ذلك الرضا بالصلح وتحكيم كتاب الله وهم اكثر اهل الشام واكثر
اصحابه عليه السلم والذين لجوا في التمادي للحرب واعتزلوه عليه السلم
بسبب التحكيم وكانت قلوبهم في اغشية من الشبهات الباطلة حتى صارت
دايرة السو على روسهم فصلوا الا الاقلين ٥

الى الاسود بن قطبه صاحب جند حلوان

اما بعد فان الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك
كثيرا من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق سوا فانه ليس في الجور عوض
من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك
راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط
فيها ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيمة وانه لن يغنيك عن
الحق شي ابدا ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك
فان الذي يصل اليك من ذلك افضل من الذي يصل بك والسلام

في الفصل لطائف احداها انه نبهه على وجوب ترك تنويع الاهوية
والاغراض عن اتباع مختلفاتها لما يستلزمه من المفسدة وهي الامتناع
عن كثير من العدل ووجه الاستلزام ظاهر لان اتباع الاهوية المختلفة
يوجب الانحراف عن حاق الوسط في المطالب ولما نبهه على مفسدة الجور امر
ببسط العدل والتسوية بين الخلق في الحق ثم نبهه على فضيلته بضمير
صغراه قوله فانه الى قوله العدل وتقديرها فان العدل ليس في الجور عوض
عنه وتقدير الكبرى وكل ما لم يكن في الجور عوض عنه فيجب لزومه واتباعه
الثانية لما كان اتباع مختلف الاهوية مما ينكر مثله عند وقوعه في حقه
او حق من يلزمه امره كالاذى اللاحق له مثلا امر باجتنابه وان لا يقع منه
في حق غيره ما يكره وقوع مثله في حقه والعبارة وافية بهذا المعنى والغرض
السفير عنه الثالثة امره بعد ذلك ان يبذل نفسه فيما افترض الله عليه
حالتي رجائه لثوابه وخوفه من عقابه لكونهما داعيي العمل الرابعة نبهه
على ان الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا ولما كان العمل الصالح فيها هو سبب الاستعداد للسعادة
الباقية لا جرم كان الفراغ من العمل فيها تركا للسبب سعادة لا تحصل يوم القيمة
الآتية فكان من لوازم رغبته منه في الدنيا الحسرة على ثمرته يوم القيمة الخامسة
نبهه على ضرورته الى العمل الحق بانه لا يغنيه عنه شيء غيره لان كل ما عدا
الحق باطل والباطل سبب للشقاء في الآخرة فلا يغني عنه السادسة
نبهه على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه اي من زلة القدم عن الصراط
المستقيم والوقوع في سواء الجحيم ثم الاحتساب على رعيته بجهده وطاقته
والاخذ على ايديهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقدم حفظ النفس على انه

الاهم ونبهه على وجوب الامرين بقوله فان الذي الى آخره واذا كان الذي
يصل الى نفسك من الكمال لاتباع الثواب اللازم عنهما في الآخرة
بسبب لزومك للامرين المذكورين افضل مما يصل بعد ذلك واحسانك
الى الخلق من النفع ودفع الضرر والله الموفق

الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش

من عبد الله علي امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة
الخراج وعمال البلاد اما بعد فاني قد سيرت جنودا هي مارة بكم
ان شاء الله تعالى وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف
الشذى وانا ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة المضطر
لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم
وكفوا ايدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا
بين اظهر الجيش فارفعوا الي مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من امرهم ولا
تطيقون دفعه الا بالله وبي اغيره بمعونة الله تعالى ان شاء الله
الشذى الاذى معرة الجيش المضرة الواصلة منه وعره معرة اي شانه ونكل
بنكل بالتشديد حجر ونكلوا خوفوا وعراه الامر غشيه وحاصل الكتاب
اعلام من على طريق الجيش من الجباة وعمال البلاد بمسيره عليه السلام لينتبهوا
ويحترزوا منه ثم وصيته الجيش بما ينبغي لهم ويجب عليهم من كف الاذى
عمن يمرون به ليعرفوا عموم عدله ويتأدبوا بآدابه ثم اعلامهم انه
بريء اليهم والى ذمتهم التي اخذها منهم من اساءة الجيش فانه ليس بآمر
من ذلك الا معرة جوعة المضطر التي لا يجد عنها الى شبعه مذهبا

وتقديرُ الكلام فاني ابرأ اليكم من معرّة الجيش الّا من
مجاعة جوعة المضطرّ منهم فاقام المضاف اليه مقام المضاف
اذا اطلقه مجازًا اطلاقًا واسم السبب على المسبّب ثم امرهم
ان ينكّلوا او يحبسوا من تناول من الجيش شيئًا عن ظلمه ويدفعوه
الدفع الممكن لهم لئلا يكون سطوتهم خراب الاعمال
ثم ان يكفّوا ايدي سفهائهم عن مضادّتهم والتعرّض لهم
فيما استثناه من المعرّة الضرورية لئلا يثور بذلك الفتنة
بينهم وبين الجيش ٥ ثم اعلمهم انه بين اظهر الجيش كناية
عن كونه مرجع امرهم ليرفعوا اليه مظالمهم وما غشيهم من
امرٍ يغلب عليهم من الجيش لا يطيقون دفعه الا بالله وبه
فيغيّره بمعونة الله وخشيته

الى كميل بن زياد النخعي وهو عامله
على هيت ينكر عليه دفع من يجتاز
به من جيش العدو طالبًا للغارة

اما بعد فان تضييع المرء ما ولي وتكلّفه ما كفي لعجز حاضر
ورأي متبر وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك
مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يردّ الجيش عنها لرأي
شعاع فقد صرت جسرًا لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك
غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا سادّ ثغرة ولا كاسر

شوكة ولا مغنٍ عن اهل مصره ولا مجزٍ عن اميره والسلام ٥
اقول المتبر الهالك والفاسد والشعاع
المتفرّق وقرقيسيا وقوله اما بعد الى قوله متبر صدر الكتاب
اعلم ان فيه اجمالًا كما جرت عادة الخطيب بما يريد ان
يوبّخه عليه من تعاطيه امرًا مع اهماله ما هو اهمّ منه ثم
ذكر غرضه من الكتاب منفصلًا بقوله وان تعاطيك الى
قوله لرأي شعاع ثم نفّر عن ذلك الرأي بما فيه من المفاسد
والرذائل احدها كونه جسرًا واستعار لفظ الجسر له باعتبار
عبور العدو عليه الى غرضه وروي جسيًّا وهو ايضًا مجاز باعتبار
خلوّ مسالحه عن العسكر الذي يبغي به العدو فهو كالخاسر
عديم الامه الثاني كونه غير شديد المنكب وكنى
بذلك عن ضعفه وكذلك كونه غير مهيب الجانب كونه غير
سادّ ثغرة ٥ الثالث ولا كاسر شوكة عدوّه الرابع
ولا مغنٍ عن اهل مصره في دفع عدوّهم الخامس ولا مجزٍ عن
اميره بما يريده

الى اهل مصر مع مالك الاشتر
رحمة الله لما ولّاه امارتها

اما بعد فان الله سبحانه بعث محمّدًا صلى الله عليه نذيرًا
للعالمين ومهيمنًا على المرسلين فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع
المسلمون الامر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي

ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه وآله عن اهل
بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني الا انثيال الناس على
فلان يبايعونه فامسكت يدي حين رايت راجعة الناس
قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد صلى الله عليه
فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه هدما
وثلما تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم
التي انما هي متاع ايام قلايل يزول منها ما كان كما
يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت في
تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمان الدين
وتنهنه اني والله لو لقيتهم واحدا
واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت
واني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي انا عليه
لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي واني الى لقاء الله لمشتاق
ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكنني آسى ان يلي هذه الامه
سفهاوها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا
والصالحين حربا والفاسقين حزبا فان منهم الذي
شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام وان منهم من لم يسلم
حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ فلولا ذلك ما اكثرت
تاليبكم وتانيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذا بيتم
وونيتم الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم
قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى

انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا
الى الارض فتقروا بالخسف وتبوءوا بالذل ويكون
نصيبكم الاخس ان اخا الحرب الارق ومن نام لم ينم
عنه والسلام ۝
المهيمن الشاهد والروع القلب والانثيال الانصباب
وزاح ذهب وزهق اضمحل وتنهنه اتسع وطلاع
الارض ملاوها واسى احزن ۝ والدولة في المال بالضم
ان يكون مرة لهذا ومرة لذاك والخول العبيد والرضخ
الرشو واصله الرمي والتاليب التحريض والتانيب
اللوم والوني الضعف ويروى بعض وتبوا ان ترجعوا
والخسف النقيصة وصدره باقتصاص حال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار كونه نذيرا للعالمين
بعقاب اليوم وشاهدا على المرسلين بكونهم مبعوثين
ومصدقا لهم في ذلك ۝ ثم اقتصاص حال المسلمين
بعده في تنازع امر الخلافة مندرجا من ذلك الى
شرح حاله معهم في معرض الشكاية من
ازاحته امر الخلافة عنه مع كونه احق بها وانصبابهم
على بيعة فلان وهو كناية عن ابي بكر وامساكه يده عن
القيام في ذلك والطلب للامر الى غاية ارتداد الناس
في زمن ابي بكر عن الاسلام وطمعهم في محو الدين
ثم شرح حاله من الحقوق على الاسلام واهله ان

يستلم او ينهدم فيكون المصيبة عليه في عدم
اصل الدين اعظم من فوت الولاية القصيرة الامد التي
غايتها اصلاح فروع الدين ومتمماته وشبه
زوال الغابر بزوال السراب بتقشع السحاب ووجه
الشبه سرعة الزوال وكونها لا اصل
لها كما لا ثبات لحقيقة السراب
ووجود السحاب وقد ذكر الارتداد لغرض
بيان فضيلته في الاسلام ولذلك عقبه باقتصاص
حاله نهوضه في تلك الاحداث التي وقعت من
العرب الى غاية زهوق الباطل واستقرار
الدين وانتشاره ثم اقسم انه لو لقيهم وحده وهم
ملأ الارض لم يكترث بهم ولم يستوحش
منهم لامرين احدهما علمه اليقين بانهم على
الضلالة وانه على الهدى ○ الثاني اشتياقه
الى لقاء ربه ورجاؤه وانتظاره لثوابه وهما يجريان
مجرى صغرى بين تقدير كبراهما وكل من كان
كذلك فلا يبالي بهم ولا يستوحش منهم ○
وقوله لكني جرى مجرى سؤال مقدر كأنه
قيل فاذا كنت تعلم انك واياهم على الحال المذكورة
فلم تحزن من فعلهم فكأنه قال اني لا احزن من
لقائهم وحربهم ولكني احزن ان يلي امة محمد

صلى الله عليه وآله وسلم سفهاؤها وفجارها
الى قوله حربا وعنى بالسفهاء بني امية واشياعهم
ثم نبه على انهم مظنة ان يفعلوا ذلك لو
ولوا هذا الامر بقوله فان منهم الى قوله
الرضايخ والذي شرب منهم في المسلمين الحرام
اشارة الى الوليد بن عقبة لما شرب الخمر في عهد
عمر لما كان واليا من قبله الكوفة فصلى بالناس
سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهدوا
عليه وجلد الحد وكذلك عنبسة بن ابي سفيان
جلده في الخمر خالد بن عبد الله بالطائف والذي
لم يسلم حتى رضخت له الرضايخ قيل هو ابو سفيان
وابنه معوية وذلك انهما كانا من المؤلفة
قلوبهم الذين يستمالون الى الدين وجهاد عدوه
بالعطاء ○ وقيل هو عمرو بن العاص ولم يشتهر عنه
مثل ذلك الا ما حكاه عليه السلام عنه من اشتراطه
على معوية طعمة مصر في مساعدته بصفين
كما مر ذكره ثم نبههم على ان ما ذكره
من الاسى هو السبب التام لتوبيخهم وتحريضهم
على الجهاد ولولا ذلك لتركهم اذا ابوا وضعفوا
ثم نبههم على فعل عدوهم بهم وافتتاحه
لامصارهم وغزوهم ليستثير بذلك حمية طباعهم

ولذلك امرهم بعده بالنفور الى قتال العدو وهم
ونهاهم عن التثاقل في ذلك ونفرهم عنه بما يلزمه من
الاقرار بالخسف والرجوع الى الذل وخسه النصيب
ثم نبههم على من يكون اهلا للحرب وهو الارق
وكنى به عن كثير الهمه اذ كان من لوازمه قلة النوم
ونفرهم عن ضعف الهمه والتواني في الجهاد بما يلزم
ذلك من طمع العدو فيهم بسكوتهم عنه والرقاد عن
مقاومته ه

ومن كتاب له عليه السلم

الى ابي موسى الاشعري وهو عامله على الكوفه
وقد بلغه تثبيط الناس عن الخروج اليه لحرب
اصحاب الجمل ه

من عبد الله علي امير المومنين الى عبد الله بن
قيس ه اما بعد فقد بلغني عنك قول هو
لك وعليك فاذا قدم رسولي عليك فارفع ذيلك
واشدد ميزرك واخرج من جحرك واندب من
معك فان حققت فانفذ وان تفشلت فابعد
وايم الله لتوتين من حيث انت ولا تترك حتى تخلط
زبدك بخاثرك وذايبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك
وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينا التي ترجو
ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل

عقلك واملك امرك وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير
رحب ولا في نجاة فبالحري لتكفين وانت نايم حتى لا يقال اين فلان والله انه لحق
مع محق وما يبالي ما صنع الملحدون اقول ——— روي عن
ابي موسى انه كان حين مسير علي عليه السلم الى البصرة واستنفاره لاهل الكوفه
الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول انها فتنة فلا يجوز القيام فيها ويروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم اخبارا تتضمن وجوب القعود عن الفتنه والاعتزال
فيها فكتب اليه مع ابنه الحسن عليهما السلم هذا الكتاب والقول الذي بلغه عنه
هو نهي الناس وتثبيطهم عن النهوض اليه وذلك قوله هو لك باعتبار ظاهر الدين
ونهيه عن الخوض في الفتن وهو عليه من وجوه الاول انه كان تهمة بانه لم
يقصد بذلك الا قعود الناس عنه فيفهم منه ذلك وهو خذلان للدين في
الحقيقة وهو عايد عليه بضرر العقوبة منه عليه السلم ومن الله في الاخرة الثاني
انه لما كان عليه السلم على الحق في حربه كان تثبيط ابي موسى عنه جهلا لحاله
وما يجب من نصرته والقول بالجهل عايد على القايل بالمضرة الثالث انه
في ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهي عن الدخول مع الناس ومشاركتهم في زمن الفتنة
وروي خبرا يقتضي انه يجب القعود عنهم حسب مع انه كان اميرا لهم واليا على الرعيه
وذلك مناقض وكان عليه لا له ثم امره عند قدوم رسوله عليه باوامر على
سبيل الوعيد والتهديد احدها ان يرفع ذيله ويشد ميزره وهما كنايتان
عن الاستعداد للقيام بواجب امره والمسارعه الى ذلك الثاني ان يخرج من
جحره واراد خروجه من الكوفه واستعار له لفظ الجحر ملاحظة لشبهه
بالثعلب ونحوه الثالث ان يندب اي يبعث من معه من العسكر ويدعوهم
الى الخروج وقوله فان حققت اي عرفت حقيقة امري واني على

الحق فاشدد اي فامض في امرك به وان تفشلت اي جبنت وضعفت
عن هذا الامر ومعرفته فاقعد عنه ثم توعده على تقدير قعوده واقسم
ليأتينه بالمكان الذي هو به من لا يتركه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه
بجامده وهما مثلان كني بهما عن خلط الحوال الصافية بالتكدير
لعزمه بدولته وسروره نعمه وسهوله امره بصعوبته وحتى يعجله
عن قعدته وهي هيئة قعوده واراد غاية الاعجال وحتى يكون حذره من
امامه كحذره من خلفه وهو كناية عن غاية الخوف واقام حمل الحذر
من خلفه مقام الشبيه لكون الانسان من ورائه اشد خوفا وقيل اراد
حتى يخاف من الدنيا كما يخاف من الاخرة وقوله وما هي بالهوينا
اي وما القصة المعهودة لك بالهينة السهلة التي ترجوا ان يكون فيها على الخيار لك
ولكنها الداهية الكبرى من دواهي الدهر ومصائبه وقوله يركب جملها
اي يركب فيها ويذل صعبها اي يسهل الامور الصعاب فيها وهو كناية عن
شدتها وصعوبتها ثم اردف وعيده وتحذيره بنصيحته وامره بامور
احدها ان يعقل عقله وعقله بحمل النصح على الصدر وهو امر له ان
يراجع عقله ويعتبر هذه الحال العظيمة دون هواه وقيل هو مفعول له اي
اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا ينبغي
ان تملك امرك اي شانه وطريقته وتضعها على قانون العدل والحق دون الباطل
الثالث ان تاخذ نصيبه وحظه من طاعة الله والقيام بامره في نصرته والذب
عن دين الله وقيل اراد خذ ما قسم لك من الحظ ولا تتجاوز الى ما ليس لك ثم اردف
ذلك بامره بالتنحي عن الولاية على تقدير كراهية ما ذكر وعدم امتثاله لما امر
وقوله فبالحرى لتكفين اي فالجدير ان تكفى هذه المؤنة وانت نائم عن طاعته

الله حتى لا نقعد ولا نسال عنك لعدم المبالاة بك ثم اقسم انه الحق اي
الامر المعهود الذي فعله من حرب بالبصرة مع محق اي صاحب حق محق
لما يدعيه عالم به لا يكترث بما صنع الملحدون في دين الله من مخالفته لمعرفته انه
على الحق دونهم **ومن كتاب له عليه السلام الى معويه**
جوابا عن كتاب منه اما بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت
من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا امنا وكفرتم واليوم انا
استقمنا وفتنتم وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله
لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم حربا وذكرت اني قتلت طلحة والزبير
وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا
العذر فيه اليك وذكرت انك زائري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت
الهجرة يوم اسر اخوك فان كان فيك عجل فاسترفه فاني ان ازرك فذلك جدير
ان يكون الله انما بعثني للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد

مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود

وعندي السيف الذي اعضضته بجدك وخالك واخيك في مقام واحد
فانك والله ما علمت الاغلف القلب المقارب العقل والاولى ان يقال لك
انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك
ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه فما ابعد قولك
من فعلك وقريب ما اشبهت من اخوال واعمام حملتهم الشقاوة
وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه واله وسلم فصرعوا مصارعهم حيث علمت
لم يدفعوا عظيما ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها
الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك

وآباهم على كتاب الله واما الملك التي تريدها فانها خدعة الصبي عن اللبن في اول
الفصال والسلم اقول ــــــ انه الاسلام اوله والتشريد الابعاد ○
واستر فه اي تشرعنك من الرفاهية وهي السعة والاغوار المنخفضة من
الارض ولعصت السيف بفلان اي جعلته بعصرته وهو من المقلوب
لان المضروب هو الذي يغص بالسيف اي لا يكاد يسيغه ويروي بالضاد
المعجمة اي جعلته غاصا لهم والزمته بهم والمعارب بالكسر الذي ليس بالتام وقد
كان معوية يشنا اليه عليه السلم بذكره ما كانوا عليه قديما من الالفة والجماعة
وينسب اليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد بعايشه وبنوه عن بالحرب
ويطلب منه قتله عثمان فاجابه عليه السلم عن كل من ذلك بجواب اما الاول
فسلم له دعواه من القدر المشترك بينهم وهو الالفة والجماعة قبل الاسلام ولكنه
ذكر الفارق بينهم وهو من وجوه احدها انه عليه السلم في اول الاسلام
آمن في جملة من اهل بيته ومعوية واهل بيته حينئذ كانوا كفارا الثاني
انه عليه السلم واهل بيته في اخر الامر لم يزالوا مستقيمين على الدين ومعوية
واهله مفتونين جاهلين بفتنتهم الثالث ان من اسلم من اهل بيته عليه السلم
اسلم طوعا ومثلهم اهل معوية لم يسلم الا كرها بعد ان اشتد الاسلام
وصار للرسول صلى الله عليه وسلم حزب قوي من اشراف العرب واستعار
لفظ انف الاسلام لهم باعتبار كونهم اعز اهله وممن اسلم كرها ابو سفين وذلك
انه لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة في غزوة الفتح اتى ليلا
فنزل البطحاء وما جاورها فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله صلى الله عليه
يريد دخول مكة في طلب من يبعثه الى قريش ليخرجوا الى رسول الله وليعتذروا اليه
فلقي ابا سفين فقال له كن رديفي لتمضي الى رسول الله وتاخذ الامان لك منه فلما دخلا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليه الاسلام فابى فقال عمر
ائذن لي يا رسول الله لاضرب عنقه وكان العباس حاميا عنه للقرابة فقال
يا رسول الله انه يسلم غدا فلما جا الغد دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعرض عليه الاسلام فابى فقال له العباس في السر يا ابا سفين اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله وان لم يكن ذلك في قلبك فانه يامر الان
بقتلك ان لم تقل فشهد الشهادتين على كره لخوف القتل وقد راى اكثر
من عشرة الاف رجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حضروا معه
معه واجتمعوا عليه وذلك معنى قوله اما تحلل الى قوله حربا الثاني ما
ادعاه عليه من قتل طلحة والزبير وتشريد عايشه والنزول بين المصرين البصرة
والكوفة فاجاب عنه بقوله وذلك الى قوله اليك وهو في صورة ضمير تقدير
كبراه وكل من غاب عن امر ولم يكن له فيه مدخل فليس تكليفه عليه ولا
العذر من التقصير او التفريط فيه اليه الثالث ما نوعك به من زيارته في
المهاجرين والانصار فاجابه بوجهين احدهما انه اوهم في كلامه انه من
المهاجرين فاكذبه بقوله وقد انقطعت الهجرة يوم اسر اخوك اي يوم الفتح
وذلك ان معوية واباه وجماعة من اهله انما اظهروا الاسلام بعد الفتح وقد
قال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح فلا يصدق عليهم اذا اسم المهاجرين
وسمى عليه السلم اخذ العباس لابي سفين الى رسول الله غير مختار وعرضه على
القتل اسرا وروي يوم اسر اخوك وقد كان اسر اخوه عمرو بن ابي سفين يوم
بدر فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بان من شانه وشان من اهله
ان يوسروا ولا يسلموا وكيف يدعون مع ذلك الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم
اسروا لانقطاع الهجرة انما انقطعت بعد الفتح الثاني مقابلته بقوله بعد
عبد

مثله وهو قوله فان كان الى قوله مقام واحد واذا كنت مستعجلا
في مسيرك الى القتال فاطلب الرفاهية على نفسك في ذلك فانك انما تستعجل الى ما
يضرك ونبه على ذلك بقوله فاني الى قوله واحد وهو في قوة صغرى
ضمير ووجه التمثيل بالبيت انه شبه استقبال معوية في جمعه له باستقبال
رياح الصيف وشبه نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة
كونه عليه السلم يضرب وجوههم في الحرب بالسيوف والرماح كما
يضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصبا وقد بينا انه عليه السلم
قتل جد معوية وهو عتبة وخاله الوليد بن عتبة واخاه حنظلة بن ابي
سفين وقت بدر الكبرى وكل من كان حاله كذلك فمن الواجب ان
يحذر منه ولا يتوغل بحربه وقتاله وقوله وانك والله الى قوله
الهوينا توبيخ مشوب بتهديد وما في قوله ما علمت موصولة واستعار
لفظ الاغلف لقلبه وقصد الاستعارة انه محجوب بالهيئات البدنية
واغشية الباطل عن قبول الحق وفهمه فكانه في غلاف منها ووصف
المقاربة في عقله لاختياره الباطل ثم اعلمه على سبيل التوبيخ ان الاولى
ان يقال في حاله واستعار لفظ السلم للاحوال التي ركبها والمنزلة التي
طلبها ورشح بذكر الارتقا والاطلاع والمطلع مصدر ويجوز ان يكون اسم
الموضع واحتج لصحة قوله بقوله لانك الى قوله معدنه واستعار
الضالة والسائمة لمرتبة التي ينبغي له ان يطلبها ويقف عندها وما هو
غيرها هو امر الخلافة اذ ليس من اهلها ورشح بذكر النشيد والرعي ثم تعجب من
بعد ما بين قوله وفعله وذلك ان مدار قوله في الطلب على طلب قتله
عثمن وانكار المنكر كما ادعاه ومدار فعله وحركاته على التغلب

في الملك والبغي على الامام العادل وشتان ما هما ثم حكم بقرب شبهه
باعمامه واخواله وما مصدرية والمصدر مبتدأ خبره قريب من اهل
الشقاوة من جهة عمومته حمالة الحطب ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة
وانما كرر الاعمام والاخوال لانه لم يكن له اعمام واخوال كثيرون والجمع
المنكر جاز ان يعبر به عن الواحد والاثنين للمبالغة مجازا في معرض الشناعة
ولا كذلك الجمع المعرف واشار الى وجه الشبه بقوله حملتهم الى قوله
الهوينا وموضع قوله حملتهم الجر صفة لاخوال واراد الشقاوة
المكتوبة عليهم في الدنيا والاخرة التي استعدوا لها بجحود محمد عليه السلم
وتمني الباطل وهو ما كانوا يتمنونه ويبذلون انفسهم واموالهم فيه من
قهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واطفاء نور النبوة واقامة امر
الشرك وقوله بوقع متعلق بقوله فصرعوا وما خلا صفة
لسيوف ولفظ المماشاة مستعار والمراد ان تلك السيوف لم يلحظ بها
هون ولا سهولة ولم تخرجها وروي لم تماسها بالسين المهملة من المماسة
اي لم يخالطها شي من ذلك السابع طلبه لقتلة عثمن واجابه
بقوله فادخل الى اخره واراد فيما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة وصدق
الجواب ظاهر لانه لا بد للمتحاكمين من حاكم وهو عليه السلم يومئذ الحاكم
الحق فليس لمعوية ان يطلب منه اذن قوما منهم المهاجرون والانصار ليسلمهم
اليه حتى يقتلهم من غير محاكمة بل يجب ان يدخل في طاعته يجري عليه احكامه
ليحاكم القوم اليه فاما له واما عليه وقوله واما تلك التي تريد اي
الخدعة عن الشام لغرض اقراره على امارتها ووجه مشابهتها خدعة
الصبي ضعفها وظهور كونها خدعة لكل احد وانما قال عليه السلم لاهله لان

معوية لم يكن في نظيره من أهله والله الموفق

ومن كتاب له عليه السلام أيضاً إليه

أما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور ولقد
سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل واقحامك غرور المين والأكاذيب
وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما اختزن دونك فراراً من الحق وجحوداً
لما هو ألزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملي منه صدرك
فماذا بعد الحق إلا الضلال وبعد البيان إلا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها
على لبستها فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها وأغشت الأبصار ظلمتها
وقد أتاني منك كتاب ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم
وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم أصبحت منها كالخائض في الدهاس والخابط
في الديماس وترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام نازحة الأعلام تقصر دونها
الأنوق ويحاذى بها العيوق وحاشى لله أن تلي بعدي للمسلمين صدراً أو ورداً
أو أجري على أحد منهم لك عقداً أو عهداً فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فإنك
إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ومنعت أمراً هو اليوم
منك مقبول ٥ أقول المدارج المسالك والمذاهب
جمع مدرجة والإقحام الإدخال في الشيء بسرعة من غير روية وانتحل الكلام ادعاه
لنفسه ولنسبه له والابتزاز الاستلاب وأغدفت المرأة جلبابها أرسلته على
وجهها والتحبير التخليط والتنويع والسلم الصلح والأساطير جمع أسطورة
بالضم وإسطارة بالكسر والدهاس المكان السهل اللين دون الرمل والديماس
المكان الشديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يرتفع
عليه الراصد والأنوق الرخمة والعيوق نجم معروف وتنهد تنهض

وأرتجت أغلقت وللكتاب جواب أيضاً فقوله أما بعد إلى قوله
الأمور تنبيه له على وجوب الاتعاظ والانزجار عن دعوى ما ليس له والمراد
أنه قد حضر وقت انتفاعك من عيان الأمور ومشاهدتها باللمح الباصر ولفظ
اللمح مستعار لإدراك الأمور النافعة بحقه وسرعة ورؤية عيون الأمور أي
نفسها وحقائقها التي هي موارد اللمح والاعتبار ووصفه بالباصر مبالغة
في الإبصار كقولهم ليل أليل وقوله فقد سلكت إلى قوله اللبس
إشارة إلى سبب حاجته إلى التنبيه المذكور وهو سلوكه طرائق أسلافه
بالأمور الأربعة المذكورة فادعاؤه الأباطيل ادعاؤه ما ليس له بحق حقاً
من دم عثمان وطلحة والزبير وغير ذلك واقتحامه لغرور الأكاذيب
دخوله في الغفلة عن سوء عاقبتها وأكاذيبه في دعواه ظاهرة وما قد
علا عنه هو أمر الخلافة وما اختزن دونه فابتزه هو مال المسلمين
وبلادهم التي تغلب عليها وأراد أنه اختزن بالاستحقاق من الله وفراراً
وجحوداً مصدران سدا مسد الحال وما هو ألزم له من لحمه ودمه مما
قد وعاه سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامتلأ به صدره
علماً في مواطن كغدير خم وغيره وهو وجوب طاعته وإنما كان ألزم له من
لحمه ودمه لأنهما دائماً في التغير والتبدل ووجوب طاعته أمر لازم لنفسه
لا يجوز تبدله وتغيره ويجوز بلفظ الصدر في القلب إطلاقاً لاسم المتعلق
على المتعلق وأشار بالآية إلى أن الحق الذي عليه أي ليس وراءه لمن تعداه إلا
الضلال والهلاك لأن الحق حد من تجاوزه وقع في الخبط في الإفراط والتفريط
وكذلك اللبس بعد البيان الذي بين لك فما وراءه إلا اللبس ثم حذره الشبهة
واشتمالها على لبستها والشبهة كشبهة دم عثمان ولفظ اللبسة مستعار

للداخلين فيها ملاحظة لشبهها بالقبص ونحوه وعلل تحذيره اياه
ووجوب وقوفه دونها بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمها وهو صغري
ضمير واستعار لفظ الجلابيب لامورها المغطية لبصاير اهلها عن
الحق كما لا تبصر المراة عند ارسال جلبابها على وجهها وكذلك
استعار لفظ الظلمة باعتبار التباس الامور فيها وعدم التهدي
من الحق كالظلمة التي لا يهتدى فيها ورشح بذكر الاعراف والاعشا
ثم شرع في احوال الكتابة فبدا بذمه ولما كان مداره على اللفظ والمعنى
اشار الى ذم اللفظ بانه ذو افانين من القول اي انه اقوال ملفقة لا
يناسب بعضها بعضا وقوله ضعفت قواها عن السلم اي ليس
لها قوة ان توجب صلحا واشار الى ذم المعنى بانه اباطيل غير محكم النسج
لا من جهة العلم اذ لا علم له ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان فيه خشونة
وتهور وذلك ينافي الحلم وينافي غرضه من الصلح ولفظ الحول مستعار لسبك
الكلام وقوله اصبحت منها صفة لاساطير ووجه شبهه
بالخايض والخابط ضلالا له وعدم هدايته الى وجه الحق كما لا يهتدي
خايض الدهاس وخابط الديماس فيهما ثم شرع في جوابه وكان مقصوده في
كتابه ان ينص عليه بالخلافة بعده ليبايعه فوبخه اولا على طلبه امرا ليس
من اهله بقوله وترقيت الى قوله العيوق ولفظ المرقبة مستعار
لامر الخلافة ورشح بلفظ الترقي والاوصاف الاربعة بعدها لانها من
شان المرقبة التامة وانما خص الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة
من رؤوس الجبال فتبني اوكارها هناك ثم صرفه عن المطلوب بتنزيهه الله
سبحانه ان يلي من بعده للمسلمين حرجا او دخولا في امر من امورهم

وان يجري على احد منهم له عقدا او عهدا اما العقد كالنكاح والبيوع
والاجارة والعهد كالبيعة والامان واليمين والذمة اي لا يمكنه
من ذلك ولما ايسه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو
مصلحتها من طاعته وتوعده على تقصيره في ذلك بما يلزم تقصيره من
نهوض عباد الله اليه واعلاق الامور حسيلا عليه وسعة العذر
الذي هو منه الان مقبول وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلم الى عبد الله بن عباس رحمه الله

وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية

اما بعد فان العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي
لم يكن ليصيبه فلا تكن افضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة او شفا
غيظ ولكن اطفا باطل واحيا حق وليكن سرورك بما قدمت واسفك
على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت اقول قد سبق
شرحها الا كلمات يسيرة منها انه نبهه على لزوم فضيلتي العفة
والحلم بالنهي عن ان يجعل بلوغ لذته من دنياه واشفا غيظه اللذين هما
طرفا الافراط من الفضيلتين المذكورتين افضل ما نال منها في نفسه ثم نبهه
على ما يكون افضل في نفسه من دنياه وهو اطفا الباطل واحيا الحق
واطفا الباطل نسيئة على وجه استعمال قوتي الشهوة والغضب وهو
ان يكون الغرض من فعلها دفع الضرورة وتعدد الحاجة ومنها انه امره
في الرواية الاولى ان يكون فرحه بما نال من اخرته وامره هنا ان يكون سروره
بما قدم لنفسه من زاد التقوى وهو امر بمقدمة الاخرة وامره في
الرواية الاولى ان يكون اسفه على ما فات من اخرته وامره هنا ان يكون

أسفه على ما خلف اي ترك من العمل لها وبالله التوفيق

ومن كتاب له الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين
فافت المستفتي وعلم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا
لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها فانها
ان ذيدت عن ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر فيما اجتمع
عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به
مواضع المفاقر والخلات وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا
ومر اهل مكة الا ياخذوا من ساكن اجرا فان الله سبحانه يقول سواء
العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج اليه من غير اهله
وفقنا الله واياكم لمحابه والسلام اقول ذيدت ردت
والخلة الحاجة وفيه مقاصد احدها امره باقامة الحج للناس واقامته
القيام باعماله وتعليم الجاهلين كيفيته وجمعهم عليه الثاني ان يذكرهم بايام
الله اي عقوباته التي وقعت على سلف من المستحقين لها كي يحترزوا بطاعته
من امثالها وعبر عنها بالايام مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق الثالث
ان يجلس لهم العصرين اي الغداة والعشي لكونهما اطيب الاوقات للجلوس واشار
الى اعظم فوائد جلوسه في الوقتين وهي فائدة العلم وحصر وجوه حاجة اهلها
اليها وامره بسد تلك الوجوه وبيان الحصر ان الناس اما غير عالم او عالم وغير
العالم اما مقلد او متعلم طالب والعالم اما هو او غيره فهذه اقسام اربعة
فوجه حاجة القسم الاول وهو الجاهل المقلد ان يستفتي فامره ان يفتيه
ووجه حاجة الثاني وهو المتعلم الجاهل ان يتعلم فامره ان يعلمه ووجه حاجته

هو مع الرابع وهو العالم ان يذاكرا فامره بالمذاكرة له السابع نهاه ان
يجعل له الى الناس سفيرا يعبر عنه الا لسانه ولا حاجبا الا وجهه لان
ذلك مظنة الكبر والجهل باحوال الناس الموجب على الوالي الاحاطة بها
بقدر الامكان وحالة للحصر وما بعدها خبر كان الخامس نهاه ان يحجب
احدا عن لقائه بحاجته مؤكدا لما سبق ورغبه في ملاقاة ذي الحاجة
بضمير صغراه قوله فانها الى قوله قضائها اي لم يحمد فيما بعد وان قضيتها
له وتقدير الكبرى وكل امر كان كذلك فلا ينبغي ان يحجب صاحبه
عن لقائك فيه ويذاد عن ابوابك في اول وروده السادس امره ان يعتبر
مال بيت المال ويصرفه في مصارفه موصيا بذلك الاحوج فالاحوج ويحمل
الباقي اليه ومصيبا حال واضاف مواضع الى المفاقر لتغاير اللفظين
السابع امره بنهي اهل مكة عن اخذ الاجرة ممن يسكن بيوتهم ايام الحج
بالاية مفسرا لها وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما قال الله فيه ذلك
لم يحل اخذه ثم ختم بالدعا لنفسه وله ان يوفقهما لمحابه وبه التوفيق للكمال

ومن كتاب له عليه السلام الى سلمان الفارسي

رضي الله عنه قبل ايام خلافته

اما بعد فان مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما يعجبك
منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت به من فراقها وكن
آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخصته
عنه الى محذور او الى ايناس ازالته عنه الى ايحاش اقول اشخصته
اذهبته ومدار الفصل على الموعظة وذم الدنيا وضرب لها امثلة وذكر من
وجوه الشبه من جانب المثل به امرين احدهما لين المس وقابله من جانب الدنيا

رفاهية العيش ولذته والثاني قلة سمتها وعما بله من الدنيا هلاك المتمكن
في لذاتها يوم القيمة ثم امر في مقامه بها باوامر احدها ان تعرض عما يعجبه
منها وعلل وجوب اعراضه بقوله لقلة ما يصحبك منها وهي صغرى ضمير
تقديرها ما يصحبك منها قليل وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان
تعرض عنه الثاني ان تضع عنه هموم طلبها وعلل وجوب ذلك بصغرى ضمير صغراه
قوله لما ايقنت من فراقها اي لانك متيقن لفراقها وتقدير كبراه وكلما
تيقنت فراقه فواجب ان تضع همك عن طلبه الثالث ان تكون آنس ما تكون
بها احذر ما تكون منها وما مصدرية وآنس نصب على الحال واحذر خبر كان
اي في حال كونك آنس بها كن احذر ما تكون منها والغرض ان تحذر منها بقدر
جهلك ولذا انس بها وعلل وجوب الحذر منها بقوله فان صاحبها الخ وهو
صغرى ضمير تقديرها فانها كلما اطمأن صاحبها فيها الى آخره وتقدير كبراه
وكلما كان كذلك فيجب ان تحذر صاحبه منه ولا يانس اليه ينتج فالدنيا يجب
ان تحذر صاحبها منها ه

ومن كتاب له عليه السلم

الى الحرث الهمداني

وتمسك بحبل القرآن واستنصحه واحل حلاله
وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا فان بعضها
يشبه بعضا وآخرها لاحق باولها وكلها حائل مفارق وعظم اسم الله
ان تذكره الا على حق واكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت
الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يرضاه صاحبه انكره او اعتذر منه
ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت
فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا واكظم
الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند القدرة واصفح مع الدولة تكن لك

العاقبة واستصلح كل نعمة انعمها الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم
الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به عليك واعلم ان افضل المؤمنين
افضلهم تقدمة من نفسه وماله فانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره
وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رايه وينكر عمله فان
الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين
واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان على طاعة الله واقصر
رايك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان
ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب
الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلوة الا فاصلا في سبيل
الله او في امر تعذر به واطع الله في جميع امورك فان طاعة الله
فاضلة على ما سواها وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها
وخذ عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فانه
لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت وانت
آبق من ربك في طلب الدنيا ومصاحبة الفساق فان الشر بالشر ملحق
ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب فانه جند عظيم من جنود ابليس
اقول هذا الفصل من كتاب طويل اليه وقد امره فيه باوامر
وزجره بزواجر مدارها على تعليم مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب احدها
ان يتمسك بحبل القرآن ولفظ الحبل مستعار كما سبق واراد لزوم العمل به
الثاني ان يستنصحه اي يتخذه ناصحا بحيث يقبل امره ومشورته لانه يهدي
الى الحق والى صراط مستقيم الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان يعتقد
ما فيه من الحلال والحرام حلالا وحراما ويقف عند اعتقاده ويعمل بمقتضاه

الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما حكاه القرآن الكريم من احوال
القرون الماضية واحوال الانبياء مع اممهم ليصح منه الاعتبار الخامس
ان يعتبر ما مضى من الدنيا بما بقي منها ويعتبر به فيجعل ما مضى اصلا وما بقي فرعا
ويحذر بالقدر المشترك بينهما من العلة وهو كونهما مظنة التغير والزوال
فيحكم في الفرع بحكم الاصل وهو وجوب الزوال وقد نبه على المشترك بقوله
فان بعضها يشبه بعضا وعلى ما يلزم ذلك في الفرع بقوله وآخرها لاحق
باولها وكلها حائل اي زائل مفارق السادس ان يعظم اسم الله ويكبره
ان يذكره حالفا الا على حق السابع ان يكثر ذكر الموت وما بعده
فان في ذكره اعظم واعظ واشد زاجر عن الدنيا الثامن ان لا يتمنى
الموت الا بشرط وثوق من نفسه بطمأنينته في طاعة الله ودوامه
فان تمنيه بدون ذلك سفه وحمق التاسع امره ان يحب لكل على
يرضاه لنفسه ويكرهه للمسلمين وهو في المعنى نهي عن الاستيثار عليهم
بالخيرات وهو كقوله رد للناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما تكرهه
لها العاشر ان يحذر مما يعمله في السر ويستحيي منه في العلانية الاشاره
الى معاصي الله ومفارقة الدنايا من المباحات وكذلك كل عمل من شانه
ان ينكر اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادي عشر ان يحفظ عرضه
ونهاه ان يجعله غرضا واستعار لفظ الغرض والنبال لما يرمى به من القول
وقد سبق وجه الاستعارة الثاني عشر ان لا يحدث الناس بكل ما سمع على
وجه ان يقول كان كذا وكذا دون ان يقول سمعت فلانا يقول كذا
فان بينهما فرقا ولذلك قال فكفى بذلك كذبا لانه جاز ان يكون ما سمع في نفس
الامر كذبا فيكون قد كذب في قوله كان كذا وقوله سمعت كذا لا يكون كذبا كالاول

وجه آخر الثالث عشر ان لا يرد كل ما حدثه به الناس ويقابله بالتكذيب
والانكار لانه جاز ان يكون حقا فيحصل من انكاره جهل عظيم فقوله وكفى
في الموضعين صغرى ضمير تقدير كبرى الاول وكلما كفى به كذبا فينبغي
ان يجتنب وتقدير كبرى الثاني وكلما كفى برده جهلا وجب ان لا يرده
الرابع عشر امره بكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهي فضائل
تحت ملكة الشجاعة وشرطها بوجوب الغضب والقدرة والدولة
يسمى حلما وتجاوزا وصفحا والا لم يصدق عليها الاسم وقوله يكن
لك العاقبة اي العاقبة الحسنة من ذلك وهي صغرى ضمير تقديرها فان فاعل
هذه الخصال يكون له العاقبة منها وتقدير الكبرى وكلما كانت له العاقبة
الحسنة منها يجب ان يفعلها الخامس عشر ان يستصلح كل نعمة الله تعالى
عليه اي يصلحها للشكر السادس عشر ان لا يضيع من نعمه الله تعالى اي
بالقصور عن الشكر والغفلة عنه السابع عشر ان يظهر اثر نعمة الله تعالى
عليه باظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى اهل الاستحقاق واعلمه
بدليل وجوب ذلك من وجهين احدهما قوله ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة
اي صدقة تقدمها من نفسه باقواله وافعاله وامواله ومن اهله كذلك
وحرى له ان يجعل نفسه من افضل المؤمنين بالصدقة الثاني قوله وانك ما تقدمه
خير اي ما تقدمه ولو حبة من المال وتخلفه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكلما اذا قدمته كان لك ذخرا واذا اخرته كان لغيرك خيره فواجب عليك
تقديمه الثامن عشر ان يحذر صحابة من يفيل رايه اي يضعف وينكر
عمله لسوئه وعلل ذلك الحذر بقوله فان الصاحب معتبر بصاحبه اي فانك تقاس به
وينسب فعلك الى فعله ولان الطبع مع الصحبة اطوع للتعلم منه للقول

ولو صحيحة لتشابه فعله فعلة التاسع عشر ان يكون الاعضاء العظام
والعرض الجمعة على من الله لقوله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بالسواد
الاعظم ولذلك علل بكونها جماع المسلمين اي مجمعهم واطلق اسم المصدر
على المكان مجازا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك ينبغي
ان يحضر بالسكنى العشرون ان يحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة
الاعوان على طاعة الله ويلكعي منازل القلب والاستغراق في طلب
الدنيا والغفلة والجفاء لاهل طاعة الله الحادي والعشرون ان يقصر
رايه على ما يعنيه فان فيه شغلا عما لا يعنيه فتجاوزه اليه سفه ٥
الثاني والعشرون ان يحذر مقاعد الاسواق واشار الى وجه المفسدة
بقوله فانها الى قوله الفتن ومعنى كونها محاضر الشيطان كونها مجمع
الشهوات ومحل الخصومات التي مبدؤها الشيطان ومعاريض جمع
معرض وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان
كذلك فلا يجوز القعود فيه الثالث والعشرون ان يكثر نظره الى من هو
دونه ممن فضل هو عليه في النعمة وعلل ذلك بقوله فان الى قوله الشكر
ووجه كونه بابا للشكر انه يكون سببا للدخول اليه منه وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكلما كان من ابواب الشكر فواجب ملازمته الرابع والعشرون
ان لا يسافر في يوم الجمعة الا ان يكون في جهاد او عذر واضح وسره ان صلوة
الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التاهب لها والعبادة فوضعه للسفر وضع
للشيء في غير موضعه الخامس والعشرون ان يطيع الله في جميع امره
ورغب فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير كبراه وكلما فضل
على ما سواه فالاولى لزومه وايثاره على ما سواه السادس والعشرون

ان يخادع نفسه في العبادة فانه لما كان شان النفس اتباع الهوى وموافقة
الطبيعة فبالحرى ان يخادع عن مالوفها الى غيره تارة بان يذكرها الوعد وتارة الوعيد
وتارة بالاستشهاد بمن هو دونها ممن شمر في عبادة الله وتارة باللوم
لها على التفريط في جنب الله فاذا سلك بها فينبغي ان يكون بالرفق من غير
قهرها على العبادة ليكون ذلك داعية للملال والانقطاع كما اشار اليه
سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق
ولا تبغض نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى
بل يأخذ منها عفوها ونشاطها في العبادة الا الفريضة فانه لا يجوز المساهلة
فيها السابع والعشرون ان يحذر ان ينزل به الموت حال ما هو آبق
من ربه واستعار له لفظ الآبق باعتبار خروجه عن امره ونهيه
عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان يحذر صحبة الفساق وتفرع عن
ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر بالشر ملحق اي فانه يصير لكثرتهم
لان القرين بالمقارن يقتدي وتقدير كبراه وكلما صير كثيرا كذلك
فلا يجوز فعله التاسع والعشرون ان يعظم من يوقر الله وتعظيمه ومن محبته
احبائه واوليائه وهما اصلان متلازمان الثلثون ان يحذر الغضب ونفر
عنه بقوله فانه الى آخره ومعنى كونه جندا له انه من اعظم ما يدخل به على
الانسان فيملكه ويصير بنفسه كالملك الداخل بالجند العظيم على المدينة وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يحذر منه وبالله التوفيق ٥

ومن كتاب له عليه السلام الى

سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعوية
اما بعد فقد بلغني ان قوما ممن قبلك يتسللون الى معوية فلا تاسف على
رجالا

ما يفوتك منهم من عددهم ويذهب عنك من مددهم وكفى بهم غيًّا ولك منهم
شافيًا فرارهم من الهدى والحق وإيضاعهم إلى العمى والجهل وإنما هم أهل الدنيا
مقبلون عليها ومهطعون إليها قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه
وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة فهربوا إلى الأثرة فبعدًا لهم وسحقًا إنهم
والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وإنا لنطمع في هذا الأمر أن يذلل
الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه إن شاء الله تعالى والسلام

أقول التسلل الذهاب على خفية والإيضاع الإسراع وكذلك
الإهطاع والأثرة الاستبداد فقوله أما بعد إلى قوله معوية إعلام
له بعلمه بحالهم وقوله فلا تأسف إلى قوله ومددهم تسلية له عما فاته من عددهم
ومددهم وقوله فكفى إلى قوله بعدل استدراج عن الأسف على فراقهم
بذكر معايبهم في ضمن صغرى الأول بيانها قوله فكفى إلى قوله الجهل وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فلا يجوز الأسف عليه وفراقه فاعل كفى وغيًّا تمييز صغرى
الثاني قوله وإنما هم أهل الدنيا أي لما كان شأنهم ذلك وعرفوا العدل عندنا وعرفوا
تساوي الناس عندنا في الحق هربوا إلى الاستيثار والاستبداد عند معوية
وتقدير كبراه وكل من كان بهذه الحال فلا يجوز الأسف عليه ولذلك دعا عليهم
بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ثم أقسم أنهم لم يفروا من جور منه ولم
يلحقوا بعدل من معوية ليتأكد حصر أغراضهم التي هربوا لأجلها ثم وعده بما
يطمع منه من الله تعالى من تذليل ما صعب من أمر أولئك لهم وتسهيل حزنه بمشيته
سبحانه

ومن كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانة

أما بعد فإن صلاح أبيك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلك

سبيله فإذا أنت فيما رقي إليّ عنك لا تدع لهواك انقيادًا ولا تبقي لآخرتك
عتادًا تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان
ما بلغني عنك حقًّا لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك
فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو
يؤمن على جباية فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله والمنذر بن
الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين إنه لنظار في عطفيه مختال في
برديه تفال في شراكيه يعني أنه ينفض التراب عن شراكيه إذا أصابهما الغبار

أقول العتاد العدة والشسع سير بين الإصبعين في النعل
العربي ومدار الفصل على توبيخه بسبب خيانته فذكر سبب غروره به وهو
قياسه في الصلاح على أبيه الجارود العبدي في أنه يتبع ما كان عليه من الهدى
ثم ذكر ما رقي إليه عنه من العوارض أربعة أوجه أحدها انقياده
لهواه في كل ما يقوده إليه الثاني إعراضه عما يعتد به لآخرته من مصالح
الأعمال الثالث كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من تناول الحرام
الرابع كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك وراعى السجع في قرينتين
والمقابلة في قرينتين ثم أخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته أن جعل ما
نسب إليه وذلك بعض جمل أهله وشسع نعله وجمل الأهل مما يتمثل به في الهوان
وأصله فيما قيل أن الجمل يكون لأهل القبيلة فيصير ميراثًا لهم يسوقه كل منهم بعرفه
في حاجته فهو ذليل حقير بينهم ثم حكم في معرض توبيخه على من كان بصفته أنه لا
يصلح لولاية عمل بإرادة الوالي وراعى في القرائن الأربع السجع المتوازي فالعدو بارًا
الأمر والخيانة بإزاء الأمانة وإنما قال أو يشرك في أمانة لأن الخلفاء أمناء
الله في بلاده ومن ولوه من قبلهم فقد أشركوه في أماناتهم وقوله أو يؤمن على جبايته

اي حال جاءتك لان كله على نسبة الحال ثم بعد توبيخه استقدمه
عليه عزلاً له والذي حكاه السيد رحمه الله من وصف امير المؤمنين
عليه السلم له فكناية عن تكبره والنفل في الشراك نفخ الغبار عنه
والحكاية مناسبة للكتاب لاشتمالها على الذم وبالله التوفيق ○

ومن كتاب له عليه السلم الى عبد الله بن العباس رحمه الله

اما بعد فانك لست بسابق اجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم
بان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وان الدنيا دار دول فما كان منها
لك اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ○
اقول الفصل موعظة نبهه فيها على دقايق احدها
انه لا يسبق اجله ولما كان الاجل هو الوقت الذي علم الله ان زيدا يموت فيه
لم يمكن ان يموت زيد دونه لان ذلك يستلزم انقلاب علم الله جهلاً وانه
محال الثانية ولا مرزوق ما ليس له اي ما علم الله انه ليس برزق له فمحال ان
يرزقه لما بيناه الثالثة اعلمه ان الدهر يومان يوم وهو اليوم الذي
يكون له فيه المنافع كاللذة وكمالاتها ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضار
كالالم وما يستلزمه وذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى وتلك الايام
نداولها بين الناس الرابعة اعلمه ان ما كان له من خير الدنيا اتاه على ضعفه
وان كان امراً كتب العلم الله سبحانه بانه يصل اليه وكذلك ما كان عليه من شرها
لم يتمكن من دفعه وان كان قويا وذكر الضعف والقوة ليعلم استناد الامور
والارزاق الى مدبر حكيم هو مقسمها ومبدأ اسبابها وناظم وجودها
ومقسم كمالاتها ومعطي كل منها ما استعد له من خير او شر فقد يحصل
الضعف للحيوان ويرزق رزقا واسعا ويكون ضعفه من الاسباب المعدة

لسعة رزقه وبالعكس وقد يحصل له القوة فيكون من اسباب الحرمان
والله من ورائهم محيط وهو الرزاق ذو القوة المتين ○

ومن كتاب له عليه السلم الى معوية

اما بعد فاني على التردد في جوابك والاستماع الى كتابك لموهن رأيي
ومخطئ فراستي وانك اذ تحاولني الامور وتراجعني السطور كالمستثقل
النايم تكذبه احلامه والمتحير القايم يبهضه مقامه لا يدري اله ما ياتي
ام عليه ولست به غير انه بك شبيه واقسم بالله لولا بعض الاستبقاء
لوصلت اليك قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم ان الشيطان قد
ثبطك عن ان تراجع احسن امورك وتاذن لمقال نصيحتك ○
اقول موهن مضعف ويبهضه اثقله والقوارع الشدايد
وتهلس اللحم تذهب به وتنحته وتقرب منه النهس وثبطه عن كذا
اشغله ومدار الفصل على منافرته وتوبيخه فقوله اما بعد الى
قوله فراستي اي مضعف رايي ومخطئ فراستي لغلبة ظني ان مكاتبتك وجوابك
لا فايدة فيه ثم شبهه في محاولته امر الشام وما خدعه عنه من جعل امر
الخلافة فيه بغلطه ومراجعته السطور اي الكتب في ذلك بالمستثقل
في النوم الغريق فيه وانتصب السطور بحذف الجار اما في او الباء واشار
الى وجه الشبه بقوله تكذبه احلامه واراد ان علاماته وامانيه في وصول
هذا الامر اليه تخيلات كاذبة صادرة عن تخيل غالب كالاحلام الكاذبة
للمستغرق في نومه اذا استيقظ لم يجدها شيئاً وكذلك شبهه بالمتحير القايم
واشار الى وجه الشبه بقوله يبهضه الى قوله عليه وبيانه ان معوية
متحير في هذا الامر متحير في تحصيله متهور في طلبه مع جهله بعاقبته

سعده فهل هي خيرا وشر كالقايم المتحير في الامر يتعب بطول مقامه
ولا يعرف غاية من قيامه ثم لم يرض له بذلك التشبيه بل زاد ذمه بالغة في
غفلته ونومه في مرقد طبيعته وحيرته وقال ولست بواي ولست بهذا
اسبها فيكون هو اصلا لكن التشبيه غير لائق بك تشبيهه اي لك فضل له في
ذلك التشبيه ثم اقسم لولا بعض الاستبقاء اي الامور المصلحية لوصلت اليه
منه قوارع واراد شدائد الحرب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم
وتهلس اللحم ثم اعلمه في معرض توبيخه ان الشيطان قد ثبطه عن مراجعة
احسن اموره وهما الدخول في طاعته وترك الفتنة وان يصغي
اذنه لمقال نصحه وهو جذب له اليهما ونسبه تركه لهما الى تثبيط الشيطان
وبالله التوفيق ٥ ومن حلف له عليه السلام
بين اليمن وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبي
هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها وبادها وربيعة حاضرها وباديها
انهم على كتاب الله يدعون اليه ويامرون به ويجيبون من دعى اليه وامر به ولا يشترون به
ثمنا ولا يرضون به بدلا وانهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار بعضهم
لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب
ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغايبهم وحليمهم
وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسئولا وكتب
علي بن ابي طالب ٥ اقول الحلف العهد وفيه نكت الاولى هذا مبتدا
وما موصولة وهي صفة المبتدا وخبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتدا حذف ما اجتمع
عليه ويكون قوله انهم تفسير الهداية كانه قال اما الذي اجتمعوا عليه فقيل على انهم
على كتاب الله اي اجتمعوا على ذلك وخبر انهم هو على كتاب الله ويدعون حال

والعامل متعلق الجار وحاضرها وبادها بدل من اهل اليمن وكذلك من ربيعة
الثانية كونهم لا يشترون به ثمنا كناية عن اخذهم له والعمل به الثالثة قوله
وانهم يد واحدة اي يتعاونون على من خالفه واطلق اسم اليد على التعاون
مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وانصار خبر ثان لان وبعضهم
فاعله ويجوز ان يكون بعضهم مبتدا خبره انصار الرابعة قوله ولا استذلال
قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما اي لا ينقضون عهدهم لكون القبيلة الاخرى
استذلت قومهم او سبتهم وروى لمسبة قوم قوما اي لاجل ذمهم لهم وفي
بدايته وكتب علي بن ابي طالب وهو المشهور عنه عليه السلم ووجهه انه جعل
هذه الكلمة على بمنزلة لفظ واحد لا يتغير اعرابها ٥

ومن كتاب له عليه السلام الى معوية من المدينة
في اول ما بويع له بالخلافة وذكره الواقدي في كتاب الجمل

من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فقد علمت
اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث
طويل والكلام كثير وقد ادبر ما ادبر واقبل ما اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في
وفد من اصحابك اقول الوفد الوارد على الملك واعلمه اولا
اعذاره فيهم الى الله اي اظهار عذره وذلك باجتهاده في نصيحة عثمان اولا ونصره
في امته بالذب عنه ثانيا واعراضه عنهم بعد اياسه من قبول عثمن لنصيحته
وعجزه عن نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله ثم قال
والحديث طويل والكلام كثير اي في امره ومن قتله وقوله وقد ادبر الى
قوله اقبل يحتمل ان يكون الجملة الاولى بان بعض الناس ادبر عنه كطلحه والزبير
ومن تابعهما وبعضهم اقبل عليه ويحتمل ان يكون انشا اي قد دخل في الادبار

من اراد بن عمي ودخل في الاجبال من اقبل علي ثم امره ان يبايع له من قبله من
الجماعه ونقبل اليه ويحتمل ان يكون التعيير في قوله فيكم وعنكم خطاب لمعويه
مع ساير المسلمين على سبيل التعتب والتشكي اي قد علمت اني اعذرت فيكم حيث
لم اعاجل مسيئكم بالعقوبه واعرضت عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحه
والزبير ومن تابعهم ما لا بد من وقوعه منهم ولا دافع له والحديث في شانهم
طويل والكلام في شبهتهم كثير وقد ادبر من ادبر اي معويه والخارجون واقبل
من اقبل وتمام الكلام بحاله والله اعلم ه ومن وصية له
عليه السلم لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصره
سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيره
من الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله
يقربك من النار ه اقول الطيره فعله من الشيطان ويستعمل
في الخفه وما لا ثبات له وروي طيره من التطير وهو التشام وقد امره بفضايل
من الاخلاق احداها ان يسع الناس بوجهه وكني بذلك عن البشر والطلاقه
وبمجلسه وهو كنايه عن التواضع وبحكمه وكني به عن العدل لان الحكم العدل
يسع كل احد والجور يضيق لا يحتمله الكل الثانيه حذره من الغضب
وهو امر يفصله الثبات والحلم ونفره عنه بقوله فانه طيره من الشيطان
اي خفه تنشا من الشيطان اي انه مما يتشأم الناس بصاحبه ويكرهه
ونسبه الى الشيطان لينفر عنه واراد الغضب المذموم وهو صغرى ضمير تقدير
كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يحذر ثم رغبه فيما يقربه من الله بما
يستلزمه من كونه مباعدا له عن النار ونفره عما يبعده من الله بما يستلزمه
من كونه مقربا الى النار وهما صغريا ضميرين تقدير كبرى الاول منهما
وكل ما يباعد من النار فواجب اخذه وتقدير كبرى الثاني وكل ما يقربك من النار

فواجب ان يحذره وبالله التوفيق ه ومن وصيه
له عليه السلم لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج ه
لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنه
فانهم لن يجدوا عنها محيصا ه اقول المحيص المعدل وقد نهاه
ان يحاجهم بالقرآن ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فان القرآن الى قوله ويقولون
اي ان الايات التي يمكنه الاحتجاج بها غير ناصه في المطلوب بل لها ظاهر
وتاويلات يحتمله يمكنهم ان يتعلقوا بها عند المجادله وتقدير الكبرى وكل ما كان
كذلك فلا يتم الغرض به في مخاصمتهم ثم امره ان يحاجهم بالسنه ونبه على ذلك
بضمير صغراه قوله فانهم لا يجدون عنها معدلا لكونها ناصه في المطلوب
كقوله صلى الله عليه حربك يا علي حربي وتقدير الكبرى وكلما لم يجدوا عنه
معدلا فالاولى محاجتهم به وقد اشرنا من قبل الى مجادلة بن عباس لهم ه
ومن كتاب له عليه السلم اجاب به ابا موسى
الاشعري عن كتاب كتبه اليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومه وذكر
هذا الكتاب سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي ه
فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى
واني نزلت من هذا الامر منزلا معجبا اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم فانا اداوي
منهم قرحا اخاف ان يعود علقا وليس رجل فاعلم احرص على جماعة محمد صلى الله عليه
واله وسلم والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب وسافي بالذي وايت
على نفسي وان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم نفع ما اوتي
من العقل والتجربه فاني لاعبد ان يقول قايل بباطل وان افسد امرا قد اصلحه
الله فدع ما لا تعرف فان شرار الناس طايرون اليك باقاويل السوء ه

أقول العلو الرجل الغليظ ورابت وعزب واعبد استنكف
واعصب وقوله فان الناس الى قوله حظهم اي الحظ الذي ينبغي
لهم من الدين والملك وقوله فمالوا الى قوله الهوى بيان لعزمهم وقوله
واني نزلت من هذا الامر اي امر الخلافه منزلا معجبا وهو الحال التي انتهى
اليها مع الصحابة وصارت محل التعجب منها وكيف صار يحكم ما لهم في تولي
الحكومه والرضى بالصلح وغيره وقوله اجتمع به اقوام صفة منزلا
اي ان هذا المنزل الذي اتاه من الامر قد اجتمع معي وشاركني في رايي فيه
اقوام اعجبتهم انفسهم واراوهم فافسدوا علي الامر فانا اداوي منهم قرحا
واستعار لفظ القرح لما فسد حاله باجتماعهم على التحكيم ولفظ المداواه
لاجتهاده في اصلاحهم وروي اداري واستعار لفظ العلق لما يخاف من
تفاقم امرهم ثم اعلم من حاله انه ليس رجل احرص منه على جماعه محمد صلى الله
عليه وآله وسلم للغرض المذكور وقوله ما علم اغراض جنس من يسر حرها
ورجل يفيد العموم وان كان نكرة لكونه في سياق النفي على ما بين في
اصول الفقه ثم اخبر انه سيفي بما وعد على نفسه من شرط الصلح
على ما وقع عليه وتوعدهم بلزوم الشقاوة ان يعرض عن صلح ما وعده فارقه
عليه من وجوب الحكم وكتاب الله وعدم اتباع الهوى والاغترار بعمارته الاشرار
وفسر الشقي بمن حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربه منبها بذلك الى انه
خدع او تعبر بامر اخر فقد حرم نفع عقله وسابقه تجربته فلزمته الشقاوه
ثم نبههم على انه يانف من قول الباطل وان يفسد امرا اصلحه الله به وهو
امر الدين بتحرزه من عصيه بلزوم الحق والصدق وحفظ جانب الله في حقه
ولكد ذلك بقوله فدع ما لا تعرف اي من الحكم في هذه القضيه بالشبهه

وقوله فان شرار الناس الى اخره اراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان
يسرع بالغايب اليه من الوساوس والشبه الكاذبه التي هي اقاويل السوء

ومن كتاب له عليه السلم
لما استخلف الى امرا الاجناد ٥

اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم
بالباطل يذكر ان ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من امثالهم
وقوله فاشتروه اي فباعوه وتعوضوا عنه بالباطل فاقتدوه
اي اعتدوا الباطل وسلكوا فيه مسلك من اخذهم به كقوله تعالى فبهداهم
اقتده وبالله التوفيق ٥

تم باب الكتب والوصايا والعهود والحمد لله حق حمده

باب المختار من حكم

امير المومنين عليه السلم ومواعظه ويدخل في ذلك المختار من اجوبه مسايله
والكلام القصير الخارج في ساير اغراضه ٥
قال عليه السلم كن في الفتنه كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع
فيحلب أقول ابن اللبون ولد الناقه اذا استكمل سنتين ودخل في
الثالثه لان امه على الاغلب تكون قد وضعت ولدا غيره فهي ذات لبن وقد
امر اصحابه في زمن الفتنه ان يشبهوا بابن اللبون واشار الى وجه الشبهه
بقوله لا ظهر الى اخره واراد انه يكون في زمانها خامل الذكر ضعيفا غير
مستكثر من المال كيلا يصلح لمعاونه الظالمين بنفسه ولا بماله ولا يشبع

به في الفتنة كابن اللبون الذي لا ينتفع بظهره ولا لبنه وظهر مبتدا خبره
محذوف تقديره له وتركب عطف على الجملة وروي منصوبا باضمار ان
في جواب النفي وكذا قوله فيحلب ٥ وقال عليه السلم احدى
وعشرين كلمة من الادب والحث على مكارم الاخلاق احدها قوله
ازرى بنفسه من استشعر الطمع المضاد لفضيلة القناعة بذكر ما يستلزمه
من التهاون بالنفس والازراء بها وذلك ان الطمع بما في ايدي الناس يستلزم الحاجة
اليهم والخضوع لهم وهو يستلزم الهون عليهم وسقوط المنزلة واستعار
لفظ الاستشعار لملازمة الطمع وما يسر به للقلب كالشعار للجسد
الثانية قوله رضي بالذل من كشف ضره وهو ايضا تنفير للانسان
عن شكاية فقره وضره للناس بذكر ما يلزم ذلك من الذلة والرضى به
الثالثة وهانت عليه نفسه من امر عليها لسانه وهو تنفير الانسان
عن الاكثار في القول من غير تدبر ومراجعة لعقله بما يلزم ذلك من هوان
نفسه عليه اما في الدنيا فلان زيادة القول قد يكون سببا للهلاك واليه
اشار القائل

احفظ لسانك ايها الانسان ... لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الاقران

واما في الاخرة فلقوله صلى الله عليه واله وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم الا
حصائد السنتهم ولا هوان لنفس الانسان عليه اعظم من اهلاكها واستعار لفظ
التامير لتسليط لسانه اللسان على ما يؤدي النفس من غير مراجعتها فكانها
صارت محكومة له الرابعة قوله البخل عار وذلك لانه رذيلة التفريط
من فضيلة الكرم وقد يحمد الانسان على الكرم بكون ذمه ويعيره برذيلة

البخل الخامسة والجبن منقصة لانه رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة
التي هي اصل من الكمالات النفسانية كان الجبن رذيلة ومنقصة ٥
السادسة والفقر يخرس الفطن عن حجته وذلك لكونه مذلة وكلة في
النفس فتعلة عظمة بالقصور والفتور والانفعال عن الغير ومبدا كل ذلك
تصور العجز وتوهم القصور بسبب عدم المال عن مقاومة الخصوم فيحصل
التخوف من الكلام والعي عنه وان كان صاحبه فطنا واستعار لذلك
لفظ الخرس ملاحظة التشبيه به ٥ السابعة والمقل غريب
في بلدته اي الفقير واستعار له لفظ الغريب باعتبار عدم التفات الناس اليه
وقلة الاعوان والاخوان له خلا فلا له فهو كالغريب الذي لا يعرف ٥
الثامنة والعجز افة العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدني وهو عدم
القدرة على التصرفات البدنية عما من شانه ان يقدر ويحتمل العجز النفساني
وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى ودفعه والاول آفة بدنية يبطل
فيه والثاني آفة في العقل وعاهة فيه ٥ التاسعة والصبر شجاعة
الصبر فضيلة تحت العفة ورسم بانها مقاومة الهوى لئلا تنقاد النفس الى قبائح
اللذات وهو جهاد مع النفس الامارة يستلزم فضيلة الشجاعة فلذلك
جعل الشجاعة عليه لحمل اللازم على ملزومه العاشرة والزهد ثروة
وهو فضيلة تحت العفة ورسم بانه اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها
ولما كانت الثروة في العرف عبارة عن الغنى بالمال وكثرته استعار لفظها
للزهد لمشابهته اياها في استلزامها للغنى وعدم الحاجة الحادية عشر
والورع جنة وحقيقة الورع لزوم الاعمال الجميلة فلذلك استعار لفظ الجنة
لمشابهتها في الوقاية من عذاب الاخرة ومن اكثر المصائب الدنيوية كما تجن بالترس

وغير من النتايج الثامنة عشر ونعم القرين الرضا بقضا الله وما نزل
به القدريات عظيم من ابواب الجنه وغايه من الملكات الفاضله وظاهر
انه نعم القرين في الدنيا والاخره الثالثه عشر العلم وراثه كريمه وهو
فضيله النفس العاقله وهو اشرف الكمالات التي تقتنى وبحسب ذلك
كان وراثه كريمه من العلما بل كان اكرم موروث ومكتسب والمراد الوراثه
اللغويه كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب
اي العلم والحكمه الرابعه عشر والاداب حلل مجدده والمراد
الاداب الشرعيه ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجدده
باعتبار دوام زينه الانسان بها وتجدد بهايه وحسنه وتهذيب نفسه
على استمرار الزمان بلزومها واستخراج محاسنها كالحلل التي لا يزال تجدد
على لابسها الخامسه عشر والفكر مراه صافيه الفكر قد يراد
به القوه المفكره وقد يراد به حركه هذه القوه مطلقا اي حركه كانت وقد
يراد به معنى آخر وعلى هذا القوه نفسها واستعار لها لفظ المراه باعتبار
انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب التصوريه والتصديقيه ادركها
وعلمها كما تمثل في المراه صور ما يحاذي بها السادسه عشر
وصدر العاقل صندوق سره واستعار للصدر لفظ صندوق السر باعتبار
حفظه له كما يحفظ الصندوق ما فيه وهو في المعنى امر للانسان بكتمان
سره ورغبه في ذلك بذكر العاقل فكانه قال العاقل من جعل صدره صندوق
سره وحفظه السابعه عشر البشاشه حباله الموده واستعار لها
لفظ الحباله باعتبار اقتناص الانسان بها الناس واستمالتهم الى صداقته ومحبته
كحباله الصايد التي تقتنص بها الطير الثامنه عشر الاحتمال قبر العيوب

اما لاحتمال المكروه والاذى من الاخوان وساير الناس هو فضيله
عظيمه تحت الشجاعه واستعار له لفظ قبر العيوب باعتبار ستره لمعايب
صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفه الميت قال السيد
رحمه الله وروي انه عليه السلم قال في العباره عن هذا المعنى ايضا المسالمه
خبا العيوب قال الجوهري الخبا واحد الاخبيه بيت من وبر او صوف
ولا يكون من شعر ويكون على عمودين او ثلثه وما فوق ذلك فهو بيت
والمسالمه فضيله تحت العفه استعار لها لفظ الخبا باعتبار انها فضيله
تستجلب المحبه وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخبا
وتبين استلزامها الستر العيوب باستلزام نقيضها وهو المخاصمه وعدم
المسالمه لثوران الطباع على ذكر المعايب وابرازها لعرض الاهانه والتبكيت
التاسعه عشر ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه وذلك لوجهين
احدهما ان الراضي عن نفسه معتقد لكمالها على غيرها وناظر الى غيره بعين
النقصان غير موف للناس حقوقهم فيكثر بذلك الساخط عليه منهم
الثاني انه لاعتقاده كمالها يرفعها فوق قدرها والناس يرونه بقدره فيكره
المنتقص له والساخط عليه العشرون والصدقه دوا منجح استعار
لفظ الدوا النافع للصدقه لمشابهتها الدوا اما في الدنيا فلقوله صلى الله
عليه واله وسلم داووا مرضاكم بالصدقه وسر ذلك انها تستجلب الهمم
وتطابق القلوب على محبه المتصدق والرغبه الى الله سبحانه في دفع المكاره
عنه لبقايه فهي في ذلك سبب للشفا كالدواء واما في الاخره فلانها سبب
لدفع المكاره الاخرويه كما سبق بيانه الحاديه والعشرون
واعمال العباد نصب اعينهم وسر ذلك ما علمته من كون النفوس ما دامت في الدنيا

فهي بمنزلة ملكات الخير والشر لكنها في اغشية من الهيئات البدنية وحجب
عن ادراك الامور كما هي فاذا زالت تلك الاغشية بالمفارقة انكشفت لها الامور
فادركت ما عملت من خير وما اكتسبت من شر كما قال تعالى فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد وكما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
الاية ٥ وقال عليه السلم اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم
ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم تنبيه على لطف خلق الانسان
ببعض اسرار حكمة الله فيه وغايته من ذلك الاستدلال على حكمة صانعه
ومبدعه وذكر اربعة من محال النظر والاعتبار وهي آلة البصر وآلة الكلام والسمع
والتنفس وخصها بالذكر لكونها مع ضعفها ضرورية في وجود الانسان على شرفه
وعلو رتبته في المخلوقات ولا تقوم الا بها ليكون ذلك محل التعجب والاعتبار
لطف الصانع الحكيم واراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف
الاطباء بالبيضية والرطوبة الجليدية فان العين مركبة من سبع طبقات
وثلث رطوبات كل منها مختص في عرفهم باسم وعنى باللحم اللسان فانه لحم
ابيض رخو ملتف به عروق كثيرة صغار فيها دم ولذلك يرى احمر وتحته
عروق وشريانات واعصاب كثيرة وتحته موهتان يسيل منهما اللعاب
ينتهيان الى لحم غددي رخو موضوع في اصله يسمى مولد اللعاب وبهاتين
الفوهتين يسقى اللسان وما حوله النداوة الطبيعية واراد بالعظم الذي يسمع
به العظم المسمى الحجري وهو عظم صلب فيه مجرى الاذن كثير التعاريج
والعطفات ثم كذلك الى ان يلقى العصبة الثانية من الدماغ التي هي مجرى الروح
الحامل للقوة السامعة واراد بالخرم ثقب الانف وفي هذه واشباهها من بدن
الانسان وساير الحيوان عبرة لمن اعتبر وكال الشهادة بوجود الصانع الحكيم لها

ومن نظر في تشريح بدن الانسان حضرته شواهد من الحكمة الالهية يحار
فيها لبه ويدهش فيها عقله وقرا الصادق عليه السلم قوله تعالى وخلق الانسان
ضعيفا ثم قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو ينظر بشحم ويسمع بعظم وينطق
بلحم وقد راعى في القراين الاربع السجع المتوازي ٥ وقال
عليه السلم اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم
سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان الدنيا اذا اقبلت بجاهها ومالها على قوم بحسب
توافق اسباب السعادة الدنيوية لهم استلزم ذلك اقبال الناس عليهم ونظرتهم اليهم
بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها فحسنوا في اعينهم فاستعاروا لهم
الاوصاف الجميلة التي كانت في غيرهم وان لم يكونوا في نفس الامر كذلك
حتى يصفوا بالعلم الجاهل وبالكرم المبذر وبالشجاعة المتهور وبالظرف ولطف
الاخلاق الماجن وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سببا لاستعدادهم لتحصيل
الكمالات النفسانية والملكات الفاضلة التي كانت محاسن لغيرهم قبلهم وان
كانوا قبل ذلك غير اهل لشي منها ويحتمل ان يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب
وملبوس وامتعة وحسن آلة وتصرف وذلك ظاهر وكونها عارية باعتبار عدم
دوامه وكذلك اذا ادبرت عنهم بحسب توافق اسباب الشقاوة فيها
سقطوا في اعين الناس حتى يكون احدهم ذا فضيلة في نفسه فيجحدها الناس
ويصفونه بضدها فان زهد في الدنيا نسبوه الى الرياء والسمعة وان حسنت
اخلاقه نسبوه الى الخلاعة والمجون وان شجع نسبوه الى التهور والجنون
وهو معنى سلبها محاسن انفسهم وربما استعد ذو الفضيلة منهم بذلك لتركها
واهمالها والتخلق بضدها حتى تسلب عنه الفضيلة بالكلية ٥
وقال عليه السلم خالطوا الناس مخالطة ان متم بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم

نبه بذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الأخلاق وكنى
بذلك عن قوله أن متم إلى الخير إذ من لوازم حسن المعاشرة للمخالط الحنين إليه في
حيوته وانتقاله والبكا عليه بعد وفاته والجملة الشرطية في موضع نصب
المخالطة ٥ وقال عليه السلم إذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو عنه شكر القدرة عليه وهو تنبيه على فضيلة العفو وجذب إليه
بكونه شكراً للقدرة أي ملازم للشكر عليها وذلك أن القدرة على العدو نعمة من
الله تعالى يجب شكرها والاعتراف لله والخضوع له ويلزمه الرقة وفتور
الغضب ويتبع ذلك العفو فأقامه مقام الشكر للملازمة بينهما ولما كان الشكر واجبا
كان العفو لازماً وقال عليه السلم أعجز الناس من عجز عن اكتساب
الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم الإخوان جمع أخ كخرب وخربان
وأراد الأصدقاء الصادقين في الكلم حث على مكارم الأخلاق لأن الإخوان لا
يكتسبون إلا بها وإنما جعل العاجز عن تحصيلهم أعجز الناس لأن ذلك لا يحتاج إلى
إتعاب قوة بدنية ولا إعمال فكر عقلية وإنما يفتقر إلى لين الأخلاق وحسن
المعاشرة والملاقاة بالبشر والطلاقة وهي أمور طبيعية في أكثر الناس ومن أهون
الأشيا عليهم فكان العاجز عنها أعجز الناس عما هو مقدور لهم وإنما جعل من ظفر به
منهم ثم ضيعه أعجز لأن المكتسب للإخوان لا بد له من كلفة ما في اكتسابهم
وأما الظافر بهم فهو غير محتاج إلى ذلك القدر من الكلفة فكان سبب حفظ
الإخوان أسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيع لحفظهم أعجز من العاجز
عن اكتسابهم لعجزه عن حفظ الأمر الأسهل فإن قلت تقدم أن المضيع لهم
أعجز من أعجز الناس فلا يكون أعجز الناس أعجز الناس قلت لفظ الناس لفظ
مطلق إنما يلزم أن لو كان للعموم ٥ وقال عليه السلم إذا وصلت إليكم

أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر نبه على وجوب الشكر على
النعمة لغرض دوامها ونفر عن قلته بما يستلزمه من كونه منفراً لما يستقبل
منها واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها بالطير المتصل إذا سقط
أوله اتصل به آخره ثم لم ينفر وفيه إيماء إلى أن دوام الشكر يستلزم لدوامها وكثرتها
لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال عليه السلم من ضيعه الأقرب
أتيح له الأبعد أي قدر وأراد أن الله سبحانه جعل لكل شيء سبباً يجب معه
وبه ولما كانت منافع الإنسان وضروراته في الأغلب تقوم بها من كان أقرب
إليه من أهله وعشيرته ولهذا في الحكمة أن لا يكون له نفع إلا من جهتهم لا جرم
أنهم إذا ضيعوه وأهملوه لا بد له أن يقدر الله له من يقوم بمصالحه ومعاونته
ممن هو أبعد عنه وقال عليه السلم ما كل مفتون يعاتب الفتنة
قد يكون في الدين وقد يكون في الدنيا وقد يكون فيهما وعلى التقديرات فقد
يلحق الإنسان بسببه والذي يعاتب على فتنته منها لا من كانت
لسبب فتنته منه أو بعضها كوقوع الفتنة لصاحبة الفساق ونحو ذلك
إذا حملنا على ظاهره ويحتمل أن يريد ليس كل مفتون ينفع معه العتاب
وقال عليه السلم تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير
استعار ذل الأمور لمطاوعتها المقدور وجريانها على وفق القضاء ولما
كان الإنسان جاهلاً بأسرار القدر جاز أن يكون من غايات مطاوعة
الأمور للقدر كون ما يعتقده الإنسان الجاهل مصلحة ويفعله تدبيراً لمنفعته
سبباً لحتفه وهلاكه وفيه إيماء إلى وجوب إسناد الأمور إلى الله
وعدم التوكل على التدبير والانقطاع إليه وسئل عليه السلم عن قول

النبي صلى الله عليه وآله وسلم غيّروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود فقال
انما قال عليه السلم ذلك والدين قلّ فاما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب
بجرانه فامرؤ وما اختار. النطاق شقة طويلة عريضة تجرّ على
الارض اذا لبست وجران البعير صدره وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
في اول الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم ويندبهم اليه
وكان يبعثهم عن تركه بكونه تشبّها باليهود لان اليهود لم يكونوا يفعلون
ذلك فكانوا يخضبون بالسواد وقيل بالحنا والغرض ان ينظر اليهم الكفار
بعين القوة والشبيبة فيفعلون عنهم ولا يطمعون فيهم فسئل عليه السلم
عن ذلك في زمن خلافته فجعله من المباح دون المندوب واشار الى
تلك السنة انما كانت حيث كان المسلمون قليلين واما الآن وقد كثروا
وضعف الكفار فهو مباح وكنى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختاروا
واستعار لفظ النطاق لما انتشر منه ولفظ الضرب بالجران لثباته
واستقراره ملاحظة لاستقراره لشبهه بالبعير البارك وقوله
فامرؤ مبتدا وما اختار عطف عليه وما مصدرية وخبر المبتدا محذوف
تقديره مقرونان كقولهم كل امرئ وضيعته والله الموفق ۝
وقال في الذين اعتزلوا القتال معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل
منهم عبد الله بن عمر وجماعة من القراء وغيرهم كابي موسى الاشعري والاحنف
ابن قيس في حرب صفين ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسط درجتهم في الضلال
وجري مجرى العذر لهم فكانه قال انهم وان خذلوا الحق معنا لم ينصروا الباطل
مع خصومنا وقال من جرى في عنان امله عثر في اجله وهو تنفير عن

تطويل الامل بذكر قطعه بالاجل واستعار لفظ العنان له ملاحظة
لشبهه بالفرس ولفظ الجري للاندفاع في الامل والعمل بحسب تطويله ولفظ
العثار للامتناع عن الجري بعارض الاجل وقواطعه كعثار العادي بما يعرض
له من حجر ونحوه وقال اقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر
الا ويد الله ترفعه رغب في اقالة ذوي المروات عثراتهم التي يتفق
وقوعها نادرا لكونهم لما الحقه الندم عليه وجوه بذكر كون يد الله بايدهم
ترفعهم واستعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطأ من غير نية ولفظ
اليد لعناية الله وقدرته وكنى عن تعلقها به وتداركه حاله بكون يده بيده
ترفعه وذلك ان المروة فضيلة عظيمة تستجلب لهم الخلق وقلوبهم
ومساعداتهم وبحسب ذلك يكون استعداد العاثر من ذوي المروات
لعناية الله ووقايته من عثرته وقال قرنت الهيبة بالخيبة والحيا
بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير اراد بالهيبة
الخوف من المقابل واحتشامه وظاهر ان ذلك مستلزم عدم قضاء الحاجة
منه والظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها
بالخيبة وكذلك الحيا بالحرمان لاستلزام الحياء ترك الطلب والتعرض له وهو
تنفير عن الهيبة والحيا المذمومين ۝ ثم امر بانتهاز فرص الخير اي المبادرة
الى فعله عند حضوره ووقت امكانه ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله
الفرصة تمر مر السحاب اي انها سريعة الزوال وتقدير الكبرى وكلما
كان كذلك فواجب ان يبادر اليه ويغتنم وقت امكانه ۝ وقال
لنا حق فان اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال السيد
وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه انا ان لم نعط حقنا كنا اذلا

وذلك لان الرديف من ركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما
وقال الازهري في تهذيب اللغة قال القتيبي اعجاز الابل مآخيرها جمع
عجز وهو مركب شاق قال ومعناه ان منعنا حقنا ركبنا مركب المشقة
وصبرنا عليه وان طال ولم نضجر منه مخلين لحقنا ثم قال الازهري
لم يرد عليه السلام ركوب المشقة ولكنه ضرب اعجاز الابل مثلا لتاخره
عن حقه من الامامة وتقدم غيره عليه فاراد ان منعنا حقنا
منها واخرنا عن ذلك صبرنا على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى
سير الليل واقول الذي ذكره الشارحان احتمالات حسنة وهي متقاربة
لان ركوب الاعجاز مظنة الذلة والمشقة والتاخر المنزلة ويحتمل ان يكون
كلها مرادة له ويعرف ولا يفرق بين المثل والكناية فان ركوب الاعجاز ولو
كناية عن الامور المذكورة وكذلك طول السرى كناية عن طول المشقة
لانه مظنتها وملزومها ويحتمل ان يكون كناية بالمثل ٥ وقال
من ابطا به عمله لم يسرع به حسبه اي من لم يكن له عمل صالح حسن فتاخر
بسبب ذلك عن معالي الرتب الدنيوية او الاخروية لم يسرع به حسبه وشرف
بيته اليها ان كان ذا حسب وكنى ببطوء عمله عن عدم وصوله الى منزلة الحر لعدم
ما توصله اليه من زكي الاعمال وجعل الاسراع في مقابلة البطوء ٥ وقال
من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب الملهوف
المظلوم يستغيث والتنفيس التفريج عنه الذي ياخذ بنفسه وجعلهما من
كفارات الذنوب العظام لكونها فضيلة عظيمة تستلزم فضائل كالرحمة والعدل
والسخاء والمروة وغيرها وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس مما يستلزم ستر
الذنوب ومحوها ومنافاة ملكات الشر التي يعبر عنها بالسيئات والذنوب كما

سبقت الاشارة اليه ٥ وقال يا ابن آدم اذا رايت ربك سبحانه
يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره نفر عن معصية الله بحال
متابعة نعمه عليه بتحذيره منه وذلك انه لما كان دوام شكرها للمزيد منها
كان كفرانها ومقابلتها بالمعصية المستلزم لعدم الشكر مستلزما لعدم الاستعداد
للمزيد ومعدا للنقصان وتحول النعمة كما قال تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد وهو محل الحذر منه والواو في قوله وانت للحال ٥ وقال ما
اضمر احدكم شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه الفلتة الامر يقع
من غير روية وصفحة الوجه بشرته ولما كان الانسان اذا اضمر في نفسه امرا اما
عنده من عداوة او بغض او محبة الى غير ذلك وكان الوجود اللساني عبارة
عن الوجود النفساني ومظهرا له لم يمكن المرء ان يحفظ ما اضمره بالكلية لان
من لوازم ذلك الحفاظ انما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة والعقل قد
يشتغل بالتصرف في مهم آخر فيغفل عن ضبط ما اضمره فتنفلت الحالة من
اسر العقل وتلمع في فلتات القول من غير روية وكذلك لما كانت التصورات
والامور النفسانية مبادئ للآثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل
لم ينفك بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات الوجه
والعين ويشاهد ذلك بالتجربة ٥ وقال امش بدائك ما حملك وفيه رواية
ما مشى بك اي ما دام المرض لا يهضك ويعجزك فلا تنفعل عنه وتعاجز به
بل كن في صورة الاصحاء وقيل فيه ايماء الى ما امر به من كتمان المرض كما قال
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كنوز البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة وربما
كانت فائدة ذلك كونه نوع تجلد والتجلد معاونة للطبيعة وتقوية لها على
المرض ومن الامراض ما يحلل بالحركات البدنية واستشعار المرض وضعف الماشي

ما اعتبار انه لا يلزمه الارض والفرش فهو كالجاعل له والماشي به وقال
افضل الزهد اخفاء الزهد منه ظاهر ومنه خفي وهو الزهد الحقيقي ٢
المنتفع به كما قال صلى الله عليه واله وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى
اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ولذلك كان افضل والمراد الزهد الخفي فاضاف
الصفة الى الموصوف وقدمها لانها اهم ولان الزهد الظاهر يكاد لا ينفك
عن رياء وسمعة وكان مفضولا وقال اذا كنت في ادبار والموت في
اقبال فما اسرع الملتقى وهو حث باقبال الموت ولقائه والى الاستعداد
له ولما يبعد به بالاعمال الصالحة والادبار والاقبال امران لكن الانسان باعتبار
انقضاء اخر مدته ودنا موقفا في ادبار وبحسب ذلك يكون باعتبار فنائه
في اقباله اليه وبحسبهما يكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر وقال
الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر حذر من سخط الله بسبب
معصيته لطول امهاله وستره الى الغاية المذكورة وقوله فوالله
الى اخره صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من ستر على عبده الى الغاية المذكورة
فواجب ان يحذر غضبه ويجتنب معصيته ويرجع الى طاعته التي هي الغاية
من غاية ستره وسئل عليه السلم عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم
على الصبر وعلى اليقين والعدل والجهاد فالصبر منها على اربع شعب على الشوق
والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن
اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات
ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات واليقين منها على اربع شعب على
تبصرة الفطنة وتاول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر في
الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة

فكانما كان في الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص
الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور العلم ومن
علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في الامور وعاش في الناس
حميدا والجهاد منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف شد
ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في
المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وارضاه
يوم القيمة والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق
فمن تعمق لم ينب الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ
ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة ومن شاق
وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق مخرجه والشك على اربع شعب
على التماري والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله
ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك
الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والاخرة هلك فيهما قال
السيد وبعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوف الاطالة والخروج عن الغرض
المقصود في هذا الكتاب اقول الدعائم اعمدة البيت والشعبة
الغصن والتبصر التعرف والتاويل التفسير والزهرة النور والشنآن
البغض المعنى في معنى الكلام ولفضل السيد ولنعلم ان هذا الفصل من لطائف
الحكمة ومدار على شرح قواعد الايمان والاشارة الى فروع تلك القواعد ثم الى ثمرات
تلك الفروع ولما كان الكفر مضادا للايمان والشك مقابلا له مقابلة العدم للملكة
اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك ليتبين بهما الايمان اذ بضدها تتبين الاشياء

اما الايمان فاعلم انه عليه السلام اراد بالايمان الكامل وذلك لان له اصلا وله كمالات
بها يتم فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من صفات الكمال
ونعوت الجلال وما نزلت به كتبه وبلغته رسله وكمالاته المتممة هي الاعمال
المطابقة ومكارم الاخلاق والعبادات ثم ان هذا الاصل ومتمماته هو كمال
النفس الانسانية لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين
القوتين فاصل الايمان هو كمال القوة العلمية اذا عرفت هذا فنقول لما كانت
اصول الفضائل الخلقية التي هي كمال الايمان اربعا هي الحكمة والعفة والشجاعة
والعدل اشار اليها واستعار لها لفظ الدعائم ثم باعتبار ان الايمان الكامل لا
يقوم في الوجود الا بها كالدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها
علمية وهي استكمال القوة النظرية بتصور الامور والتصديق بالحقائق النظرية
والعملية بقدر الطاقة البشرية ولا تسمى حكمة حتى يصير هذا الكلام
حاصلا لها باليقين البرهاني ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة
العلم بوجوه الفضائل النفسانية الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه الرذائل
النفسانية وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها وظاهر ان العلم الذي صار ملكة
هو اليقين وعبر عن العفة بالصبر والعفة هي الامساك عن الشره في تناول
الشهوات المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب
الراي الصحيح ومقتضى الحكمة المذكورة وانما عبر عنها بالصبر لانها لازم من لوازمه
اذ رسمه انه ضبط النفس وقهرها عن الانقياد لقبائح اللذات وقيل هو ضبط
النفس عن ان تقهرها المكروه نزل بها ويلزم في العقل احتماله او يغلبها حب
مشتهى يتوق الانسان اليه ويلزمه في حكم العقل اجتنابه حتى لا يتناوله
على غير وجهه وظاهر ان ذلك ملازم العفة ولذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد

لا تستلزمه اياها اطلاقا فلا يتم الملزوم على لازمه والشجاعة هي ملكة
الاقدام الواجب على الامور التي يحتاج الانسان ان يعرض نفسه لاحتمال المكروه
والالام الواصلة اليه منها واما العدل فهو ملكة فاضلة تنشأ عن
الفضائل الثلث المشهورة ويلزمها وقد علمت فيما سلف ان كل واحدة من
هذه الفضائل محتوشة برذيلتين هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابله
برذيلة هي ضدها واما شعب هذه الدعائم فاعلم انه جعل لكل دعامة
منها اربع شعب من الفضائل تتشعب عنها وتتفرع عليها فهي كالفروع لها
والاغصان اما شعب الصبر الذي هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها
الشوق الى الجنة ومحبة الخيرات الباقية الثاني الشفق وهو الخوف من
النار وما يؤدي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض بالقلب عن
متاعها وطيباتها الرابع ترقب الموت وهذه الاربع فضائل متشعبة من
ملكة العفة لان كلا منها تستلزمها واما شعب اليقين فاحدها تبصرة
الحكمة الفطنة واعلاها والفطنة هي سرعة هجوم النفس على حقائق ما تورده
الحواس عليها الثاني تاول الحكمة وهو تفسيرها واكتساب الحقائق ببراهينها
واستخراج وجوه الفضائل ومكارم الاخلاق من مظانها ككلام مؤثر
او عبرة تنشر الثالث موعظة العبرة وهي تحصيل من اعتبار الغير على
اتعاظ وانزجار الرابع ان يلحظ سنة الاولين حتى يصير كانه فيهم وهذه
الاربع هي فضائل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالفرع للبعض واما
شعب العدل فاحدها غوص الفهم اي الفهم الغائص فاضاف الصفة الى الموصوف
وقدمها للاهتمام بها ورسم هذه الفضيلة انها قوة ادراك المعنى المشار اليه بلفظ
او كناية او اشارة ونحوها الثاني غور العلم واقتصاره وهو العلم بالشيء كما هو

حقيقته وكنهه الثالث نور الحكم اي يكون الاحكام الصادرة عنه
نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة الرابع ملكة الحلم وعبّر عنها بالرسوخ
لان شان الملكة ذلك والحلم هو الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب
فيمن جنى عليه جناية يصل مكروهها اليه واعلم ان فضيلة جودة الفهم
وغور العلم وان كانتا داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلة
تحت ملكة الشجاعة الا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول
الثلثة كانت في الحقيقة هي وفروعها شعبا للعدل بيان ذلك ان
الفضايل كلها ملكات متوسطة بين طرفي الافراط والتفريط وتوسطها
ذلك هو معنى كونها عدلا فهي باسرها شعب له وجزئيات تحته ۝
واما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف
والثاني النهي عن المنكر والثالث الصدق في المواطن المكروهة ووجود
الشجاعة في هذه الشعب الثلث ظاهر والرابع شنان الفاسقين
وظاهر ان بغضهم مستلزم لعداوتهم في الله وثوران القوة العصبية
في سبيل مجاهدتهم وهو مستلزم للشجاعة واما ثمرات هذه الفضايل
فاشار اليها للترغيب في تحصيلها فثمرات شعب العفة اربع احدها ثمرة
الشوق الى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له اذ
السالك الى الله ما لم يشتق الى ما وعد المتقون لم يكن له صارف عن الشهوات
الحاضرة مع توفر الداعي اليها فلم يسل عنها الثانية ثمرة الخوف من النار
وهو اجتناب المحرمات الثالثة ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات
لان غايتها وغاية امثالها انما يلحق بسبب فقد محبوب من الامور الدنيوية فمن
اعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هينة عنده الرابعة ثمرة ترقب

الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما بعده واما ثمرات
اليقين فان بعض شعبه ثمرة لبعض فان تبصرة الحكمة وتعلمها ثمرة لاعمال الفطنة
والفكر ومعرفة العبرة ومواقع الاعتبار بالماضين والاستدلال بذلك على صانع
حكيم ثمرة لتبين وجوه الحكمة وكيفية الاعتبار واما ثمرات العدل
فبعضها كذلك ايضا وذلك ان جودة الفهم وغوصه مستلزمة للوقوف
على شرايع الحكم وغور العلم وغامضه والوقوف على غامض العلم مستلزم
للوقوف على شرايع الحكم العادلة والصدور عنها بين الخلق من القضاء
الحق واما ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط والتقصير عن
هذه الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان يعيش في الناس محمودا بفضيلته
واما ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة الامر بالمعروف وهو شد ظهور
المومنين ومعاونتهم على اقامة الفضيلة الثانية ثمرة النهي عن المنكر
وهي ارغام انوف المنافقين واذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات واظهار
الرذيلة الثالثة ثمرة الصدق في المواطن المكروهة وهي قضاء الواجب
من امر الله في دفع اعدايه والذب عن الحريم والرابعة ثمرة بغض
الفاسقين والغضب لله وهي غضب الله لمن غضب لهم وارضاوه يوم القيمة في
دار كرامته واما الكفر فرسمه انه جحد الصانع او انكار احد رسله عليهم السلام
او ما علم مجيهم به بالضرورة وله اصل هو ما ذكرناه وكمالات وتتمات هي
الرذايل الاربع التي جعلها دعايم له وهي الرذايل من الاصول الاربعة للفضايل
الخلقية فاحدها التعمق وهو الغلو في طلب الحق والتعسف فيه
بالجهل والخروج الى حد الافراط وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل وتعمد
الجهل بطلان طلب الحق ونفر عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة

الى الحق والرجوع اليه لكن بتلك الرذيلة صارت ملكة والثانية التابع
وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم وتسمى جربزة ويعتمد الجهل المركب
ولذلك تفرع عنه ما يلزمه عند كثرته وصيرورته ملكة من دوام العمى
عن الحق الثالثة الزيغ ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة العفة
وهو الميل عن حاق الوسط منها الى رذيلتها الفجور ويعتمد الجهل ولذلك لزمه
قبح الحسنة وتحسين السيئة وشكر الضلالة واستعار لفظ السكر لغلبة الجهل
باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرف وعدم وضع الاشيا مواضعها ويحتمل ان يكون
اشارة الى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة الرابعة
الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة المسمى تهورا واستلزم
له ويلزمها توعر المسالك على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان مبدا
سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج في الامور هو مسالمة الناس
والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم واما الشك
فعبارة عن التردد في اعتقاد احد طرفي النقيض ويقابل اليقين كما سبق
وذكر له اربع شعب احدها التماري وظاهر ان مبدا المرا الشك في نفس
من اتخذه ملكة وعادة بكونه لا يتضح له وذلك كناية عن عدم وضوح الحق
له من طلبه لليل الشك والجهل الثاني الهول لان الشك في الامور يستلزم
عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم الفزع منها والخوف من
الاقدام عليها ويتبعها النكوص والرجوع على الاعقاب الثالث التردد
في الشك اي الانتقال من حاله الى حاله ومن شك في امر الى شك في آخر من غير
ثقة بشي وذلك داب من يعود التشكك في الامور ويتفرع عن ذلك ما يلزمه
مما نهى عنه بوطي سنابك الشياطين وهو ملك الوهم والخيال الارض قلبه حتى

يكون سلطان العقل ممنوعا عن الحزم وما من شانه الحزم به الرابعة
الاستسلام لهلكة الدنيا والاخرة ولزومه عن الشك لان الشاك في الامور
الدنيوية والاخروية المنقود لذلك غير عامل الشي منها ولا مهتم
باسبابها وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه ولزوم هلاكه
فيهما الاستسلامه ظاهر وبالله التوفيق وقال
عليه السلم فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وانما كان
كذلك لان العلة اقوى من معلولها فكان اقوى في خيريته وشريته
وتاثيرهما مما صدر عنه من خير او شره وقال عليه السلم
كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا وهو امر بفضيلة
السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط والتفريط منها وطرف
الافراط هو التبذير وطرف التفريط هو التقتير وقال عليه السلم
اشرف الغنى ترك المنى جمع منية بمعنى المنى ولما كان ذلك رذيلة يلزم عن
رذايل كالشره والحرص ونحوهما واقلها انها استعمال الفكر فيما لا فايدة فيه
رغب في تركها بان فسر به اشرف الغنى حتى جعله هو هو وظاهر
ان ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفساني وعدم
الحاجة ظاهر وقال من اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه
ما لا يعلمون لما كان من شان الطبع النفور عن الاذى وبغض المؤذي
وعداوته كان من شانه في غالب الخلق تقبيح ذكره بما امكن من قول
صادق او كاذب او محتمل لغرض ان يوافقهم السامعون على دفعه واذاه
وقال من اطال الامل اسا العمل لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما
للاقبال عليها والانهماك في العمل لها والغفلة عن الاخرة كان ذلك عملا

سيئا بالتشبيه الى الآخر وقال عليه السلم وقد لقيه عند
مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه فقال ما
هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال عليه السلم
والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون به على انفسكم وتشقون
به في آخرتكم وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها
الامان من النار وقال عليه السلم لابنه الحسن عليه السلم يا بني
احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت معهن ان اغنى الغنى العقل
واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشة العجب واكرم الحسب حسن الخلق
يا بني اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك واياك
ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك ومصادقة
الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب
يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب وانما قال اربعا واربعا لان
الاربع الاولى من باب واحد وهو اكتساب الفضائل الخلقية النفسانية
والاربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق وقيل لان الاولى من باب
الاثبات والثانية من باب النفي اما الاربع الاولى فالعقل واراد
المرتبة الثانية من مراتب العقل النظري المسمى عقلا وهو ان يحصل
لنفسه من العلوم البديهية والحسية والتجربية قوة ان يتوصل بها
الى العلوم النظرية وغاية ذلك ان يحصل على ما بعد هذه المرتبة من
مراتب العقل ورغب فيه بكونه اغنى الغنى وذلك انه يحصل الدنيا
والآخرة فهو اعظم اسباب الغنى وفيه الغنى كله الثانية الحمق وهو
رذيلة الغباوة وطرف التفريط من العقل المذكور ونفر عنه بكونه اكبر الفقر

لانه سبب للفقر من الكمالات خصوصا النفسانية التي بها
الغنى التام وكان اكبر فقر الثالثة العجب وهو رذيلة ملازمة الكبر
ومضاد التواضع ونفر عنها بكونها اوحش الوحشة وظاهر كونها
اقوى اسباب الوحشة ونفرة الانس لان التواضع لما استلزم
انس الخلق به وميلهم اليه كان ضده مستلزما لنفرتهم وتوحشهم
منه الرابعة حسن الخلق ورغب فيه بكونه اكرم الحسب لكونه
اشرف الكمالات الباقية وهذه المنفرات والمرغبات صغريات
ضماير واما الاربع الثانية فالاولى الحذر من مصادقة الاحمق
ونفر عنه بما يلزم حمقه من وضع المضرة موضع المنفعة عند
ارادتها لعدم الفرق بينهما الثانية الحذر من مصادقة البخيل ونفر
عنه بما يلزم بسبب بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجة اليه
واحوج حال من الضمير في عنك الثالثة الحذر من مصادقة الفاجر
والفجور رذيلة الافراط في فضيلة العفة ونفر عنه بما يلزم فجوره من
قلة وفايه وبيعه بالتافه وهو القليل من المال الرابعة الحذر من
مصادقة الكذاب ونفر عنه بتشبيهه بالسراب واشار الى وجه
الشبه بقوله يقرب الى آخره وبيانه ان الكذاب يوهم حقية ما
يقول فيسهل الامور العسرة البعيدة ويجعلها قريبة المتناول
ويبعد الامور السهلة القريبة ويجعلها بعيدة المتناول بحسب
اغراضه وكذبه مع انه ليس كذلك في نفس الامر كالسراب الذي
يظن ماء وليس به والتعليلات الاربعة المقرونة بقوله فانه صغريات
ضماير تقدير كبرياتها وكل ما كان كذلك فيجب ان يحذر صحبته ويجتنب

مصادقته وبالله التوفيق وقال عليه السلام لا قربة بالنوافل
اذا اضرت بالفرائض والاضرار بالفرائض تنقيص بعض اركانها او شرائطها
وقد يفعل الانسان ذلك لتعبه بالاشتغال بالنافلة او لما يريد ان
يستقبله منها ولا قربة فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه المعصيه
والعقاب ومنافاتهما للقربه وقال لسان العاقل وراء قلبه وقلب
الاحمق وراء لسانه قال السيد رحمه الله هذا من المعاني العجيبه
الشريفه والمراد به ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة الرويه
ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه
مراجعة فكره ومماخضة رايه فكان لسان العاقل تابعا لقلبه وكان قلب
الاحمق تابعا للسانه وقد روي عنه عليه السلام هذا الكلام بلفظ اخر وهو قلب
الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه واقول انه استعار
لفظ الوراء في الموضعين لما يعقل من تاخر لفظ العاقل عن رويته ومن
تاخر رويه الاحمق وفكره فيما يقول عن بوادر مقاله من غير مراجعة لعقله
والمعنى ما اشار اليه السيد رحمه الله وعلى الرواية الاخرى فاذا ما
يتصوره الاحمق فهو في فيه اي يبرز على لسانه من غير فكر واما نطق
العاقل فمخزون في عقله لا يخرج الا عن روية صادقة ولفظ القلب في
الاول مجاز فيما يبرز من تصوراته في الفاظه ولفظ اللسان مجاز في
الفاظه الذهنيه وقال لبعض اصحابه في علة اعتلها جعل
الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه يحط
السيئات ويحتها حت الاوراق وانما الاجر في القول باللسان والعمل
بالايدي والاقدام وان الله يدخل بصدق النيه والسريره الصالحه

من يشاء من عباده الجنة قال السيد رحمه الله واقول
صدق صلى الله عليه واله ان المرض لا اجر فيه لانه من قبيل ما يستحق عليه
العوض لان العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد
من الآلام والامراض وما يجري مجرى ذلك والاجر والثواب يستحقان
على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه السلام كما
يقتضيه علمه الثاقب ورايه الصائب واقول دعا عليه السلام
لصاحبه بما هو ممكن وهو حط السيئات بسبب المرض ولم يدع له بالاجر
عليه معللا ذلك بقوله فان المرض لا اجر فيه والسر فيه ان الاجر والثواب
انما يستحق بالاعمال المعدة له كما اشار اليه بقوله وانما الاجر في القول
الى قوله الاقدام وكنى بالاقدام عن القيام بالعبادة وكذلك ما يكون كالفعل من
عدمات الملكات كالصوم ونحوه على ما بيناه قبل فاما المرض فليس هو
بفعل للعبد ولا عدم فعل من شانه ان يفعله فاما حطه للسيئات
فباعتبار امرين احدهما ان المرض يكسر شهوته وغضبه اللذين هما مبدا
للذنوب والمعاصي ومادتهما والثاني ان من شان المرض ان يرجع الانسان
فيه الى ربه بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها كما قال تعالى
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الاية فما كان من
السيئات حالا غير متمكن من جوهر النفس فانه يسرع زوالها منها وما
صار ملكة فربما يزول على طول المرض ودوام الانابة الى الله تعالى
واستعار لزوالها لفظ الحت وشبهه في قوة الزوال والمفارقة بحت
الاوراق ثم نبه عليه السلام بقوله وان الله الى اخره على ان العبد اذا
احتسب المشقة في مرضه لله بصدق نيته مع صلاح سريرته تعدلكو

ذلك متعلقا لافاضته الاجر والثواب عليه ودخوله الجنة وبدخل
ذلك في اعداد الملكات المقربة بنية القربة الى الله وكلام السيد رحمه الله
مقتضى مذهب المعتزلة ٥ وقال عليه السلم في ذكر خباب بن
الارت رحمه الله يرحم الله خبابا ولقد اسلم راغبا وهاجر طايعا وعاش
مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله
خباب لعله التميمي وابا المشدده كان من المهاجرين ومن اصحابه عليه السلم
ومات بعد انصرافه من صفين بالكوفة وهو اول من قبره عليه السلم بها وقد
مدحه باوصاف ثلثة من اوصاف الصالحين احدها اسلامه عن رغبة
وهو الاسلام المنتفع به الثاني هجرته الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
طايعا وهي الهجرة التامة عن رغبة في الله ورسوله الثالث كونه
عاش مجاهدا امام الرسول صلى الله عليه وآله للكفار وامامه في وقته عليه السلم للبغاه
والخوارج والناكثين وقوله طوبى الى اخره في معرض مدح خباب
يشعر بان خبابا كان كذلك وطوبى فعلى من الطيب قيل في التفسير هي شجرة
في الجنة رغب بها في ذكر المعاد والحساب المستلزم للعمل لهما ولفضيلة القناعة
والرضا عن الله في قضايه وقدره والقناعة فضيلة تحت العفة والرضا
فضيلة تحت العدالة ٥ وقال عليه السلم لو ضربت خيشوم المؤمن
بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق
على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلم
انه قال يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ٥ الخيشوم
اصل الانف والجمات جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض ولما كان الايمان
الحق موجب الاتحاد وصدق المحبة في الله بين المؤمنين لاجرم لم يجتمع معها البغض

ولما كان النفاق منافيا للايمان كان منافيا لما يلازمه من المحبة في الله
فلا يجتمع معه ولو بذل الجزاء للمنافق واستعار لفظ الجمات لمجامع اموال
الدنيا ملاحظة لمشابهته المعقولة نعم قد يحصل بسبب ذلك محبة
عرضية فانية بفنا مادتها من بذل المال ونحوه وليس الكلام في ذلك
النوع من المحبة وذلك سر قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يبغضك الى اخره
واحال عليه السلم ذلك على ما قضي فانقضى اي قدر على لسان النبي صلى الله عليه
وقال عليه السلم سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك اراد بالسيئة
التي تسوءه كذنب يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنة التي
تعجبه كصلاة او صدقة يحصل بها اعجاب ولما ان تلك السيئة خير
عند الله من هذه الحسنة فلان الندم العاقب للسيئة ماح لها والحسنة
المستعقبة للعجب مع احاطها به يكون لها اثر هو سيئة ورذيلة
تسود لوح النفس فكانت السيئة اهون فكانت خيرا عند الله ٥
وقال عليه السلم قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروته
وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته اشار الى امور اربعة
وجعلها مبادي لامور اربعة احدها الهمة وجعلها مبدا لقدر الرجل
وقدره هو منزلته في اعتبار الناس من رفعة رتبة وتبجيل او خسة
واحتقار وهو من لوازم علو همته او دنائتها فعلو الهمة هو ان لا يقتصر
على بلوغ غاية من الامور التي يزداد بها شرفا وفضيلة حين يسمو الى ما
وراها مما هو اعظم قدرا واجل خطرا ويلزم ذلك نبله وتعظيمه ومدحه
وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور وخسايسها ويقصر عن غاياتها
وبحسب ذلك يكون صغر خطره وقلة قدره الثانية جعل مبدا الصدق

المروة والمروة فضيلة يتعاطى معها الإنسان الأفعال الجميلة ولعدم
ما يعود عليه بالنقص وإن كان مباحاً فلذلك لزمها الصدق على مقاله
وتعدد قوة هذه الفضيلة وضعفها بكون قوة لازمها وضعفه ٥
الثالثة حجل الأنفة مبدأ الشجاعة والانفعالية الأنف وثوران
الغضب لما يتحمل من مكروه يعرض استكباراً له واستنكافاً من
وقوعه وظاهر كونه مبدأ الشجاعة والإقدام على الأمور وبحسبها تكون
قوة الإقدام وضعفه الرابعة حجل الغيرة مبدأ العفة والغيرة نفرة
طبيعية تكون من الإنسان عن تحمل مشاركة الغير في أمر محبوب له أو يعتقد
لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد والتحمل وضعفهما تصور وقوع
ذلك الفعل في نفسه أو حرمه فلا يكون امتناعه عن مشاركة الغير
ووقوفه عن اتباع الشهوة في مشاركة الناس في الأمور المحبوبة لهم
كزوجته ونحوها وهو معنى العفة ٥ قال الظفر بالحزم والحزم
بإجالة الرأي والرأي بتحصين الأسرار الحزم أن تقدم العمل في الحوادث
الواقعة في باب الإمكان قبل وقوعها بما هو أقرب إلى السلامة وأبعد من
الغرور وإجالة الرأي إجالته وتحصين الأسرار كتمانها وحفظها وأشار إلى المبدأ
القريب للظفر وهو الحزم وإلى البعيد منها وهو كتمان السر وإلى الأوسط منها
وهو إجالة الرأي وإنما سببية كتمان السر للرأي الصحيح فإن إظهار السر
بما يرى من الرأي في الحرب وغيرها يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل
فيما يعارضه وتفسده وذلك من فساد الرأي وأما سببية إجالة الرأي في
اختيار المصلحة للحزم فلأنه لولاه لجاز أن يكون العمل المتقدم في الحوادث المستقبلة
غير موافق فلا يحصل الحزم وأما أن الحزم سبب للظفر فظاهر وقال

احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع أراد بالكريم شريف النفس
ذا الهمة العلية وجوعه كناية عن شدة حاجته وذلك يستلزم لثوران
حميته وغضبه عند عدم التفات الناس إليه وحمل نفسه على المبالغة في طلب
أمر كبير يصول عليهم به ويتسلط بواسطته على قهرهم ومكافاتهم
كالولاية عليهم ونحوها فلذلك يجب الحذر منه والاحتراز من صولته بالالتفات
إليه في حاجته وإن فات ضرورته بما يدفعها وشبع اللئيم كناية عن غناه
وعدم حاجته وذلك يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللؤم وشبعه
مؤكد لذلك فأما جوعه فربما كان سبباً لتغير أخلاقه وتجويدها
لغرض واستمراره في الشبع من اللئام على مقتضى طباعه من اللؤم مستلزم
لأذى من كان تحت يده ومن يحتاج إليه من الناس من الآحاد أن
يحذر صولته وحسم أسباب شبعه عند التمكن من ذلك وقال قلوب
الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه جعل عليه السلام الوحشة هنا أصلية
وذلك باعتبار كون الألفة مكتسبة والوحشة عدم الألفة عما من شأنه أن
يألف والمعنى ظاهر وقال عيبك مستور ما أسعدك جدك سعادة
الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق أسباب المصلحة في حق الإنسان ومن مصالحه
ستر العيوب والرذائل وبحسب دوام ذلك يدوم سترها وقال أولى
الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة لما كانت فضيلة العفو إنما تطلق في العرف
على من قدر على العقوبة ولم يعاقب وكان العفو والقدرة مقولين بالأشد
والأضعف لا جرم كان أشد أولوية العفو تابعة لأولوية القدرة وأشدها
أي من كان أشد قدرة على العقوبة وعدمها كان أولى بأن يسمى عفواً ٥
وقال السخاء ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم السخاء لا

والسخاء عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقه بقدر ما ينبغي ابتداء عن
طيب نفس وحسن المساواة لذوي الحاجة منه وبهذا الرسم يتبين ان ما كان
من البذل عن مسئلة خارج عن رسم السخاء وذكر له سببين احدهما الحياء من السائل
او من الناس فيتكلف البذل لذلك الثاني الاستنكاف مما يصدر من
السائل من الحاح او مسبة بالبخل ونحوه ٥ وقال اربع كلمات احداها
لا غنى كالعقل ولما ثبت انه اغنى الغنى وان يكون لا غنى مثله الثانية ولا فقر
كالجهل وذلك لما مر ان اكبر الفقر الحمق والمراد بالجهل هنا ما يقابل العقل
بالملكة وهو الحمق او ما يلازمه الثالثة ولا ميراث كالادب
الادب هو التحلي بمكارم الاخلاق وهو افضل من كل موروث من مال
وغيره واراد الوراثة اللغوية ولا ظهير كالمشاورة ولما كانت المشاورة
تنتج في غالب الاحوال الراي الصحيح فيما يراد من الامور والراي الصحيح
انفع في التدبير من القوة وكثرة العدد والعدة كما قال ابو الطيب
الراي قبل شجاعة الشجعان   لا جرم لم يكن للمشاورة التي هي مظنته ما
يساويها في المعونة على المنفعة من الامور التي يستظهر بها ويستعان
وقال الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر على ما تحب العدد في الصبر
هنا بعد وصفي لان حقيقته في الموضعين واحدة على ما عرفت حقيقته
وقال الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة استعار لفظ
الوطن للغنى في الغربة باعتبار انه يسكن اليه ويتونس به فلا يرى اثر الغربة
على الانسان معه واستعار لفظ الغربة للفقر في الوطن باعتبار ضيق الخلق
معهما وتعسر الامور فيهما ٥ وقال القناعة مال لا ينفد القناعة هي ضبط
النفس عن الاشتغال بما خرج عن مقدار الكفاية وبلغ الحاجة المعاش والاوات

وعدم ما يشاهد من ذلك عند الغير واستعار لها لفظ المال بوصف
عدم النفاد باعتبار دوام الغنى معها كالمال الموصوف وقال المال
مادة الشهوات اي منه يكون استمدادها وزيادتها والمادة هي الزيادة
المتصلة وهي في الكلام تنبيه على الاستكثار من المال لما يلزمه من امداد
الشهوة وتقويتها على معصية العقل وقال من حذرك كمن بشرك
اراد من حذرك من الاثم كمن بشرك بالنجاة منه ووجه الشبه ظاهر
وهو الترغيب في الاقبال على المحذر واستماع تحذيره لغرض النجاة بتشبيهه
بالمبشر وقال اللسان سبع ان خلي عنه عقر استعار لفظ السبع
للسان باعتبار انه ان ترك عن ضبط العقل لم يطلق بما فيه هلاك صاحبه
كالسبع اذا لم يحفظ ٥ وقال المرأة عقرب حلوة اللسبة للعقرب
لسعتها واستعار للمرأة لفظ العقرب بالوصف المذكور باعتبار ان
من شانها الاذى لكن اذاها مشوب بما فيها من اللذة بها فلا يحس به
وهو كاذى الجرب المشوب بلذته في زيادة حكته ٥ وقال الشفيع جناح
الطالب استعار لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة الى مطلوبه كالجناح
الطائر ٥ وقال اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ووجه الشبه
قوله يسار بهم وهم نيام وذلك ان اهل الدنيا لا هما لهم طريق هم فيها سائرون
الى الآخرة حال ما هم في غفلة عن غايتهم والعمل لها حتى يوافوها فاشبهوا الركب
الذين يسرون وهم نيام حتى يوافوا منازلهم ٥ وقال فقد الاحبة
غربة استعار لفظ الغربة لفقد الاحبة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة
وعدم الانس وقال فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها فغير
اهلها هم اللئام ومحدثوا النعمة وساقطوا الاصول وانما كان اهون لان فوتها

يستلزم غمًّا واحدًا واما طلبها الى غير اهلها فانها لا تحصل غالبًا
فيستلزم غم فوتها ثم ثقل الاستنكاف والندم من رفعها اليهم ثم غم ذله
الحاجة الى اللئام وكذا الم عظيم كما قال الموت اهون من سؤال
اللئام ثم غم ردهم لها ومع عدم ردهم اربعة وكذلك ان قضيت كان
فيها غم ثقل الاستنكاف ثم غم ذل الحاجة اليهم فكان فوتها اهون
على كل حال وهذه الكلمة تحث على فضيلتي القناعة وعلو الهمة
وقال لا تستحي من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه اراد بقوله
اقل منه اي احقر في الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء عما
من شانه ان يعطى وليس ذلك العدم من باب الكرم لمحقه القلة والكثرة
ونفى عن الحيا من اعطاء القليل بتحقير صغراه قوله فان الحرمان اقل
منه وبقدر كبراه وكل ما كان الحرمان اقل منه فينبغي ان لا تستحي
منه بل من الحرمان الذي هو اقل منه وقال العفاف زينة
الفقر العفاف العفة وقد علمت انها فضيلة القوة الشهوية
والفقير اذا ضبط شهوته بزمام عقله من ميولها الطبيعية كملت
نفسه بفضيلة العفة وزان فقره بفضيلته في اعين المعتبرين
واذا اهملها واسلس قيادها به في مورد القبح وقادته الى الهلع
والحرص والحسد والمنى والكذب وحصل بسببها في اقبح صورة
وقال اذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف كنت اي اذا فاتك مرادك
من الامر فلا تبل اي حال كنت عليه في ذلك الامر ومفهوم هذه الكلمة
النهي عن الاهتمام والاسف على ما لم يتيسر من الامور المطلوبة وذلك ان
الاسف على فوات المراد يستلزم غمًّا والمًا وهو مضرة عاجلة لا يثمر

فايدة فان تكلفه سفه ٥ وقال لا ترى الجاهل الا مفرطًا او
مفرطًا الجهل بسيط وهو طرف التفريط من فضيلة العلم ويسمى
غباوة واما مركب وهو طرف الافراط منها وذلك ان الجاهل جهله
مركبًا قد بالغ في طلب الحق وحصل من اجتهاده على شبهة غطت
عين بصيرته عن ادراكه مع جزمه بانها برهان اصاب به الحق
ويسمى هذا الطرف جربزة فكان ابدًا على احد الوجهين وبحسب جهله
يكون حاله في افعاله واقواله على احد طرفي الافراط والتفريط ٥
وقال اذا تم العقل نقص الكلام تمام العقل يستلزم كمال
قوته على ضبط القوى البدنية وتصريفها بمقتضى الاراء المحمودة
الصالحة ووزن ما يبرز الى الوجود الخارجي عنها من الاقوال والافعال
بميزان الاعتبار وفي ذلك من الكلفة والشرايط ما يستلزم نقصان
الكلام بخلاف ما لا يوزن ولا يعتبر من الاقوال ٥ وقال الدهر
يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر
به نصب ومن فاته تعب اخلاقه للابدان اعدامه لصحتها وفسادها
بمروره وما يلحق اجزاءه وفصوله من الحر والبرد والمتاعب المنسوبة
اليه وتجديده للامال بحسب الغرور الحاصل بالبقاء والصحة فيه واكثر ما
يعرض ذلك للمشايخ فان طول اعمارهم وتجاربهم لما يعرض فيه من الحاجة
والفقر يغريهم بالحرص على الجمع ومد الامل فيه لتحصيل الدنيا وتقريبه
المنية بحسب اخلاقه للابدان وتبعيده للامنية بحسب تقريبه للمنية
ومن ظفر به اي بعوائقه واغراضه لما يراد فيه من متاع الدنيا نصب بها
وشقي بضبطها وحفظها ومن فاته ذلك منه تعب في تحصيلها وشقي

بعدها وراعى عليه السلم في القرينتين الاولتين السجع المتوازي وفي
المتوسطتين السجع المطرف وفي الاخيرتين السجع المتوازي ه وقال
من نصب نفسه للناس اماما فعليه ان يبدا بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن
تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه ومعلم نفسه ومودبها احق بالاجلال
من مودب الناس ومعلمهم ه اشار الى اداب ائمة العلم ومكارم الاخلاق
فالاول انه يجب على الامام البداة بتعليم نفسه اي رياضتها بما يعلم
من الاداب لتكون افعاله واقواله موافقة لعلمه وذلك لان الناس اميل
الى الاقتدا بما شاهدوه من الافعال والاحوال منهم بالاقوال فقط خصوصا
مع مشاهدتهم لمخالفتها بالافعال فان ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد في
الاقوال المخالفة للفعل والجراة على مخالفة ما اشتهر منها وان كان ظاهر
الصدق والى مثل ذلك اشار القايل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

الثاني ارشده الى البداة في التعليم بالسيرة وجميل الافعال لما بينا
ان الطباع لمشاهدة الافعال اطوع واسرع انفعالا منها للاقوال ثم يطابقها
بعد ذلك بالاقوال ثم رغب في تاديب النفس بكون مودب نفسه احق
بالتعظيم والاجلال من مودب غيره وذلك لكمال مودب نفسه بالفضيلة
وكون تاديب الغير فرعا على تاديب النفس والاصل اشرف واحق بالتعظيم
من الفرع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان احق
بالاجلال والتعظيم وجب عليه ان يبدا بما لاجله كان احق بذلك لينتج ان
ان معلم نفسه ومودبها يجب عليه ان يبدا بما لاجله كان احق بالتعظيم من غيره
وقال نفس المرء خطاه الى اجله استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار

انه على التعاقب والتقضي فهو مقرب من الغاية التي هي الاجل كالخطا
المتعاقبة الموصلة للانسان الى غايته طريقه وقال كل معدود منقض
وكل متوقع آت والكلمتان من المشهورات الخطابية في معرض الموعظة
والاولى اشارة الى انفاس العباد وحركاتهم والثانية تخويف بما يتوقع من
الموت وتوابعه وقال ان الامور اذا اشتبهت اعتبر اخرها باولها
اي اذا التبست في مباديها معرفة وجه تحصيلها وتعسر الدخول فيها
قيس على ذلك اخرها فما استدل على انه كذلك في العسر فيجب التوقف
عنها وعدم التعسف فيها ه ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند
دخوله على معوية ومسالته له عن امير المومنين عليه السلم قال فاشهد
لقد رايته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وهو قايم في محرابه
قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا
اليك عني ابي تعرضت ام الي تشوقت لا حان حينك هيهات غري
غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير
وخطرك يسير واملك حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر
وعظيم المورد ه اقول كان هذا الرجل من اصحابه عليه السلم
فدخل على معوية بعد موته فقال صف لي عليا فقال او تعفيني
عن ذلك فقال والله لتفعلن فتكلم بهذا الفصل فبكى معوية حتى
اخضلت لحيته والضباب بطن من مضر بن مالك بن النضر بن كنانه
والسدول جمع سدل وهو ما اسبل على الهودج والتململ التقلقل من الالم
والهم والسليم الملسوع والوله اشد الحزن وقد نظر عليه السلم الى الدنيا
بصورة امراة تزينت له وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة

اليه فخاطبها بهذا الخطاب واليك من اسماء الافعال اي تنحي وعني متعلق
بما فيه من معنى الفعل واستفهامه عن تعرضها به وتشوقها اليه استفهام
استنكار لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته اياها على ما تريد
ولا جاز حسنك اي لا تقربي مني اي وقت انخداعي لك وغرورك بي
وقوله هيهات اي بعد ما تطلبين مني ثم امرها بغرور غيره
وهو كناية عن انه لا طمع لها في ذلك منه لانه ان لا دنسها غرور غيره وهذا
كمن يقول لمن يخدعه وقد اطلع على ذلك منه اخدع غيري اي ان خداعك لا يدخل
علي ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة مسافراً انها فاخبرها بعدم
حاجته اليها ثم اشار الا انها ثلثاً لتحصل البينونة بها مؤكداً لذلك بقوله
لا رجعة فيها وهو كناية عن غاية كراهتها واكد طلاقها لميله عليه السلم
الى ضرتها التي هي مظنة الحسن والبهائم اشار الى المعايب التي لاجلها كرهها
وطلقها وهي قصر العيش اي مدة الحيوة بها وتيسير الخطر اي قلة قدرها
ومحلها في بطن ثم حقارة ما يوصل منها ثم مادة من امور احدها قلة الزاد
في السفر الى الله تعالى وقد علمت انه التقوى والاعمال الصالحة وهكذا شان
العارفين في استحقار اعمالهم الثاني طول الطريق الى الله ولا تنتهي الاعتبار
اطول فيما لا ينتهي الثالث بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها
الرابع عظم المورد واول منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيمة
الكبرى والله المستعان ونوى وخشونة المضجع وهو القبر

للشامي لما سأله اكان مسيرك الى الشام بقضاء الله وقدر
بعد كلام طويل هذا مختاره ونحكم لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً
حاتماً ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد

ان الله سبحانه امر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً
ولم يكلف عسيراً واعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع
مكرهاً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ولا خلق
السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين
كفروا من النار اقول يروى ان السائل لما قال له عليه السلم
اخبرنا عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله وقدره فقال عليه السلم
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً الا
بقضاء وقدر فقال السائل عند الله احتسب عنائي ما ارى لي من الاجر شيئاً
فقال له مه ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم في مسيركم وانتم سائرون
وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها
مضطرين فقال الشيخ وكيف والقضاء والقدر ساقانا فقال ويحك
الفضل الآن بعد قوله والوعيد قوله والامر والنهي ولم يات لائمة من الله
لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك مقالة عباد الاوثان وجنود الشيطان
وشهود الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة
ومجوسها ان الله تعالى امر تخييراً الى آخره فقال الشيخ فما القضاء
والقدر اللذان ما سرنا الا بهما فقال هو الامر من الله تعالى والحكم ثم تلا
قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول
انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه احسانا
والوجه كله شرح والحكم الواحد وتقرير سؤال السائل ان كان مسيرنا
بقضاء من الله وقدر لم يكن لنا في تعبنا ثواب وذلك لان القضاء قد يراد

بمعنى اللغة الخلق وما خلقه الله تعالى في العبد فلا اختيار له فيه وما
لا اختيار له فيه فلا ثواب له فيما فعله وقوله ويبطل الوعد والوعيد
بيان لمنشأ وهمه وهو ما لعله يظنه من تفسير القضا والقدر بمعنى العلم
الملزم والايجاد الواجب على وفقه وقوله ان الله سبحانه امر
تخييرا اشارة الى تفسير القضا بالامر كما صرح في جواب السايل عن معناه
مستشهدا في تفسيره بالامر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الاية ومعلوم
ان امر الله ونهيه لا ينافي اختيار العبد في فعله وهذا الجواب اقناعي
بحسب فهم السايل حيث فسر القضا بانه عبارة عن ابداعه الاولي
تعالى لجميع صور الموجودات الكلية والجزئية التي لا نهاية لها من
حيث هي معقولة في العالم العقلي ثم لما كان ايجاد ما يتعلق منها بالمادة
في مادته واخراج ما فيها من قبول تلك الصور من القوة الى الفعل لا يمكن
الا على سبيل التعاقب لامتناع قبول المادة للصور الكثيرة دفعة طبعه تعالى بلطيف
حكمته وجود الزمان المديد ليخرج فيه تلك الصور من القوة الى الفعل
واحدا بعد واحد كان القدر عبارة عن ذلك الايجاد لتلك الامور وتفصيلها
واحدا بعد واحد كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم واعلم انه على هذا التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال
المذكور ايضا وذلك لان القضا بالمعنى المذكور لا ينافي اختيار العبد وحسن تكليفه
وثوابه وعقابه لان معنى الاختيار هو علم العبد بان له قوة صالحة للفعل
والترك المتمكن بعينه لها اذا انضم اليها الميل الى الفعل المسمى ارادة فعل
او النفور المسماة كراهة ترك وذلك امر لا ينافي علم الله تعالى الواسع لا تسع
من الطرفين وان حصل عنه وجوبه فهو خارج عرضي ثم ان التكليف لم يرد

على حسب ما في علم الله له مبدان احدهما فاعلي وهو حكمته تعالى اعني
ايجاده الموجودات على احكم وجه واتقنه وسوق ما هو ناقص منها من
مبدا لها الى كمالها سوقا ملايما لها والثاني غائي وهو كون العبد بالصفة
المذكورة من الاختيار ولنذكر من لوازم الاختيار التكليف المقصود
من الحكمة لغايته امورا عشرة احدها امر العباد تخييرا تخييرا
مصدر سد مسد الحال الثاني نهيهم تحذيرا وتحذيرا مفعول له الثالث
تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم
العسير لغرض ان يكونوا على حال الاختيار فلا يخرجون بالعسر الى تكليف ما لا يطاق
كما اشار اليه تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الخامس
اعطاؤه على القليل كثيرا ليرغبوا في العمل وذلك من لوازم اختيارهم ايضا
السادس انه تعالى لم يعص حال كونه مغلوبا عنهم اذ هو القاهر فوق
عباده بل لانه خلى بينهم وبين افعالهم ومشياتهم لها وذلك من لوازم اختيارهم
السابع انه لم يطع مكرها اي لم يكن طاعة مطيعهم له عن اكراه منه تعالى
له عليها وذلك من لوازم اختيارهم الثامن ولم يرسل الانبيا لعبا ليكونوا
مبشرين ومنذرين لمن اطاع بالجنة ولمن عصى بالنار وذلك من لوازم الاختيار
التاسع ولم ينزل الكتب للعباد عبثا بل لغرض فوائده منه وجوه تكليفهم واحكام
افعالهم التي امروا ان يكونوا عليها وبيان حدود الله التي امرهم بالوقوف
عليها عندها وكل ذلك من لوازم اختيارهم العاشر وما خلق السموات
والارض وما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمة منها ان يحصل العباد بما وهب لهم
من الفكر في اياتها اعتبارا فيتنبهوا من ذلك للطيف حكمته ويستدلوا على كمال
عظمته كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب

ونفر عن اعتقاد غيره ذلك بأنه ظن الذين كفروا والآية اقتباس. وقال عليه
السلام: خذ الحكمة أنى كانت فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج
فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن. أمر بتعلم الحكمة أين وجدت ولو من المنافق
ورغب من عساه ينفر من أخذها من بعض المواضع أن يأخذها من كل
موضع وجدها بضمير صغراه قوله فإن الحكمة إلى آخره وكنى بتلجلجها أو
اختلاجها على الروايتين عن اضطرابها وعدم سكونها في صدر المنافق وكونه
ليس مظنة لها فهي غير مستقرة فيه إلى أن تخرج إلى مظنتها وهي صدر
المؤمن فتسكن إلى صواحبها من الحكم فيه. وتقدير كبراه: وكلما كان كذلك
فيجب على المؤمن أخذه إلى مظنته وإخراجه من غير مظنته. وقال عليه السلام
في مثل ذلك: الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق. واستعار
لفظ الضالة للحكمة بالنسبة إلى المؤمن باعتبار أنها مطلوبة التي يبحث عنه
وينشده كما ينشد الضالة صاحبها. وقال: قيمة كل امرئ ما يحسنه. غرض
هذه الكلمة الترغيب في أحسن ما يكتسب من الكمالات النفسانية والصناعات
ونحوها. وقيمة المرء مقداره في اعتبار المعتبرين ومحله في نفوسهم من استحقاق
تعظيم وتبجيل أو احتقار واستنقاص. وظاهر أن ذلك تابع لما يحسنه المرء
ويكتسبه من الكمالات المذكورة فأعلاهم قيمة وأرفعهم منزلة في نفوس الناس
أعظمهم كمالا وأنقصهم درجة أخسهم فيما هو عليه من حرفة أو صناعة ونحو ذلك
حسب اعتبار عقول الناس للكمالات ولوازمها. وقال: أوصيكم بخمس لو ضربتم
إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلا: لا يرجون أحد منكم إلا ربه ولا يخافن إلا
ذنبه ولا يستحيي أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحيين أحد
إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد

لا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه. كنى بضرب
آباط الإبل عن الرحلة في طلبها وذلك أن الراكب المجد يضرب إباطيه بكعبيه
فأحد الخمس أن يرجو الله دون غيره ومن لوازم ذلك إخلاص العمل له ودوام
طاعته. الثانية أن يخاف ذنبه دون غيره وذلك أن أعظم مخوف
هو عقاب الله ولما كان إنما يلحق العبد بواسطة ذنبه فالأولى أن يجعل
الخوف من الذنب دون غيره وهو جذب إلى الهرب عنه بذكر الخوف
منه. الثالثة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من قول لا أعلم لأن
الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم
إضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الآخرة. قال صلى الله عليه وآله وسلم
من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض وقد يكون سببا للهلاك الدنيوي
أيضا. الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من تعلمه لما في استحياء الجاهل
عن التعلم من بقائه على جهله ونقصانه وهلاك الآخرة. الخامسة فضيلة
الصبر وأمر باقتنائها لأن كل الفضائل لا تخلو عنها وأقل ذلك الصبر
على اكتسابها ثم على البقاء عليها وعن الخروج عنها ولذلك شبهها من الإيمان
بالرأس من الجسد. فوجه الشبه أن الصبر لما كان موجودا في كل الفضائل
التي مجموعها هو الإيمان فلا يقوم إلا به أشبه الرأس من الجسد في عدم
قيامه بدونه. ثم أكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير في جسد
إلى آخره. وقوله فإن الصبر صغرى ضمير رغب فيه وتقدير كبراه
وكلما كان كذلك فواجب اقتناؤه وأخذه. وقال لرجل أفرط في الثناء
عليه وكان له متهما: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. جواب لما في نفسه
مما يتهمه به من عدم اعتقاد فضيلته. وقال: بقية السيف أبقى

عدداً او اكثر ولولا لا ادري ذلك لما للعناية الالهية ببقاء النوع وحفظه وايامه
وبالخلاف من قبل من يقع والله اعلم وقال عليه السلام من ترك قول لا ادري
اصيبت مقاتله ترك هذا القول كناية عن القول بغير علم واصابة
المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والاضلال
وربما كان بسببه هلاك الدنيا والآخرة ۞ وقال عليه السلام راي الشيخ احب
الي من جلد الغلام وروي من مشهد الغلام جلده وقوته وقدم الراي
مقدم على القوة والشجاعة لاصالة منفعته وانما خص الراي بالشيخ
والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنته ملاحظة به فان الشيخ مظنة
الراي الصحيح لكثرة تجارب الشيخ وممارسته للامور والغلام مظنة
القوة والجلد وعلى الرواية الاخرى فمشهده حضوره والمعنى ظاهر ۞ وقال عليه السلام
عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار القنوط الياس من الرحمة ولما كان
الاستغفار باخلاص مبدا للرحمة بشهادة القرآن الكريم كما سياتي كان
القنوط معه محل التعجب ۞ وحكى عنه ابو جعفر محمد بن علي الباقر عليهم السلام
انه صلى الله عليه وآله قال كان في الارض امانان من عذاب الله تعالى فرفع
احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به اما الامان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله
واما الامان الباقي فالاستغفار قال الله عز ذكره وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ۞ قال السيد وهذا من
محاسن الاستخراج ولطايف الاستنباط كون وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بين الامة ورجوعه الى الله في رحمة امته كون الاستغفار باخلاص معدين
لنزول رحمة الله ودفع عذابه مما يشهد به البحث العقلي وقد انطق بذلك صادق
الشاهد السمعي كما استخرجه عليه السلام ۞ وقال عليه السلام كلمات

احدها من اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس الثانية
ومن اصلح امر آخرته اصلح الله امر دنياه الثالثة ومن كان له من نفسه
واعظ كان عليه من الله حافظ فاصلاح ما بينه وبين الله بتقواه الملتزم
لرضاه ولما كان من تقواه اصلاح قوتي الشهوة والغضب اللذين هما مبدا
الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما كان من لوازم ذلك الاصلاح اصلاح ما
بينه وبين الناس وكذلك من لوازم اصلاح امر الآخرة عدم مجاذبة الناس
دنياهم والكف عن الشره فيما بايديهم منها وذلك مع ما يلزمهم ومعاملتهم
بمكارم الاخلاق التي هي من اصلاح امر الآخرة مستلزم لانفعالهم وميلهم
الى من كان كذلك واقبالهم عليه بالنفع والمعونة وكف الاذى وبحسب
ذلك يكون صلاح امر دنياه ولان الدنيا المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهله
وهي مقدار حاجته على الاقتصاد وذلك امر قد تكفلت العناية الالهية
بتهيئته واصلاحه مدة الحياة الدنيا واما الثالثة فلان واعظ النفس
باعث على تقوى الله ولزوم العدل في قوتي الشهوة والغضب اللذين هما
مبدا الشر المستلزم للهلاك في الدارين وذلك مستلزم لحفظ الله فيهما
وقال الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم
من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله كنى بقوله كل الفقيه عن تمامه اي الفقيه
الكامل في فقهه وذلك ان من فقه وضع الكتاب العزيز علم ان غرضه الاول
جذب الناس الى الله في سبل مخصوصة بوجوه من الترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والبشارة والنذارة وغيرها فمن ضرورته اذن ان لا
يقنط الناس من رحمة الله بآيات وعيده ونذارته ولا يؤيسهم بذلك من روحه
لما يلزم ذلك الياس من اغراء العصاة بالمعصية واتباع الهوى الجاهل الذي لا يرجى

من بغى النفس عنه ثمره في الآخرة ولذلك قال تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو
الغفور الرحيم ۝ وقال إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون
وأن لا يؤمنهم من مكر الله بالجزم بإتيان وعيده وبشارته لما يلزم السكون إلى
ذلك والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي واتباع الهوى ولذلك قال تعالى أفأمنوا
مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون بل يكون تابعا في عظمه
وجذبه إلى الله مقاصد سنته ووضع شريعته وقال أوضع العلم
ما وقف على اللسان وأرفعه ما ظهر على الجوارح والأركان كنى بالأول
عن العلم الذي لا عمل معه وظهوره وقف على اللسان فقط وهو أخس درجات
العلم وأراد بالثاني العلم المقرون بالعمل فإن الأعمال الصالحة لما كانت من ثمرات
العلم بالله وما هو أهله كان العلم بها ظاهرا على جوارح العبد وأركانه ظهور
العلة في معلولها وذلك هو العلم المنتفع به في الآخرة   إن هذه القلوب
تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة   النفوس قد يعرض لها انصراف
عن العلم الواحد وملال النظر فيه بسبب تشابه بعض أجزائه لبعض فإذا
اطلعت النفس على بعضه واستعلم بعلم منه على ما علمت ولم يكن الباقي
عندها من الغرب ما يلذ به ويقع على النظر فيه فلما كان ذلك الملال والانصراف
غير محمود لها أمر بطلب طرائف الحكمة لها وأراد بطرائفها وغرائبها المعجبة
للنفس اللذيذة لها ليكون ذلك في اكتساب الحكمة بنشاط والتذاذ في انتقالها
من بعض غرائبها إلى بعض وأراد بالحكمة الحكمة العلمية وأقسامها أو أعم منها
وقال لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد إلا وهو
مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فإن الله سبحانه

يقول إنما أموالكم وأولادكم فتنة ومعنى ذلك أنه سبحانه يختبرهم
بالأموال والأولاد ليبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وإن كان سبحانه
أعلم بهم من أنفسهم ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لأن
بعضهم يحب الذكور ويكره الإناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام
الحال قال السيد رحمه الله وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلام
من التفسير حاصل الكلام أن الفتنة أعم من الفتنة المستعاذ منها لصدقها
على المال والنفس باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختياره لهم بهما وهما غير مستعاذ
منهما إذا راعى فيهما أمر الله ولزم طاعته وإنما الفتنة المستعاذ
منها فهي التي يستلزم الوقوع فيها الضلال عن سبيل الله كالخروج في المال
عن واجب العدل وصرفه في إمداد الشهوات واتباع الهوى وسئل
عليه السلام عن الخير ما هو فقال ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير
أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك فإن أحسنت
حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا إلا لرجلين رجل
أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع
التقوى وكيف يقل ما يتقبل أقول الخير في العرف العامي هو كثرة
المال والقينات الدنيوية وفي عرف السالكين إلى الله هو السعادة الأخروية
وما يكون وسيلة إليها من الكمالات النفسانية وربما فسره قوم بما هو أعم من
ذلك فقد نفى عليه السلام أن يكون الأول خيرا وذلك لفنائه ومفارقته ولما عساه أن
يلحق بسببه من الشرور في الآخرة وفسر بالثاني وعرفه بكمال القوى الإنسانية
فكثرة العلم كمال القوة النظرية للنفس العاقلة وعظم الحلم كمال القوة العملية
وهو فضيلة القوة الغضبية ومباهاة الناس بعبادة الله أي المفاخرة بها

في الكثرة والاخلاص وحمد الله على توفيقه للحسنة وباستغفاره
للسيئة وذلك من فضائل القوة الشهوية وكمال القوة العملية ثم حصر خير
الدنيا في امرين وذلك لان الانسان اما ان يشتغل بمحو السيئات واعدامها
ويتدارك فارط ذنوبه ويبعد نفسه بذلك لاكتساب الحسنات فيها ولا
واسطة من الخير المكتسب بين هذين الامرين ثم حكم بعدم قلة العمل المقرون
بتقوى الله منبها بذلك على ان تدارك الذنوب بمحوها والمسارعة في الخيرات
مستلزم للتقوى وانما كان غير قليل لانه مقبول عند الله والمقبول عنده
مستلزم لثوابه العظيم وذلك ترغيب في الامرين المذكورين وقال ان
اولى الناس بالانبيا اعلمهم بما جاوا به ثم تلا عليه السلم قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين ثم قال عليه السلم
ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله
وان قربت قرابته ولما كان الغرض من الانبيا عليهم السلم جذب الخلق الى
الله بطاعتهم وكل من كان المغ في الطاعة كان اشد موافقة لهم واقرب
الى قلوبهم نسبة اليهم واقوى ولما لم تكن طاعتهم الا بالعلم بما جاوا به كان اعلم
الناس بذلك اقربهم اليهم واولاهم بهم وبرهان ذلك الاية المذكورة وذكر حال
الانبيا ليعلم سراية الاجمالي ثم خصص الذكر بمحمد عليه السلم كما هو عادة الخطيب
والمراد بالولي هنا الاولى واشار الى ان طاعة الله علة للاولوية بمحمد
صلى الله عليه ومعصيته علة لعدم الاولوية وان بعدت قرابة المطيع او قربت
قرابة العاصي ليعلم ان الطاعة والمعصية علتان مستقلتان للاولوية بمحمد
والعداوة له فتحصل الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية ه وقال
عليه السلم وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرا فقال نوم على يقين خير من

صلوة في شك والحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى حروراء بلد
بعض قرنه بالنهروان كان اول اجتماعهم بها وان التهجد السهر في العبادة
وانما كان كذلك لان نوم العالم على يقين منه بما ينبغي تيقنه وعلمه ايضا
مما ينبغي له وعبادة الجاهل على شك منه فيما ينبغي تيقنه من اصول العبادة
مما لا ينبغي لما فيه من اتعاب البدن من غير فايدة وكان الاول اولى وخيرا
من الثاني واراد ما هو عليه من الشك في امامة امامه الوقت الذي هو مبدا تعلم
العبادات وكيفيتها والعلم به ركن من اركان الدين فان الشك فيه يستلزم
عدم الاستفادة منه والشك في كثير مما يحتاج اليه كعلم التوحيد
واسرار العبادات وكيفية السلوك الى الله تعالى بطاعته وقال
اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم
كثير ورعاته قليل عقل الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل
الرواية ضبط الفاظها سماعها دون تفهم المعنى ورغب في ذلك بتكثير
صغراه قوله فان رواة العلم الى اخره وتقدير كبراه وكل ما كان
كذلك فينبغي ان يعقل عقل رعاية لتكثر رعاته ه وسمع رجلا يقول
انا لله وانا اليه راجعون فقال ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا
بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك والكلمة
ظاهرة تفسيرها ظاهرة ه ومدحه قوم في وجهه فقال عليه السلم
اللهم انك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلنا خيرا مما
يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه عليه السلم في مقابلة
المدح الموجب للعجب ثم سال الله ان يعلي درجته في الخير فوق ما يظنونه
فيه وان يغفر له ما لا يعلمون من عيبه فان قلت انه معصوم فكيف

يبعد عنه عيب تطلب مغفرته قلت قد بينا فيما سلف ان عيب
مثله عليه السلم وما يسمى ذنبا في حقه انما هو من باب ترك الاولى وليس
هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها وقال لا تستقيم قضا الحوائج
الا بثلث باستصغارها لتعظم واستكتامها لتظهر وتعجيلها لتهنا
اشترط في استقامة قضا الحوائج اي كون قضائها على ما ينبغي من
العدل ثلث شرائط احدها استصغار قاضي الحاجة ليعرف بالسماحة
وكسر النفس فتعظم عطاؤه وتشتهر الثانية ان يكتمها لتظهر فان طبع
الناس ادعى الى اظهار ما استكتم واكثر عناية به من غيره الثالث
ان يعجلها لتهنا اي لتكون هنية يقال هنى الطعام يهنا وذلك ان
الابطا بقضا الحاجة يبغضها على طالبها فتكون لذتها مشوبة بتكدير
تطوئها ٥ وقال عليه السلم ياتي على الناس زمان لا يقرب فيه
الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف الا المنصف
يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على
الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان
وتدبير الخصيان وقال الماحل الساعي بالنميمة الى السلطان واصل المحل
الكيد والمكر وروى الماجن وهو المتكلم بما لا يشتهي من الباطل والهزل
والاستهزاء والغرض الذين يريدان ذلك الزمان لسو اهله وبعدهم عن الدين
وقوانين الشريعة تحل فيه الرذائل مكان الفضائل وتستعمل ما لا ينبغي
مكان ما ينبغي فتقرب الملوك السعاة اليهم بالباطل مكان اصحاب الفضائل ومن ينبغي
تقريبه وتعد الفاجر وهو صاحب رذيلة الافراط في قوة الشهوة صاحب
رذيلة الظرف وهو استعمال الاشيا الحسنة اللطيفة في مواضعها وبعد

المنصف العادل في حركاته ضعيفا عاجزا ويحتمل ان يريد بقوله يضعف
اي يستضعف عقله لتركه الظلم كانه تارك حق ينبغي له اخذه وتعد فيه
الصدقة التي ينبغي اداؤها برغبة طلبا للثواب غرما كاداء الدين في الثقل
وكذلك تعد صلة الرحم منا وفيه ابطال لفضيلة المذكورة لقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وتستطال بالعبادة على
الناس ويترفع بها اربابها كالمان عليهم بذلك ثم جعل من علامات ذلك
الزمان كون السلطان والملك بيد او بمشورة الاماء وامارة الصبيان
وتدبير الخصيان وهي علامات زماننا وقبله بمدة ٥ وراى عليه السلم
رجلا عليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له القلب
وتذل به النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في لبس ذلك الخلق
ثلث مقاصد خشوع القلب خضوع النفس العاقلة وانكسارها عن
الفخر وذلة النفس انكسار النفس الامارة بالسوء عنه واقتدا المؤمنين
بذلك لكمال القصد الاولين وقال عليه السلم ان الدنيا والاخرة عدوان
متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها ابغض الاخرة وعاداها
وهما بمنزلة المشرق والمغرب وما بينهما كلما قرب من واحد بعد من الاخر
وهما بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من البعد
لطالبهما وظاهر كونهما سبيلين مختلفين ومن لوازم ما بينهما من العداوة
والاختلاف كون المحب لاحدهما مبغضا للاخرى ثم شبههما بالمشرق
والمغرب ووجه الشبه تباينهما واختلاف جهتيهما وشبه الطالب لهما
بالماشي بينهما ووجه الشبه قوله كلما قرب الى الغرب فان الطالب للدنيا بعد توجهه
في طلبها تكون غفلته عن الاخرة وانقطاعه عنها وكلما امعن في تحصيلها

ازداد غفلة وبعدا عن الآخرة وبالعكس كالماشي الى احد جهتي المشرق
والمغرب ثم شبههما بعد ذلك بالضرتين ووجه الشبه ايضا ان القرب
من احديهما مستلزم البعد عن الاخرى كالزوج ذي الضرتين ٥ وعن نوف
البكالي قال رأيت امير المؤمنين عليه السلم ذات ليلة وقد خرج من فراشه
فنظر الى النجوم فقال يا نوف اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير
المؤمنين قال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم
اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقران شعارا
والدعا دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود عليه
السلم قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها
عبد الا استجيب له الا ان يكون عشارا او شرطيا او صاحب عرطبة
وهو الطنبور او صاحب كوبة وهو الطبل وقد قيل ان العرطبة والكوبة
الطنبور اقول البكالي بكسر البا منسوب الى بكال وهو من
اليمن والرامق الناظر والعريف نقيب الشرطة وكان خروجه عليه السلم
في ذلك الوقت لما نقله عن داود عليه السلم ولانه محل الفراغ للاعتبار والفكر
في خلق السموات وزينتها ثم عرف الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف
لغرض الاقتدا بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثاني ترابها فراشا
الثالث ماؤها طيبا وذلك من لوازم رغبتهم عن متاعها وتركها عن
طيب نفس بها الرابع اتخاذهم القران شعارا الخامس والدعا دثارا
واستعار لفظ الشعار للقران باعتبار ملازمتهم لدرسه وتفهم مقاصده
كالشعار الملازم للجسد ولفظ الدثار للدعاء باعتبار احتراسهم به من عذاب
الله والشدايد النازلة بهم كالاحتراس بالدثار عن البرد ونحوه السادس

قرضهم للدنيا اي قطعها عنهم بيسير ما يدفع ضرورتهم منها كما فعله
المسيح عليه السلم من هذه الاوصاف وكان قيامه عليه السلم في النصف
الاخير من الليل وانما كان مظنة الاجابة لخلو النفس فيه عن الاشتغال
بشواغل النهار المحسوسة ووقوفها بعد النوم على الالتفات الى
حضرة الملا الاعلى واستعدادها لقبول السوانح الالهية وانما استثنى
المذكورين لملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله
وقال عليه السلم ان الله افترض عليكم فرايض فلا تضيعوها وحد لكم
حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشيا فلا تنتهكوها وسكت لكم عن
اشيا ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها فرايض الله واجبات دينه
وحدوده نهايات ما اباحه من نعمته ورخص فيه والاشيا المنهي عنها
ما جا وزجر عنه من المحرمات في الرذايل وما سكت عنه فهو كتكلف
دقايق علم لا نفع له في الآخرة فانه لم يسكت نسيانا لتقدسه عن ذلك
بل لعدم فايدته الاخروية واستلزام الاشتغال به ترك الاشتغال
بعلم نافع فيلزمه المضرة ٥ وقال عليه السلم لا يترك الناس
شيئا من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضر منه
لما كانت مطالب الناس في الدنيا اذا فتح باب الطلب لها غير متناهية
لكون كل مطلوب يحصل يعقبه الطلب للزيادة فيه والاستكثار منه وتحصيل
شرايطه ولوازمه وكان بعد الانسان عن الله بقدر قربه من الدنيا وبعد
امله فيها كان كل امر استصلحه في الدنيا لا ينهاه دنيا بعد انفتاح باب
من ابواب طلبها واصلاحها وهو اضر من الاول لكونه اشد ابعادا وفيها
واشد ابعادا عن الله تعالى ٥ وقال عليه السلم رب عالم قتله جهله وعلمه

معه لا ينفعه اراد العلما بما لا نفع فيه من العلوم كعلم السحر والنيرجات
بل العلم النحو وغيره من العلوم العقلية مثلا كمن جهل شرايع الاسلام
فافتى بغير علم او تعدى حدا او ارتكب منهيا وكان ذلك سبب هلاكه
في الدنيا او في الاخره او كعلم ما لا نفع فيه في الاخره استلزم ترك علم مهم
فيها وكان سبب هلاكه هناك مع عدم انتفاعه وخلاصه بما علم وقال عليه السلم
لقد علق بنياط هذا الانسان بضعه من اعجب ما فيه وهو القلب وله
مواد من الحكمه واضداد من خلافها فان سنح له الرجا اذله الطمع
وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف
وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعده الرضا نسي التحفظ
وان غاله الخوف شغله الحزن وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان
اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته
الفاقة شغله البلاء وان جهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به
الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد
اقول انياط عرق علق به القلب غاله اخذه على غره والمراد
بالمواد من الحكمه الفضايل الخلقيه فانها باسرها من الحكمه وهي العلم بما ينبغي
ان يفعل وهو الاصلح في كل باب بحسب مواد كمال القلب واشار باضدادها
المخالفه لها الى الرذايل المضاده للفضايل والتي هي اطراف التفريط والافراط
منها فالاولى الطمع وهي رذيلة الافراط من الرجا ونفر عنها بما يلزمها من
الذله للمطموع فيه وما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين
الثانيه اليأس وهو رذيلة التفريط من الرجا ونفر عنها بما يليها من شدة الاسف
القاتل الثالثه رذيلة الافراط من الغضب وهي اشتداد الغيظ المسمى

طيشا والوسط من الغضب فضيلة الشجاعة وكظم الغيظ الرابعه
ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيلة الافراط من رضا الانسان بما عمل
عليه من دنياه الخامسه رذيلة الافراط من عروض الخوف
وهي الاشتغال بالحزن عما ينبغي عند عروضه والذي ينبغي فيه الاخذ
بالحزم وترك الافراط في الخوف والعمل للامر المخوف السادسه
رذيلة التفريط في عروضه وهو الامن وهي استلاب الغره لعقل
الامن حتى لا ينظر في مصلحته وحفظ ما هو عليه من الامر السابعه
رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على المصيبه وهي الجزع ونفر عنه
بما يلزمه من الافتضاح به الثامنه رذيلة الافراط من حصول
المال وهو الطغو بكثرته والغنى منه والطغوى تجاوز الحد ه
التاسعه رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على عض الفقر وهي
الاشتغال بالبلاء والمحنه وضيق الصدر العاشره رذيلة التفريط
من الصبر على الجوع وذكر لازمها وهو قعود الضعف به عما ينبغي
ونفرته عنها الحادية عشر رذيلة افراط الشبع من فضيلة القصد
فيه وما يلزم تلك الرذيلة من كظ البطنه ونفر عنها بما يلازمها ثم ختم
ذلك بالتنبيه على طرفي الافراط والتفريط فيها اجمالا بما يلزم التفريط
من مضرة القلب بعدم الفضيله ويلزم الافراط فيها من افساده بخروجه
عنها وبالله العصمه ه وقال عليه السلم نحن النمرقة الوسطى
بها يلحق التالي واليها يرجع الغالي النمرقه الوسادة الصغيره واستعار
لفظها له ولاهل بيته بصفة الوسطى باعتبار كونهم ائمة الحق ومستند الخلق
في تدبير معاشهم ومعادهم على وجه العدل المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط

ومن حق الامام الحق المتوسط في الامور ان يلحق به التالي اي المفرط المقصر
وان يرجع اليه الغالي اي المفرط المجاوز لحد العدل وقال عليه السلم
لا يقيم امر الله الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعة
المصالحة برشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذلة كان
كل منهما يضرع للاخر وظاهر ان مصانعة الغير تستلزم طلب رضاه
وذلك يمنع من اقامة حدود الله وامره في حقه وكذلك المضارعة واتباع
المطامع من الغير فانهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشق عليه من اوامر
الله وحدوده ٥ وقال عليه السلم وقد توفي سهل بن حنيف
الانصاري بالكوفة عند مرجعه معه من صفين وكان من احب الناس
اليه لو احبني جبل لتهافت قال السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ
عليه فتسرع المصائب اليه ولا يفعل ذلك الا بالاتقياء الابرار والمصطفين
الاخيار وهذا مثل قوله عليه السلم من احبنا اهل البيت فليستعد
للفقر جلبابا وقد تاول ذلك على معنى اخر ليس هذا موضع ذكره ٥
واقول تهافت سقط قطعة قطعة وذلك مبالغة في
كثرة ما يلحقه ومحنته من المصائب والابتلا وقوله من احبنا
فليستعد للفقر جلبابا اي يهيئ له ذلك الجلباب مستعار لتوطين
النفس على الفقر والصبر عليه ووجه الاستعارة كونهما ساترين للمستعد
بهما من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضيق الصدر والجزع
الذي ربما يؤدي الى الكفر كما يستر بالملحفة ولما كانت محبتهم عليهم السلم
بصدق تستلزم متابعتهم والاقتداء بهم والاستشعار بشعارهم ومن
الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك وجب ان يكون كل محب لهم

مستشعرا للفقر ومستعدا له جلبابا من توطين النفس على والصبر
له وذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة اخرى فقال من احبنا فليقتصر
على التقلل من الدنيا والتقنع فيها قال وشبه الصبر على الفقر
بالجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن قال ويشهد بصحة
هذا التاويل ما روي انه عليه السلم راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء
فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال ما لي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وما
سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش
العيون من البكا وقال ابو عبيد انه لم يرد الفقر في الدنيا لان
في شيعته مثل ما في سائر الناس من الغنى وانما اراد الفقر يوم القيمة واخرج
الكلام مخرج الوعظ والنصيحة والحث على الطاعات فكانه قال
من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب عند الله
تعالى والزلفة عنده قال السيد المرتضى رحمه الله والوجهان
حسنان وان كان قول ابن قتيبة احسن وذلك معنى قول السيد الرضي رحمه الله
وقد تاول ذلك على معنى اخر وذكر القطب الراوندي احتمالا ركيكا
لا يصلح محملا لهذا الكلام فلم نطول بذكره وقال عليه السلم سبع عشرة كلمة
احديها لا مال اعود من العقل اي اشد نفعا لصاحبه واستعار
لفظ المال للعقل باعتبار انه يغني النفس وهو راس مالها الذي به تكتسب
الارباح الباقية والكمالات المسعدة كالمال الذي به الكمال الظاهر ولما كان
بين المالين من التفاوت في الشرف ما علمت لاجرم لم يكن مال انفع ٥
الثانية ولا وحدة اوحش من العجب وجعل الوحدة من جنس العجب
باعتبار ما يستلزمه من الوحشة الموحشة وقد سبق بيان العجب الثالثة

ولا عقل كالتدبير اراد بالعقل تصرف العقل العملي فاطلق عليه اسمه مجازا
اطلاقا لاسم السبب على المسبب وظاهر ان من جملة تصرفاته التدبير
واستخراج الاراء المصلحة في الامور ولما كان المقصود منه التدبير لا جرم
لم يكن له تصرف يشبهه فلا عقل مثله الرابعة ولا كرم كالتقوى
والمفهوم من الكرم بذل ما ينبغي بذله ولما كان تقوى الله عبارة عن خشيته
وكان من لوازمها الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها كان ذلك في الحقيقة
بذلا لجميعها واذا كان بذل بعض قنياتها يسمى كرما فبذلها باسرها ممن
ينبغي له ذلك اولى ان يكون كرما لا يشبهه كرم كما قال عليه السلام فيما سبق
في وصفها وانها محاجه فوهبت جملتها لها الخامسة ولا
قرين كحسن الخلق قد عرفت الاخلاق الحسنة وظاهر انه ليس مما يعد
قرينا اشرف منها لان غاية سائر القرناء ان يستفاد من صحبتهم بحسبهم
حسن الخلق فيكون الخلق الحسن بنفسه الذي هو الغاية منهما اشرف من
ذي الغاية الذي عساه لا يحصل منه ولا اذن يشبهه السادسة ولا
ميراث كالادب وقد مر بيانه عن قريب السابعة ولا قائد كالتوفيق
اي الى المطالب لما كان التوفيق عبارة عن توافق الاسباب للشيء ورابطه
حتى يكون مجموعها مستلزمة لحصوله لا جرم لم يكن للمرء قائد الى مطالبه
كالتوفيق في سرعة وصوله اليه الثامنة ولا تجارة كالعمل الصالح استعار
لفظ التجارة له باعتبار كونه مستلزما للخير كالتجارة المستلزمة للربح ولما
كان شرف التجارة بشرف ثمرتها وربحها وكلما كان الربح اشرف كانت التجارة
اشرف ولما كان ربح هذه التجارة الثواب الدائم الاخروي الذي لا ربح
اعظم منه لم يكن لتجارة العمل الصالح ما يشبهها من التجارات التاسعة

ولا ربح كالثواب وهو ظاهر العاشرة ولا ورع كالوقوف عند
الشبهة قد يفسر الورع بانه الوقوف عن المناهي والمحرمات فلما كان
الوقوف عما اشتبه من الامور بحله وحرمته ابلغ اصناف الورع
واكثرها تحرزا به لم يكن منها ما يشبهه الحادية عشر ولا زهد
كالزهد في الحرام لما كان الزهد في الحرام هو المامور به والواجب دون غيره
من اصناف الزهد كان افضل لفضيلة الواجب على المندوب الثانية عشر
ولا علم كالتفكر اي كالعلم الحاصل عن التفكر وذلك بالقياس الى ما يدعى علما
من حفظ المنقولات كالاحاديث والسير ونحوها والى العلم الجزئية
الحاصلة من الحواس لان العلم الفكري كلي وهو اشرف في حكم الشارع
والحكمة الكبرى وارادة التفكر فيما ينبغي من خلق السموات والارض وما خلق
الله من شيء وتحصيل العبرة منه واطلق اسم التفكر على العلم الحاصل منه
اطلاقا لاسم السبب على المسبب ويحتمل ان يريد العلم بكيفية التفكر والقوانين
التي تعصم مراعاتها الفكر من الضلال الثالثة عشر ولا عبادة كاداء الفرايض
لكونها واجبة والواجب اشرف من غيره الرابعة عشر ولا ايمان كالحياء
والصبر اي لا ايمان كايمان كمل بالحياء والصبر وذلك لشرف هاتين الفضيلتين
كما سبق فاطلقهما على الايمان مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه
الخامسة عشر ولا حسب كالتواضع لما كان الحسب ما يعد من
المآثر والفضايل كان التواضع اشرف ما يعد بالقياس الى كثير منها لما يستلزم
من الجواذب كما سبق بيانه السادسة عشر ولا شرف كالعلم اي كشرف
العلم فاطلق اسم الملزوم على لازمه مجازا وظاهر ان العلم اشرف الكمالات
ولا شرف كشرفه السابعة عشر ولا مظاهرة اوثق من مشاورة اي اقوى

وقد مر بيانه في قوله لا ظهير كالمشورة واعلم ان الحكم في كثير من هذه
الكلمات الذي يعرضه الترغيب في العقل والتدبير والتقوى وحسن الخلق
والادب والتوثق بالرغبة الى الله فيه والعمل الصالح والثواب والوقوف
عند الشبهة والزهد في الحرام والمحافظة على الفرايض واقتنا الحيا والصبر
والتواضع والعلم والمشورة في الامور وقال عليه السلم اذا استولى
الصلاح على الزمان واهله ثم اسا رجل الظن برجل لم تظهر منه حوبة فقد
ظلم واذا استولى الفساد على الزمان واهله ثم احسن رجل الظن برجل
فقد غرر قد مر ان الزمان من جملة الاسباب المعدة لتوافق اسباب
صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم فيسمى زمان الصلاح والخير وكذلك هو
من جملة الاسباب المعدة لعدم ذلك فيقال فسد الزمان وزمان فاسد
فالاول هو الزمان الذي استولى الصلاح عليه وعلى اهله وبحسب
ذلك يكون مظنة فعل الخير وان حسن الظن باهله فمن اسا حينئذ في احد
منهم لم يظهر منه ما يجري به عند الناس من فعل رذيلة فقد وضع
اساة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل فظلم وذي حوبه اي
اثم والثاني هو الزمان الذي استولى الفساد عليه وعلى اهله وبحسب ذلك
يكون مظنة فعل الشر وسو الظن باهله فمن احسن الظن في احدهم حينئذ
فقد غرر اي اوقع نفسه في الغرة والغفلة عن حاله وقيل له عليه السلم
يا امير المومنين كيف تجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقايه ويسقم
بصحته ويوتى من مامنه اطلاعه بصورة حاله على طريق الموعظة والتشكي
ولما كان البقا عبارة عن استمرار زمان الوجود وكان استمرار الزمان وتعاقب
اجزايه مقترنا بالاخلال كان البقا به سببيته في فنايه وكذلك لما كان من

غايات صحته السقم كان لصحته سببية في سقمه واما كونه يوتى
من مامنه فيشبه ان يكون المامن هنا مصدرا وان المراد ان الداخل على المرء
ونزول ما يكره به من الموت واهوال الاخرة هو امنه في الدنيا وسكونه اليها
وغفلته عما وراها مما لا بد منه ويحتمل ان يكون المامن محل الامن وهو الدنيا
ومعنى كونه يوتى من مامنه ان ما يدخل عليه من الادوا التي فيها هلاكه
والمصايب التي تلحقه هو اصول الدنيا التي هي مامنه وعوارضها التي تعرض
له من مامنه حال انسه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه وقال عليه السلم
كم من مستدرج بالاحسان اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون
بحسن القول فيه وما ابتلى الله احدا بمثل الاملا له المستدرج الماخوذ
على غرة والاملا الامهال وتاخير المدة وقد ذكر عليه السلم من الامور
التي ابتلى الله بها عباده اربعة الاحسان الى العبد بضروب النعم الثاني
ستر المعصية عليه الثالث حسن القول فيه وثنا الخلق عليه الرابع تاخير
مدته وامهاله ولما كانت غاية الابتلا بهذه الامور التي كلها نعم في الحقيقة
اما شكرها او كفرها كما قال تعالى ليبلوني ءاشكر ام اكفر الاية وكان الشكر
هو الغاية الخيرية المطلوبة بالذات نبه المبتلى بالنعمة الاولى على وجوب
شكرها بانه كثيرا ما استدرج بها فينبغي ان لا يغفل عنها ونبه المبتلى بالثانية
على انها كثيرا ما يكون سببا لغرته بالله والامن من مكره فيقع في المعاصي
ونبه الثالث بكون تغييره قد يكون سببا لفتنته وصرفه عن شكر الله وارتكابه
لرذيلة العجب بنفسه ونبه الرابع بكون نعمه اعظم ما يبتلى به من النعم وقال
عليه السلم هلك في رجلان محب غال ومبغض قال لما كانت محبته وليا لله تعالى
فضيلة نفسانية كان طرفا الافراط والتقصير فيها الى غاية مقابلتها البغض

وطرف الافراط فيهما الى غاية الغلو وتجاوز ما ينبغي منهما رذيلتين يستلزمان
هلاك صاحبهما في الآخرة اما رذيلة التفريط فلان بغض اولياء الله مستلزم
لعداوتهم ومن عادى وليا من اولياء الله فقد عادى الله وكان من الهالكين واما
رذيلة الغلو والافراط فلان الغلاة اخرجوه عن حد البشرية الى سماء الالهية
وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك وقال عليه السلم اضاعة
الفرصة غصة اي ان تضييع الامر وقت امكانه من نفسه يستلزم الاسف
والحزن على فوته وهو تنفير عن تضييع الفرصة بما يلزمه وقال عليه السلم
مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها يهوي اليها الغر الجاهل
ويحذرها ذو اللب العاقل مثل الدنيا بالحية ووجه التمثيل قوله لين
مسها الى آخره وذلك لان الدنيا لذيذة المتناول سهله في عين الناظر
البهائم مع ان فيما يشتهيه منها ويتناوله الشقاوة الاخروية والعذاب
الاليم فهوى اليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة ويحذرها العاقل
العارف بها كما ان الحية لين مسها حسن منظرها يحسبها الجاهل سوارا
من ذهب او فضة يهوي اليها الغرة بما فيها من سم ويحذرها من
يعرفها وسئل عن قريش فقال عليه السلم اما بنو مخزوم فريحانة قريش
تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم واما بنو عبد شمس فابعدها
رايا وامنعها لما وراء ظهورها واما نحن فابذل لما في ايدينا واسمح
عند الموت بنفوسنا وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح
بنو مخزوم بطن من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي
ابن غالب ومنهم ابو جهل هشام بن المغيرة وكان المخزوم ريح طيبة
كالخزامي ولونا كلونه والولد يشبه الوالد غالبا ولذلك كانت هذه البطن

تسمى ريحانة قريش وكان المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يسمى بذلك
وقيل لانه كان في رجالهم كيس لذلك تحب الحديث اليهم وفي نسائهم لطف
وتصنع وتحبب الى الرجال فلذلك تحب نكاحهم واما بنو عبد شمس
ابن عبد مناف فمنهم ربيعة وابناه شيبة وعتبة والاعياص وحرب بن
امية وابنه ابو سفيان واسيد بن عتاب ومروان بن الحكم ووصف هذا
البطن ببعد الراي وهو كناية عن جودته يقال فلان بعيد الراي اذا
كان يرى المصلحة من بعيد لقوة رايه ثم بكونها امنع لما وراء ظهورها
وهو كناية عن الحمية ثم وصف بيته وهم بنو هاشم بكونهم ابذل لما
في ايديهم اي اسخى ثم بكونهم اسمح عند الموت بنفوسهم اي اشجع ثم
وصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف بني هاشم بثلث فضايل
بدنيتين ونفسانية فالفضيلة فيهم هي كثرة العدد والرذيلتان
كونهم امكر اي اكثر حيلة وخداعا وكونهم انكر اي اكثر نكرا والنكر
المنكر واما فضايل بني هاشم فكونهم افصح وكونهم اصبح اي احسن
وجوها واجمل وهما فضيلتان تتعلق بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم
اقرى للناس بالطلاقة والبشر ومبدا ذلك فضيلة نفسانية ثم كونهم
انصح والنصيحة لمن ينبغي نصيحته فضيلة نفسانية تتبع العفة
وقال عليه السلم شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته
وعمل تذهب مؤنته ويبقى اجره شتان اي افترق بينهما والاول العمل للدنيا
وتبعته ما يتبعه من الشقاوة الاخروية والثاني عمل الآخرة وظاهر
ان بينهما فرقا عظيما وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك فقال عليه السلم
كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذي

سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم وناكل تراثهم كانا
مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة ورمينا بكل جائحة طوبى لمن ذل في
نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم ينسب
الى بدعة وقال المسند ومن الناس من ينسب هذا الكلام الى النبي
صلى الله عليه واله وسلم ه الاجداث القبور والجائحة الداهية
المستاصلة وغرض الفصل النهي عن وضع الضحك في غير موضعه
والتذكير بامر الاخرة وذكر تشبيهات ثلثة احدها تشبيه الموت
بالمكتوب على غير الانسان والثاني تشبيه الحق الواجب عليه بما
وجب على غيره دونه والثالث تشبيه ما يشاهد من الاموات
بالمسافرين الذين يقدمون عن قريب ووجه الشبه في الثلثة اهمال
الناس الموت والتفاتهم الى اداء واجب حقوق الله عليهم وعدم اعتبارهم
بمن يموت قوله نبوئهم الى قوله جائحة من تمام وجه التشبيه
فان الفاعل مثل هذا الفعل بالاموات كانه لقساوة قلبه وعدم اتعاظه
لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت قوله طوبى الى آخره رغب
في اقتنا الفضايل المذكورة بان له طوبى وهي في الحقيقة الحالة الشريفة
التي تكون لاولياء الله في الآخرة من طيب الحال واللذة الباقية وذكر
ثمان فضايل احدها ذلة النفس لله عن ملاحظة حاجتها وفقرها اليه
ونظرها الى معادها الثانية طيب الكسب باخذه من وجوهه التي
تنبغي الثالثة صلاح السريرة لله واخلاص الباطن من فساد النيات
في المعاملة مع الخلق الرابعة حسن الخلق واشا فضايله الخامسة

١٣٦

انفاق الفضل عند الحاجة من المال فيما ينبغي من وجوه القربات الى
الله وهي فضيلة السخاء السادسة امساك الفضل من الكلام اي ما
زاد منه مما لا ينبغي وهو السكوت في موضعه السابعة عزلة الشر
عن الناس وهو العزل ولازمه الثامنة لزوم سنة الله ورسوله
وعدم الخروج عنها الى ما يبتدع في الدين ولا ينبغي ه وقال
عليه السلم غيرة الرجل ايمان وغيرة المراة كفر اما الاول فلان غيرة
الرجل تستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجل في
امراة وسخط ما سخط الله موافق لرضاه ومؤيد لنهيه وذلك
ايمان واما الثاني فلان المراة تقوم بغيرتها في احل الله وهو
اشتراك من اثنين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والانكار
وتحريم ما احل الله وسخط ما رضيه رد عليه وهو لا محالة كفر ه
وقال عليه السلم لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي
الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق
والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل هذا
قياس مفصول مركب من قياسات طويت نتائجها ونتيجة القياس
الاول ان الاسلام هو اليقين والثاني انه التصديق والثالث انه
الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه العمل اما المقدمة
الاولى فلان الاسلام هو الدخول في الطاعة ويلزمه التسليم وعدم
النزاع في ذلك وصدق اللازم على ملزومه ظاهر واما الثانية
فلان التسليم الحق انما يكون عن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له وكان
اليقين بذلك من لوازم التسليم لله فصدق عليه صدق اللازم على ملزومه

ظاهر واما الثالثة فلان اليقين باستحقاقه والتسليم مستلزم
للتصديق بما جاء به عن لسان رسوله من وجوب طاعته فصدق على اليقين
به انه تصديق له واما الرابعة فلان التصديق لله في وجوب
طاعته اقرار بانا نصدق الله واما الخامسة فلان الاقرار والاعتراف
بوجوب امر يستلزم اداء المقر المعترف لما اقر به فكان اقراره اداء
لازما واما السادسة فهو ان الاداء هو العمل فلان اداء ما
اعترف به لله من الطاعة الواجبة لا يكون الا عملا ويؤول حاصل
هذا الترتيب الى انتاج ان الاسلام هو العمل لله بمقتضى اوامره وهو تفسير
له بخاصة من خواصه كما سبق بيانه وقال عليه السلم عجبت
للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش
في الدنيا عيش الفقرا ويحاسب في الاخرة حساب الاغنيا وعجبت للمتكبر
الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك في الله وهو
يرى خلق الله وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت وعجبت لمن
انكر النشاة الاخرى وهو يرى النشاة الاولى وعجبت لعامر دار الفنا
وتارك دار البقا تعجب عليه السلم من اربعة هم محل التعجب والغرض التنفير
عن رذايلهم الاول البخيل وجعل محل التعجب منه ثلثة امور احدها انه
انما يبخل خوف الفقر في العاقبة لو انفق المال وستره وعدم الانتفاع به
في الحال صورة فقر حاضر فكان بذلك مستعجلا للفقر الذي هرب منه بالبخل
الثاني انه طالب للغنى وهو المفوت للغنى الثالث انه يعيش في الدنيا عيش
الفقرا لعدم انتفاعه بماله ويحاسب في الاخرة حساب الاغنيا لمشاركته
اياهم في جمع المال ومحبته الذين يحاسبون الحساب فكان منهم بهذا الاعتبار

الثاني المتكبر ونبه على وجه التعجب منه بذكر مبدا كونه وهو
كونه نطفة في غاية الحقارة والنجس المنافي للكبر وغايته وهو كونه
جيفة فيهما نهاية القذارة فجمعه بين هذين الامرين وبين التكبر من العجب
الثالث الشاك في الله وهو يرى خلقه وذلك جمع منه بين الشك في
وجوده وبين رؤيته ظاهرا في وجود مخلوقاته وعجايب مصنوعاته
وهو محل العجب الرابع الناسي للموت مع رؤيته من يموت وظاهر
ان نسيان الموت مع رؤيته دايما محل العجب الخامس منكر النشاة الاخرى
واعادة الابدان بعد عدمها وظاهر ان انكاره لذلك مع اعترافه
بالنشاة الاولى وهي الوجود الاول للخلق من العدم الصرف محل العجب لان
الاخرى اهون كما قال تعالى وهو اهون عليه السادس عامر الدنيا مع
كونها فانية زايلة مع تركه لعمارة الاخرة الباقية الباقي ما فيها محل
العجب وغرض التعجب من هولا والاشارة الى وجوه تنفير الخلق عن
الامور المذكورة وقال عليه السلم من قصر في العمل ابتلي بالهم ولا
حاجة لله فيمن ليس لله في نفسه وماله نصيب المقصر في العمل لله يكون
شديد الهم في جمعها وتحصيلها اولا ثم في ضبطها والخوف على فواتها
ثانيا وفي المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهم ضعفه ونفر عن المقصر عن
في الاعمال البدنية والمالية بقوله ولا حاجة لله الى اخره وكنى بعدم حاجته فيه
عن اعراضه عنه وعدم النظر اليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك وقال عليه السلم
توقوا البرد في اوله وتلقوه في اخره فانه يفعل في الابدان كفعله في الاشجار اوله
يحرق واخره يورق

وقال عليه السلام عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك
هذا امر وجه العارفين بالله فان من عرف عظمة الله وجلاله
ولحظ جميع المخلوقات بالقياس اليه حتى علم ما لها من ذواتها وهو
الامكان والحاجة وعدم استحقاق الوجود الا منه تعالى علم انها
في جنب عظمته عدم ولا احقر من العدم وشدة صغر المخلوق في
اعتبار العارف بحسب درجته في عرفانه وقيل لبعض العارفين
فلان زاهد فقال فيما ذا فقيل في الدنيا فقال الدنيا لا تزن عند الله جناح
بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما يكون في شيء والدنيا عند
لا شيء وقال عليه السلام وقد رجع من صفين فاشرف على
القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور
المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة يا اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا
فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد سكنت واما الازواج
فقد نكحت واما الاموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم
ثم التفت عليه السلام الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم
ان خير الزاد التقوى الفرط الذي يتقدم الوارد فيهيء الارشا
والدلاء وخاطبهم عليه السلام خطاب من يسمع اقامة لحالهم المعهود مقام
اشخاصهم الموجودة والديار الموحشة والمحال المقفرة القبور وغرض
الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الغافلة عن غاية الدنيا
ومنافعها لغاية العمل فيها كما ينبغي ولما كان الحق هو ان خير الزاد التقوى

كما نطق به القرآن الكريم وكان ذلك امرا شاهده المتقون في حياتهم بتقواهم
والفجار في حرمانهم بعدمه لا جرم لو اذن لهم في الجواب لاعطوا
انه لكان جوابهم ما عرفوا من الحق ه وقال عليه السلام وقد سمع
رجلا يذم الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المنخدع باباطيلها
متى غرتك امصارع ابائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم
عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء
غداة لا يغني عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك لم ينفع احدهم اشفاقك
ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به
الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها
ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ
بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء
الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد اذنت
ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم
بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترهيبا
وترغيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها اخرون
يوم القيامة ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا
اقول المجترم المدعي جريمة واستهوتك طلبت هويك اليها وهواك
فيها ومثلت صورت تشديد غواه انما هي ذات الجريمة عليه باستفهامه
عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك وموبخ عليه واكد ذلك
باستفهامه ان ذلك الغرور له منها باي شيء كان امن مصارع الاباء ام مضاجع
الامهات وذلك على وجه الاستهزاء والتنبيه له على ما يوجب الغرور فيها

وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كأنها قاصدة لذلك
التنبيه والتنفير عنها وقوله ثم علل الى قوله متضرعة صغرى
ضمير دابه على ما ادعاه بها من كونها منبهة من الغفلة وليس قصدها الغرور وتقدير
فلصورت لك الدنيا لنفسك من الكثرة تعليلة وتمريضه متضرعة وتقدير
الكبرى وكل من كان شانه ذلك وصورة لك فليس من اهل التلبيس عليك بالغرور
لك بل من نصحك وتنبيهك من غفلتك ثم لما نفى عنها الذم اخذ في
مدحها وذكر لها اوصافا ثمانية احدها انها دار صدق لمن صدقها
اي فيما اخبرته بلسان حالها من فنائها وزوالها وتصديقه لها اعترافه بذلك
منها والعمل به الثاني ودار عافية لمن فهم عنها ما اخبرته به من عظاتها
حتى احترز من آفاتها وعوفي من عذاب الله لها الثالث ودار غنى لمن
اتخذ فيها التقوى زادا للسفر الى الله وظاهر ان التقوى وثمرتها في الاخرة
اعظم غنى للمتقين الرابع ودار موعظة لمن اعتبر بها فعلم وضعها
وغايتها الخامس كونها مسجد احباء الله من رسله واوليائه السادس
كونها مصلى ملائكة الله الارضية وسجدوا لآدم عليه السلام السابع كونها
مهبط وحي الثامن كونها متجر اولياء الله الذين اكتسبوا بعباداتهم فيها رحمته
وربحوا جنته ثم استفهم بعد هذه المدائح عن ذمها منكرا عليه وشنع الاحوال
اخرى لها تنادي فيها اي من ذامها وفيها الصفات المذكورة وهي علامة
الاحوال وذكر منها ستة احدها كونها آذنت اهلها واعلمتهم بفراقها
والواو في قوله وقد للحال الثاني ونادت بفراقها الثالث ونعت نفسها
كل ذلك بلسان حالها من التغير والانتقال المؤذن بالزوال الرابع كونها
مثلت لهم ببلائها البلاء في الاخرة الخامس وشوقتهم بسرورها الى السرور

في الجنة وانما كان كذلك لان كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما
في عالم الغيب ونسخة منه يعتبر به ويقاس عليه ولولا ذلك لانسد طريق
الترقي الى الحضرة الالهية وتعذر الوقوف على شيء من اسرارها والنا كوف
الى الله لما شاهدوا بلاء الآخرة من بلاء الدنيا حملوا الخلاص منه وشاهدوا
سرورها من سرور الدنيا وعلموا ان بينهما فرقا عظيما وان الاشرف لا
يحصل الا برفض الاخس فاقتصر آراؤهم الصالحة بيع السرور الفاني
بالباقي السادس رواحها بعافيه وابكارها بفجيعة وهو كناية عن
سرعة انتقال احوالها وتبدل اطوارها من رخاء الى شدة ومن صحة الى
سقم ونسبة هذه الافعال اليها لانها اسبابه ما في ذلك وكما نسب
اليها الافعال الاختيارية وجعل لها منها غايات وهي ترغيب الناس الى
الله وترهيبهم منها ثم اشار الى سبب ذمها وهو ندامة
المفرطين في اتخاذ زاد التقوى الى الآخرة منها فنسبوا ذلك التفريط الى
غرورها لهم وهو باطل كما بينه ثم الى سبب مدحها من مدحها
وهو ثلثة احدها تذكيرها لهم بزوالها ان رواها لغاية باقية عن العمل لها
فذكروا لما ذكرتهم وعلموا الثاني حديثها لهم بذلك حتى صدقوا الثالث
وعظها لهم بتغيرها حتى اتعظوا وقال عليه السلام ان لله ملكا
ينادي في كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا للفناء وذلك الندا
على وفق ما علم من القضاء الالهي في طبيعة الدنيا وغايتها والامور الثلثه
وهو الموت والفناء والخراب غايات طبيعتها واللام فيها هي المسماة بلام
العاقبة وقال عليه السلام الدنيا دار ممر الى دار مقر والناس فيها رجلان
رجل باع نفسه فاوبقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها اوبقها اهلكها وقد

جمع في هذه الكلمة الاشارة الى حال الدنيا وحال الآخرة وحال اهلهما وكون
الدنيا دار ممر باعتبار انها طريق الى الآخرة التي هي دار للقرار واستعار لفظ
البيع لبايع نفسه باعتبار تسليمه لها الى الهلاك الاخروي واعتياضه عنها
ما اصابه من اللذة الدنيوية وكذلك لفظ الابتياع لمشتري نفسه
باعتبار انقاذها من ذلك الهلاك ببذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والاعراض
عنه وحصر المكلفين في الرجلين المذكورين ظاهر وقال عليه السلم
لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته
جعل الصديق الصديق خاصة تعرف بها وهو ان يحفظ صديقه في الامور
الثلثة وحفظه بالقيام مقامه فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر
الامكان ٥ وقال عليه السلم من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من
اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول ومن اعطي
الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن اعطي الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك
في كتاب الله سبحانه وتعالى قال تعالى في الدعاء ادعوني استجب لكم وفي
الاستغفار ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما وقال في الشكر لئن شكرتم لازيدنكم وقال في التوبة انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم وكان الله عليما حكيما اقول الامور الاربعة الاولى اذا
كانت باخلاص كان كل منها سببا في اعداد النفس لقبول صورة الرحمة
الالهية من واهبها فالدعاء للاجابة والتوبة لقبولها واسقاطهم للعصيه
والاستغفار للمغفرة والشكر للزيادة والشواهد الالهية ناطقة بذلك
علي وتوسع في العقل ٥ وقال عليه السلم الصلوة قربان كل تقي

١٤٢

والحج جهاد كل ضعيف ولكل شي صدقة زكوة وزكوة البدن
الصيام وجهاد المراة حسن التبعل التبعل مباشرة البعل وصحبته
والكلام اشارة الى بعض اسرار هذه العبادات فمن اسرار الصلوة
كونها قربانا الى الله تعالى وقد علمت انها اعظم ما يتقرب اليه المتقون
به من العبادات ومن اسرار الحج كونه جهادا في سبيل الله لما فيه
من مشقة السفر ومجاهدة الطبيعة ومقاومة النفس الامارة
بالسوء مع قوتها بشبهة عدم الاطلاع على اسرار الحج وفايدته
مع ما في كيفيته من الافعال الغريبة التي يتعجب منها الجاهلون
وانما خص الضعيف لكونه لا يجد بالة اليه ولان للقوي جهادا
آخر هو المشهور ومن اسرار الصوم كونه زكاة للبدن لما فيه من
تنقيص قوته وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الاخروي
كما ان الزكوة تنقيص في المال مستلزم لزيادة الثواب الاخروي ومن
اسرار التبعل حسن مباشرة الرجل وطاعته في طاعة الله وفي
ذلك كسر النفس الامارة للمراة وانقيادها في صراط الله ٥ وقال
عليه السلم استنزلوا الرزق بالصدقة وفي الكلمة فايدتان احدهما
الترغيب في الصدقة بذكر كونها سببا لاستنزال الرزق وقد مر ان
الصدقة باب عظيم لذلك معد لحصوله ومن وجوه اعدادها كونها نفعا
متعديا يستلزم ميل القلوب اهل الله والصالحين من عباده واجتماع
هممهم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق الثانية التنبيه على اقوى
الاسباب الباعثة عليها على البذل في اكثر الخلق ليعتمد فيسهل معه
البذل وهو الثقة بالله واليقين بالخلف منه كما نطق به وعد على

ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم الآية ٥ وقال
عليه السلم تنزل المعونة على قدر المؤونة المؤونة التعب والشدة وهي
مفعلة من الاين والمراد ان الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معدة
لاستنزال معونة الله برزقه وقوته على القيام باحوالهم ودفع
المؤونة عن جهتهم وقال عليه السلم ما عال من اقتصد العيلة
الفقر والاقتصاد الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معد
لعدم الحاجة لان قدر الحاجة من المال امر قد تكفل الله بادراره
مدة البقاء وهو ما لا بد للمقتصد منه ٥ وقال عليه السلم قلة
العيال احد اليسارين والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم
اما الاول فلان الغنى المتعارف يكون بحصول المال وللمال اعتبارين
احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه فحصوله يسار وعدم انفاقه
على العيال لقلتهم يسار اخر واطلق اليسار على قلة العيال مجازا اطلاقا
لاسم المسبب على السبب واما الثاني فاراد العقل العملي ولفظه مجاز
في تصرفاته اطلاقا لاسم المسبب على السبب مع حمله تصرفاته في التدبير
التودد الى الخلق ولما كان الانسان محتاجا في اصلاح معاشه الى غيره
وكانت معاملته لهم في ذلك اما على وجه التودد وما يلزمه من حسن
المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والترغيب واما على وجه القهر
والغلبة والترهيب لاجرم كان التودد وما يلزمه نصف العقل اي
نصف تصرفه في تدبير معاشه واما الثالث فلان الهرم اما طبيعي
واما بسبب من خارج وهو الهم والحزن والخوف المسارع له فهو اذن
قسيم للشيب الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له

لفظ النصف واراد والهم نصف سبب الهرم ٥ وقال عليه السلم
ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط
اجره ان الله سبحانه جعل للانسان قوة استعداد لان يصبر بمقدار
مصيبته فمن تم استعداده افيض عليه ذلك المقدار من الصبر ومن
قصر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع
حبط اجره وهو ثوابه على الصبر وكنى عن الجزع بما يلزمه في العادة
من ضرب اليدين على الفخذين وقيل انما حبط ثوابه السابق ايضا
لان شدة الجزع تستلزم كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات
الى ما وعد به من ثواب الصابرين وهو معد لمحو الحسنات من لوح
النفس وسقوط ما يلزمها من ثواب الاخرة ٥ وقال عليه السلم
كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس
له من قيامه الا السهر والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد
بذلك من اخل بشرط من شرائط صيامه وقيامه ولم يات بهما على
وجه الاجزاء واعظم شرط لهما توجيههما الى المعبود الحق عز
سلطانه وكثير ذلك العبادة وفسادها من كثير من الخلق انما يكون
للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام عن الصلوة وانما مدح نوم الاكياس
لان الكيس هو الذي يستعمل ذكاءه وفطنته في طرف الخير على الوجه المرضي
للشارع ويضع كل شي موضعه ومن كان كذلك كان نومه وافطاره وجميع
تصرفاته في عباداته موضوعة مواضعها من رضا الله ومحبته ٥
وقال عليه السلم سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكوة
وادفعوا امواج البلاء بالدعاء وسوسوا اي املكوا وذلك ان

الصدقة من الايمان التام بملكه وحفظه لا يكون بدونها واما
تحصين المال بالزكوة فلان منعها انما يكون عن البخل وشدة الحرص وذلك
باعث لمستحقيها على ذمه وداع للصعلوك الى التسبب في اذاه فكان
مانعها متعرضا بذلك لتلف ماله وباذلها محصنا له واستعار لفظ
الامواج للحوادث المتواترة وقد مر ان الدعا باخلاص مما يعد النفس
للاجابة بالمطلوب وغرضه الحث على الصدقة والزكوة والدعاء ٥

ومن كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعي

رحمه الله ٥ قال كميل اخذ بيدي امير المؤمنين عليه السلم فاخرجني
الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعدا ثم قال يا كميل ان هذه القلوب
اوعية فخيرها اوعاها احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة عالم رباني
ومتعلم على سبيل نجاه وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح
لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير
من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل معرفة
العلم دين يدان به يكسب الانسان الطاعة في حيوته وجميل الاحدوثة
بعد وفاته فالعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد هلك خزان
الاموال وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم
في القلوب موجودة ها ان هاهنا لعلما جما واشار بيده الى صدره
لو اصبت له حملة بلى اصبت لقنا غير مامون عليه مستعملا اله الدين
للدنيا مستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا
لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض

من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد بالشهوة
او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شي اقرب شي
شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم
بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا
مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها
في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح
اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون واستوحشوا بما استوحش
منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
اولئك خلفا الله في ارضه والدعاة الى دينه اه اه شوقا الى رؤيتهم
اقول الجبان الصحرا والصعدا نوع من التنفس يصعده
الملهوف الحزين والهمج ذباب صغير كالبعوض والرعاع الاحداث
والعوام واللقن سريع الفهم والاحنا الجوانب والمنهوم باللذة الشره
فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد المحبة له وهجم دخل بغتة وفي الفصل
نكت احدها انه اعد عليه السلم وتنبيهه للفهم بقوله ان هذه
القلوب الى قوله لك الثابتة قسم الناس الى ثلثة اصناف ووجه
القسمة ان الناس اما عالم او ليس والثاني اما طالب للعلم او ليس ثم قيد
كلا من الاقسام الثلثة بصفة او صفات فالاول العالم ووصفه
بالرباني نسبة الى الرب تعالى وزيدت الالف والنون للمبالغة في
النسبة قال تعالى كونوا ربانيين وقيل سموا بذلك لانهم يربون المتعلمين
بصغار العلوم قبل كبارها وقيل لانهم يربون العلم اي يقومون باصلاحه
الثاني المتعلم ووصفه بكونه على سبيل نجاه ولما كان العلم سببا للنجاة في الاخرة

وكان المتعلم في طريق تحصيله كان على سبيل النجاة ليصل اليها بالعلم
الى هو غايته المطلوبة والثالث العوام ووصفهم باوصاف احدها
استعار لهم لفظ الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالعامية
او الجادية لكونها مظنة الجهل الثالث كونهم اتباع كل ناعق ملاحظة
لتشبيههم بالغنم في الغفلة والغباوة الرابع كونهم يميلون مع
كل ريح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد والثبات عليه
الخامس كونهم لم يستضيئوا بنور العلم وهو كونهم على ظلمة الجهل
السادس ولم يلجأوا الى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات
الحقة البرهانية التي يعتمد عليها في دفع مكاره الآخرة الثالثة في مدح
العلم وتفضيله على المال من وجوه احدها ان العلم يحرس صاحبه
من مكاره الدنيا والآخرة والمال يحرسه صاحبه والفرق بين ما
يكون حارساً لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه الى حراسته في الفضيلة والنفع
ظاهر الثاني ان العلم يزكوا ويزيد باخراجه وافادته لطالبيه كتذكير
العالم بتعليمه ومذاكرته لما غفل عنه واستنباطه لما لم يكن عنده والمال
تنقصه النفقة والاخراج منه الثالث ان صنيع الاحسان به يزول
بزوال المال والاحسان بالعلم باق لبقائه وصنيع فعيل بمعنى مفعول
الرابع ان يكون معرفة العلم اي تحصيله ديناً يدان به وقد علمت كونه
الاصل في الدين الخامس كونه يكسب الانسان طاعة الخلق له في حياته وجميل
الاحدوثة بعد وفاته وهما من فضائله الخارجية السادس كونه
حاكماً على المال وكون المال محكوماً عليه اي ان تصرفه في جمعه وانفاقه
انما يكون على وفق العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع من افضليته

على المال كون خزان المال هالكين في الآخرة محكوماً عليهم بذلك في الدنيا
وان صدق عليهم انهم احياء كما قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
الآية واما العلماء فباقون ابداً على ان فقدت اعيانهم في الدنيا فصورهم
في القلوب مشاهدة موجودة الرابعة اشار بعد تقدير كمال
هذه الفضيلة الى ان في صدره منها شيئاً كثيراً وانما منعه عن اظهاره
عدم وجدان من يحمله عنه وها للتنبيه وجواب لو محذوف
تقديره لاظهرته الخامسة استثنى من يحمله ونبه على عدم
صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم واشار الى اربعة اصناف منهم
ووجه القسمة ان غير اهل العلم من الناس اما طالبون له او غير طالبين
والطالبون اما قادرون على القادرين للحجة او غير قادرين وغير
الطالبين له المشغولون عنه فاشتغالهم اما بالانهماك في
لذتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم واما بمحبة جمع المال والادخار
فالاول هو الحبيث الموصوف بذيله الحريز واشار اليه بقوله بلى
اصيب لقناً الى قوله او لا ذا واشار الى وجوه عدم صلاحيته لحمله
احدها كونه غير مامون عليه اي هو مظنة ان يضعه الا عند غير اهله ووضعه
في غير مواضعه والضمير في قوله عليه للعلم الثاني كونه مستعملاً
لآلة الدين وهو العلم في الدنيا واستعماله فيها كالتكسب به الثالث
مستظهراً بنعم الله وهي العلم على عباده كالتفخر عليهم ومغالبتهم واستعمال
حجج الله وما علمه منها في مقابلة اوليائه وتلبيس الحق بالباطل
واما الثاني ممن لا يصلح لحمله فهو المقلد واشار اليه بقوله ومنقاداً
الى قوله بشبهة ومنقاداً عطف على لقناً واراد بالانقياد للحق الاتباع

به وتسليمه على سبيل الجملة واشار الى كونه غير صالح للحملة من وجهين
احدهما كونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله الثاني كونه يقدح
الشك في قلبه لاول عارض من شبهة وذلك لعدم العلم وبيانه في نفسه
بالبرهان والحجة الواضحة وقوله لا ذا ولا ذاك اي
من حملة العلم والثالث هو المشار اليه بقوله او منهوما باللذة
للشهوة والرابع هو المشار اليه بقوله او مغرما بالادخار واتبعهما
في معرض الذم لهما بوصفين احدهما كونهما ليسا من رعاة الدين في
شيء اي لا تعلق لهما بالدين والثاني كونهما اقرب شبها بهما
الانعام السائمة باعتبار غفلتهما عن الدين وثمرته في الاخرة وقوله
كذلك اي بتلك الاحوال من عدم من يصلح لحمل العلم ووجدان
من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه لان التشبيه يفيد مقاربة
الاحوال وعنى بحامليه نفسه ومن عساه يكون من اهله يومئذ ثم استدرك
بقوله اللهم بلى عدم خلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا
واما مستترا مغمورا في الناس واراد بالظاهر من عساه يتمكن من
اظهار العلم والعمل به من اولياء الله وخلفائه واوليائه في موضع من الارض
وبالخائف المغمور الى من لم يتمكن من ذلك قالت الشيعة هذا تصريح
منه عليه السلم بوجوب الامامة في كل زمان ما دام التكليف باقيا وان الامام
قائم بحجة الله على خلقه ووجوده تقتضي حكمته وهو اما ان يكون ظاهرا
معروفا بين الناس كالذين سبقوا الى الحسنات ووصلوا الى المحل الاعلى من
ولده الاحد عشر واما ان يكون غائبا مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلص
من اوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله

وكم ذا استبطا للمدة غيبة صاحب الامر وتبرما من امتداد دولة اعدائه
وقوله اين هم استقلال العدد ايمة الدين ولذلك بينه بقوله اولئك
والله الاقلون عددا وذكر في معرض مدحهم اوصافا احدها الاقلون
عددا الاعظمون قدرا عند الله الثاني ان بهم يحفظ الله حججه وبيناته
المشتمل عليها دينه حتى يودعوها امثالهم ويزرعوها في قلوب اشباههم
بعدهم الثالث كونهم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة اي فاجاهم ودخل
على عقولهم دفعة لان علومهم لدنية حدسية من قبل ذلك على القلوب اي
هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم الرابع وباشروا روح اليقين
اي وجدوا لذته الخامس واستلانوا ما استوعره المترفون من
الامور الشاقة كخشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة
الصيام والسهر وذلك في جنب ما وجدوه من لذة اليقين وحلاوة العرفان
هين لين عندهم السادس وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وهي
الاحوال التي الفوها مما ذكرنا فان الجاهل بجملة ثمرتها ينفر منها ويستوحش
من اهلها السابع وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
عاشقة لما شاهدته من جمال حضرة الربوبية وصحبة الملا الاعلى من الملائكة
ولما ميزهم بالاوصاف المذكورة اشار في معرض مدحهم ايضا الى ان ما لا
لما اشتملوا عليه من الاوصاف هم خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه
ثم تاوه شوقا الى رؤيتهم واه كلمة توجع صاحبها اوه والفصل من افصح
ما نقل عنه عليه السلم وقال عليه السلم المرء مخبو تحت لسانه
اي حاله مستورة في عدم نطقه فيعرف الصلاح للعلم به وبحسب لسانه كتابه
عن سكوته وذلك ان مقداره بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار

لدلالته عليه فاذا تكلم بكلام الحكما ظهر كونه حكيما او كلام السفها
عرف كونه منهم وما بين المرتبتين بالتشبيه ه وقال عليه السلم هلك
امرؤ لم يعرف قدره وقد علمت ان قدره هو مقداره في نفس الامر ومنزلته من
الفضيلة وعدمها ومن لم يعرف منزلته اوشك ان يتجاوزها فيهلك مثلا
من لم يعرف محله من العلم اوشك ان يرتفع به فوق محله او يفتي بما لا يعرف
لاعتقاده كماله فيقع في الهلاك الاخروي ويتبعه هلاك دنياه
ولزمه من تجاوز حده بلغت السنة الناس وايديهم وهلاكه بذلك
وقال عليه السلم لرجل ساله ان يعظه لا تكن ممن يرجو
الاخرة بغير عمل ويرجي التوبة بطول الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين
ويعمل فيها بعمل الراغبين ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن
شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويامر بما لا ياتي يحب
الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو احدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه
ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح امن لاهيا يعجب بنفسه
اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله رخاء اعرض
مغترا تغلبه نفسه على ما تظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على
غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى بطر وفتن
وان افتقر قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سال ان عرضت له
شهوة اسلف المعصية وسوف التوبة وان عرته محنة انفرج عن شرائط
الملة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول
مدل ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما
يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر
معصيته

اسلف اي قدم

منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على
الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنيا احب اليه من الذكر مع الفقرا
يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو
يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في
خلقه قال السيد رحمه الله لو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام
لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر
اقول نهيه بزجرها ويردي تحتها الرذائل المجمعه
اي يدفعها والمتوسط الياس وعبرته عرضته له ومدلوله وانواع حاصل
الفصل عني طالب الموعظة عن اربع وثلثين رذيلة احدها رجا الاخرة
وثوابها بغير عمل فان ذلك تمني على الله وقد علمت ان التمني بضايع النوكى
الثانية ترجية التوبة وارجاوها بطول الامل وكان ذلك يستلزم البقا
على المعصية والعذاب بها في الاخرة الثالثة ان يجمع بين قول الزاهدين في
الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو خداع لله وعمله فيها عمل الراغبين يستلزم ان
يصيبه ما اصابهم من عذاب الاخرة بها الرابعة ان لا يشبع مما يعطى منها
وذلك رذيلة الشره والحرص الخامسة ان لا يقنع ان منع وذلك رذيلة
التفريط وفضيلة القناعة السادسة ان يجمع بين العجز عن شكر ما اوتي
من نعم الله وبين طلب الزيادة من واهبها وهو جمع بين رذيلة التفريط
من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص السابعة ان يجمع بين نهيه عن
المعاصي وعدم تناهيه عنها وهو نفاق وخداع لله الثامنة ان يامر بما يقصر
عن فعله وهو كالذي قبله التاسعة ان يحب الصالحين ويقصر عن عملهم ويقصره
كالنقص على محبته لهم العاشرة ان يبغض المذنبين وهو احدهم فيكون

فيكون فعله كالنقض على نقضه لقوته الحادية عشر ان يكره الموت
لكثرة ذنوبه ويقيم على ما اكره الموت له من كثرة الذنوب فاقامته على
ذنوبه كالنقض على كراهيته للموت لاجل ما يلزمها من العذاب الاخروي
الثانية عشر ان يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه في جنب الله
وبين لهوه في لذته حال الصحة وهو ايضا كالمناقض الثالثة عشر ان
تعجبه بنفسه حسن عافيته فان العجب من المهلكات الرابعة عشر
ان يقنط اذا ما ابتلاه ربه وييأس من رحمته وذلك كما قال تعالى انه لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الخامسة عشر ان يجمع
بين دعاء الله باضطراره اليه عند نزول البلاء وبين الاعراض عنه والاغترار
بالدنيا عند اصابته للرخاء فان الاول رذيلة افراط والثاني رذيلة
تفريط السادسة عشر ان يجمع بين الانتهار لنفسه والانقياد
لها الى ما بطنته فانه من الامور الدنيوية وبين عدم قهرها وغلبها الى ما
يستحقه من ثواب الاخرة وعقابها فلا يلزمها العمل لذلك فان ذلك عند
العقلاء سفه وجنون السابعة عشر ان يجمع بين الخوف على غيره
من ذنوب هي اقل من ذنوبه وبين الرجاء لنفسه ثوابا اكثر مما يستحق على عمله
فان الحق من ذلك ان يخاف على نفسه اكثر من الخوف على غيره لاكثرية ذنوبه
ويعمل لذلك الخوف الثامنة عشر ان يبطر ويتيه اذا اصاب غنى فان
ذلك محذور التاسعة عشر ان يقنط ويضعف اذا افتقر وهو رذيلة تقصير
وتفريط العشرون ان يقصر في العمل الحادية والعشرون ان يبالغ
اذا سال وهو رذيلة الالحاح في السؤال الثانية والعشرون ان يقلع
المعصية ان عرضت شهوته ويؤخر التوبة منها الثالثة والعشرون

ان يفرح عن شرايط الله عند نزول المحنة اي يخرج عن فضيلة الصبر
على المصيبة الذي هو شرط الله وتركها الرابعة والعشرون
ان يجمع بين وصف العبر وبين عدم الاعتبار الخامسة والعشرون
ويبالغ في الموعظة حال ما لا يتعظ فان ذلك يدخل في مقت الله تعالى
لقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون السادسة
والعشرون ان يجمع بين المنافسة فيما يفنى وهو الدنيا والمسامحة فيما يبقى وهو
ثواب الاخرة وهو جهل وسفه ظاهر السابعة والعشرون ان يرى
الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق في معصيته
وهو عكس مقتضى العقل الثامنة والعشرون ان يجمع بين خشية الموت
وعدم مبادرته بالاعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من اهواله وما بعده
التاسعة والعشرون ان يستعظم من معصية غيره ما يستقل
اكثر منه من نفسه وكذلك يستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره ويلزم
من ذلك ان يكون طاعنا على الناس في افعالهم ومداهنا لنفسه في فعلها
الثلثون ان يكون اللهو مع الاغنيا احب اليه من ذكر الله مع الفقرا وذلك
لفرط محبة الدنيا الحادية والثلثون ان يحكم لنفسه على غيره فيما
يشتهيه وان كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانية
والثلثون ان يجمع بين ارشاد غيره بالهادي من القول وبين اغوائه نفسه بفعله
اي بعمل عمل الغاوين ويلزم ذلك ان يطيعه غيره وهو يعصي الله الثالثة
والثلثون ان يستوفي ماله على غيره ولا يوفي ما عليه من حق الله او حق
خلقه الرابعة والثلثون ان يجمع بين خشية الخلق في غير الله اي في امر
ليس لله وبين عدم خشية الله في خلقه ويلزم الاول ان يرضيهم بما يسخط

الله ويلزم الثاني ان تسخط الله بما يسخط خلقه واكثر هذه القراين
مشتملة من علم الفصاحة على التقابل والتضاد ورد العجز على الصدر
وقال عليه السلم لكل امر عاقبة حلوة او مرة واشار الى غاية من
حركات الخيرية والشرية فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة
الحلوة وغاية الشرية النار وعذابها وهي العاقبة واستعار لفظي
الحلو والمر للذيذ والمكروه وقال عليه السلم لكل مقبل
ادبار وما ادبر كان لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض الزهد
فيها والمقبل من شدايدها في معرض تهوينها وتسهيلها وكان من مخففات
ان مخففة واسمها محذوف وقال عليه السلم لا يعدم
الصبور الظفر وان طال به الزمان فالصبور كثير الصبر ورغب فيه بما
يلزمه من الظفر وان تاخر ذلك عند كمال استعداد الصبور بالصبر وقوته
وقال عليه السلم الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في
باطل اثمان اثم العمل له واثم الرضا به ووجه التشبيه اشتراكهم في الرضا به
المستلزم للميل اليه ومناسبته لطبعه ونفره عن الدخول في الباطل بما
يستلزمه من الاثمين اما اثم العمل فظاهر واما اثم الرضا فلان الرضا بالباطل
يستلزم محبته وهي رذيلة واثم وقال عليه السلم اعتصموا بالذمم
في اوتادها فالذمم العهود والعقود والايمان واستعار لفظ الاوتاد
لشرايط العهود واسباب احكامها كانها اوتاد حافظة لها واراد اعتصموا
من سخط الله وعذابه بحفظ الذمم في اوتادها وكان العصمة منه تكون في
اسباب حفظها وفي متعلق باعتصموا وروي استعصموا وقال عليه السلم
عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته يريد الله تعالى وقيل هو ايجاب لطاعة

من يجب طاعته من ائمة الحق الذي يجب العلم بحقيته ولا يعذر
الناس في الجهل بهم لتعلم قوانين الدين والحكمة منهم وقال عليه السلم
قد بصرتم ان ابصرتم وهديتم ان اهتديتم واسمعتم ان سمعتم اي قد بصرتم
سبيل الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة عليها ان كان لكم استعداد
ان تبصروها وتسمعوا وتهتدوا اليها وقد مر مثله وقال
عليه السلم عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه اي اجعل
مكان عتابك له بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام في حقه فانهما انفع
في عطف جانبه اليك ودفع شره عنك والعتاب مستعار للاحسان
لاستلزامهما رجوع المعاتب وقال عليه السلم من وضع نفسه
موضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه هو السبب في اساءة الظن
بنفسه ولا لوم على من اساء به الظن لان ظنه ذلك مستند الى امارة من
شانها توليد الظن وقال عليه السلم ثلث كلمات احداها من
ملك استاثر اي استبد والاكثر الملوك من شانهم الاستبداد بالامور المرغوب
فيها والانفراد بها وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لقوائم الاشياء بالشوق فيهم
وهي كالمثل يضرب لمن غلب على امر فاختص به ومنعه عن الثانية
ومن استبد برايه هلك لان انفراد الانسان برايه وعدم قبوله للنصيحة
واستشارته في الحرب ونحوها مظنة الخطاء المستلزم للهلاك فكانه
لما استبد برايه فهو في مظنة الهلاك فاقام الهلاك مقام مظنته مجازا
اطلاقا لما بالفعل على ما بالقوة الثالثة ومن شاور الرجال
شاركها في عقولها وذلك انه يستنتج منها الراي الاصلح لجماعة فكان
عقول الرجال باسرها حاصلة له لانتفاعه بثمرتها وهو ترغيب في

الاستشارة وقال عليه السلم من كتم سره كانت الخيرة
لا تعدو ذلك من كتمانه وقال الفقر الموت الاكبر استعار له لفظ
الموت بوصف الاكبر اما كونه موتا فلانقطاع الفقير عن مشتهياته
ومطلوباته التي هي مادة الحيوة وبالمه لفقدها واما انه اكبر فلتعاقب
الالم على الفقير مدة حيوته ولما الاكثر الموت غم وتعب لحدوثه
مبالغة في شدته وقال من قضى حق من لا يقضي حقه فهو عبده اراد
قضا الحق بين الاحرار انما كان كذلك لان قضا الحق من لا يقضي حقه
لا يكون لوصول نفع منه ولا لدفع مضرة العبد عنه بل يكون علامة لانه
هوا وخوفا منه او طمعا فيه وذلك صورة عبادة وقال لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وذلك كالوضوء بالما المغصوب والصلوة
في الدار المغصوبة ويحمل النهي هنا على نفي جواز الطاعة كما هو المنقول عنه
وعن اهل بيته عليهم السلم وعند الشافعي من نفي الطاعة والنهي لفضلها
وقال لا يعاب المرء باخذ حقه انما يعاب باخذ ما ليس له اخذ الحق
قد يكون واجبا لمن هو له وقد يكون مندوبا واقله ان يكون مباحا ولا حرج في
اخذ المباح واما اخذ ما ليس له فظلم وهو من اقبح الرذائل التي يعاب بها المرء
وقال الاعجاب يمنع من الازدياد اعجاب المرء بفضيلته الداخلة كعلمه
او الخارجة كغناه وقنيته انما يكون عن تصوره كمالا فيها واعتقاد انه
قد بلغ منها الغاية والاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها وقال
الامر قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله وهو الموت والاصطحاب
في الدنيا وقال قد اضا الصبح لذي عينين هو مثل واستعار لفظ الصبح
لسبيل الله ووصف الضيا لوضوحها وظهورها فوصف الشارع ودلالته عليها

سبق

ويحتمل ان يكون ذلك عاما وضعفه للحق كان سايلا ساله عن امر
فشرحه له مرة او مرارا وهو يستزيده فقال له هذا القول اي قد وضح
لك الحق ان كنت تبصر وقال ترك الذنب اهون من طلب التوبة اذ
الترك لا كلفة فيه لكونه عدما وطلب التوبة من الله يحتاج الى استعداد
شديد يصلح معه العبد لقبولها منه وافاضة العفو عليه وقال
كم من اكلة منعت اكلات وهو يجري مجرى المثل لمن ينال نيلا
يكون سببا لحرمانه مما كان يناله من خير سابق واصله ان الرجل يتملى من
الطعام فيتخم ويمرض فيحتاج الى الحمية والامتناع من الاكل وفي معناه
من يعاشر ملكا ويسعد بالانبساط معه فيفرط في انبساطه عليه
فيكون ذلك سببا لبعده عنه وزوال سعادته منه وقال عليه السلم
الناس اعدا ما جهلوا الجهل بالشي مستلزم لعدم تصور منفعة العلم به
فيحصل الجاهل من ذلك على عذر لاعتقاده انه لا فايدة في تعلمه فيستلزم ذلك
مجانبته له ثم يتأكد تلك المجانبة والبعد بكون العلم اشرف فضيلة يفخر بها اهله
على الجهال ويكون لهم بها الحكم عليهم واستنقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار
مع اعتقاد الجهال الكمال لهم ايضا فيشتد لذلك مجانبتهم للعلم واهله وعداوتهم لهذه
الفضيلة وقال من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ لا شك ان
المتصفح والمتفكر في انحا الصواب لا بد ان يعرف مواقع الخطا في الامور
ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر عند استصلاح الاعمال
قبل الوقوع فيها وقال من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشد الباطل
لما كان تعالى هو العزيز المطلق كان سنان دفع الغضب لديه والحمية
له الى عزته وصولة الغاضب اعتزازا به اشد بكثير من صولته بدون ذلك

الاسناد وبحسب ما كان القوة بجنبة الله يكون ضعفها بالاسناد الى
الباطل المضاد لدينه ولذلك ما قهر اولياء الله على قلتهم في مبدا الاسلام
اعداءه على كثرتهم وما طاقه هو عليه السلم قلع باب خيبر على شدته وقتل جبابرة
العرب واستعار لفظ السنان لحدة الغضب باعتبار استلزامهما للنكاية
في العدو ورشح بذكر الحد وقال اذا خفت امرا فقع فيه فان شدة
توقيه اعظم مما تخاف منه فان النفوس فيما تتوقع من مكروه تنفعل انفعالا
كثيرا او نكرا اعظم في كيفيته ودفعه والخلاص منه وذلك اصعب بكثير
من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هنالك عند تاكده بتوقع الامر المخوف
ورغب في الوقوع فيه بتصغير صغراه قوله فان الحذر وتقدير كبراه
وكلما كان اعظم مما تخاف من الشيء فينبغي ان يعدل عنه الى الوقوع فيه
ينتج ان شدة توقيه ينبغي ان يعدل عنها الى الوقوع فيه وقال آلة الرياسة
سعة الصدر سعة الصدر فضيلة تحت الشجاعة وهي ان لا يدع الانسان
قوة التحمل عند ورود الاحداث المهمة عليه ولعلاجها ولا يحار وان
يدهش فيها بتحملها ويستعمل الواجب في معناها وقد يسمى ذلك رحب
الذراع وهي من اعظم لوازم الرياسة الحقة التي ينبغي لها اذ الرياسة مظنة
ورود الاحداث المهمة والخطوب العظيمة واحوال الخلق المختلفة
فمن لم يكن محتملا لمهم الامور وسيع الصدر بها فلا بد يحار فيها ويدهش
فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها ويلزم من ذلك فساد دولته وزوال
رياسته وقال ازجر المسيء بثواب المحسن يصور المسيء جزاء المحسن
باحسانه يدعوه الى الاحسان والرجوع عن الاساءة وكانت المجازاة بالاحسان
كالزجر للمسيء في استلزامها ارتداعه وانزجاره فاستعير لفظ الزجر

لها وقال احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك
اغلب ما ينشأ الشر في صدر العدو بسبب ما يتخيله في عدوه من
اضمار الشر له وظن ذلك فيه وذلك التخيل والظن لا بد ان يكون عن
امارة من حركات عدوه وفلتات لسانه بالقول في حقه ما دامت
عداوته واضمار الشر له قائما في صدره فاذا محا ما اضمره من العداوة
والشر والامارات ذلك عن لسانه ووجهه وبحسب ذلك يضعف
تخيل العداوة ويضعف سوء ظن عدوه ولا يزال يتأكد بعدم تلك
الامارات وبامارات حالية او مقالية يظهرها منه الى ان يمحي ذلك
الظن في حقه واستعار لفظ الازالة ملاحظة لتشبيهه بالزرع
في زيادته بسقي تلك الامارات من عدوه وتواترها ونقصانه وعدمه
بعدمها وقال اللجاجة تسل الراي اي تاخذه وتذهب به
وذلك ان الانسان قد يطلب شيئا والراي الحق هو التاني في طلبه والتثبت
فيه فيحمله طبعه على اللجاجة فيه فيكون ذلك سببا لفواته واستعار
وصف السلة ونسبها الى اللجاجة مجازا باعتبار انها هي المفوتة له
فكانها اخذته وغيبته وقال الطمع رق مؤبد استعار
لفظ الرق للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبد للمطموع فيه والخضوع
له كالرق وتأبيده باعتبار دوام التعبد بسببه فان الطامع دائم العبودية
لمن يطمع فيه ما دام طامعا وهو في ذلك كالزام الرق وقال
ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة التفريط اضاعة
الحزم في الامور والمعرفة ان الحزم عبارة عن تقدير العمل للحوادث
الممكنة المستقبلة بما هو اقرب الى السلامة وابعد من الغرور لا جرم

كان ذلك مظنة السلامة منها وكانت اضاعته والتفريط في العمل
بما يستقبل من الحوادث مظنة الوقوع فيها وعدم السلامة من بلاياها
وهو مستلزم للندامة على التفريط فيها فكانت الندامة من ثمراته
وقال لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل
الصمت عن النطق بالحكمة طرف تفريط من فضيلة القول والنطق
عن الجهل رذيلة مضادة لها والحق العدل وهو النطق بالحكمة وهو الفضيلة
النطقية وقال عليه السلم ما اختلفت دعوتان الا كانت احداهما
ضلالة الاختلاف الحقيقي انما يكون بين النقيضين ولما كانت الدعوة
اما الى الحق وهو سلوك سبيل الله او الى غيره وكان ما عدا الحق ما يدعى
اليه فهو ضلال عن الحق وعدول عن سبيل الله لاجرم لم تختلف دعوتان
الا كانت احداهما حقا والاخرى ضلالة ومستلزمة للضلال وهذا يستلزم
بطلان كون كل مجتهد مصيبا ومذهبه المنقول عنه عليه السلم ان الحق
واحد وفي جهة والمصيب له واحد وقال ما شككت في الحق مذ
اريته من كان له استعداد درك الحق كمثله عليه السلم واستاذ كرسول الله
صلى الله عليه وسلم في اعداده وتربيته وطول صحبته كمثل ذلك الاستاذ
كصحبته فمحال ان يعرض له شك في امر يرى برهانه ويحرم من الحق وقال ما
كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي اما عدم كذبه وضلاله فلثبوته
من حين الطفولية بالصدق ومكارم الاخلاق حتى صار ذلك ملكة له تنافي
الكذب والضلال ونقيضهما واما كونه لم يكذب فيما اخبر به من الحوادث
المستقبلة والعلوم الغيبية ولم يضل به فلكون مخبره معصوما وهو الرسول
صلى الله عليه واله وسلم والعصمة منافية للامرين ومستلزمة للهداية

المدلول وعدم نفعه وقال للظالم البادي غدا بكفه عضة
اخبر ان البادي من الجاري للظلم مثله وكنى بغد عن يوم القيمة وكفه
عن ندامته على تفريطه في جنب الله كقوله تعالى ويوم يعض الظالم
على يديه والغرض التنفير عن الظلم وقال الرحيل وشيك اي قريب
واراد الرحيل الى الاخرة في معرض الوعظ والتخويف بالموت وقال
من ابدى صفحته للحق هلك اي من تجرد لنصرة الحق في مقابلة كل الجهل
هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم وغلبة حب الباطل على
نفوسهم وكنى بابداء صفحته عن اظهار نفسه ونصبها لذلك وقد مر
بيانه ٥ وقال من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع قد يكون المصيبة
عظيمة يستلزم الجزع الهلاك بسببها وحينئذ يجب ان يقابل الجزع
فيها بصبر ينجي من الهلاك والتقدير من لم يصبر على المصيبة لينجو
يجزع فيهلك ويحتمل ان يريد الهلاك الاخروي اي من لم ينجه فضيلة
الصبر هلك برذيلة الجزع وهو تنفير عن الجزع وحث على الصبر وقال
وا عجباه تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة
ويروى عنه عليه السلم شعر في هذا المعنى

فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب

روى هذا القول عنه عند بيعة عثمن وهو صورة تعجب مما كان يسمعه
من تعليل استحقاق عثمن للخلافة تارة بالشورى وتارة بانه من اصحاب
رسول الله ويقرر ان استحقاقه للخلافة اما ان يكون معللا بالشورى
او بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم او بقرابته فان كان الاول فكيف

يملك غيره امور الناس بالشورى واكرم مستحقي الاستشارة منهم لم يكونوا
حاضرين وذلك معنى اشارته بقوله فان كنت بالشورى تمام البيت وان
كان الثاني فكيف ملكت امورهم بالحجة مع وجود من له الصحبة التامة
والقرابة معا لكون هذا اولى وان كان الثالث فغيره اولى منه بالنبي
واقرب اليه وعنى نفسه في الوجهين وقوله فكيف بهذا اي كيف
ملكتها بهذا وقال انما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ونهب
تبادره المصائب مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص ولا
ينال العبد نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق اخر
من اجله فنحن اعوان المنون وانفسنا نصب الحتوف فمن اين نرجو
البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا اسرعا الكرة
في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا الانتضال الرمي وهذا فصل لطيف
من الموعظة وقد اشتمل على ثمان كلمات ولعظة احداها استعار
لفظ الغرض للانسان باعتبار رميه بمقدمات المنايا واسبابها من
الامراض والاعراض المهلكة ووصف الانتضال لذلك الرمي كان
المنايا هي الرامية الثانية استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار
سرعة المصائب اليه الثالثة كنى عن تنغص لذات الدنيا بما يشوبها
ويخالطها من العوارض والامراض بقوله مع كل جرعة الى قوله غصص
الرابعة كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى لان النعمة الحقة هي
اللذة وما يكون وسيلة اليها فانها بواسطتها وظاهر ان النفس في الدنيا
لا يمكن ان تحصل على لذتين دفعة بل ما لم تشتغل عن لذة اولى وتتوجه نحو
اللذة الحادثة لا تحصل لها الالتذاذ بها الخامسة ولا يستقبل يوما

من عمره الا بفراق اخر من اجله لان طبيعة الزمان التقضي والسيلان
السادسة كوننا اعوان المنون باعتبار ان كل نفس وحركة من
الانسان فهي مقربة له الى اجله فكانه ساع نحو اجله ومساعد
عليه السابعة كون نفوسنا نصب الحتوف ونصب بمعنى منصوبة
كالغرض الثامنة الاستفهام عن وجه رجاء البقاء استفهام انكار
لوجوده مع وجود الزمان الذي من شانه ان يرفع لشيء شرفا ويجمع
لامر شملا الا اسرع العود في هدم ما رفع وتفريق ما جمع اي اعد
الثاني كما اعد الاول وقال عليه السلم يا ابن ادم ما كسبت
فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك اذ اكتساب الزيادة على القوت
والمؤنة بمقدار الحاجة وادخاره غير نافع للمدخر اذ من ضرورته مفارقته
ما ادخره ووصوله الى الوارث غيره فهو اذن يشبه الخازن واستعار
لفظه وهو تنفير عن البخل بالفضل من المال عن قدر الحاجة وقال ان
للقلوب شهوة واقبالا وادبارا فاتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب
اذا اكره عمي اراد بالاقبال الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه وامر باعمال
النفوس فيما يعني اعمالها فيه من فكر ونظر وحملها على ذلك حين ميلها اليه
واقبالها عليه لان ذلك بنشاط في القوى النفسانية ومعاونة ومواتاة
للنفس ونفر عن حملها عليه مع النفرة عنه والكراهية له تنفير صغراه قوله
فان القلب اذا اكره عمي اي اكراه النفس على الفكر في الشيء حين نفرها عنه عن
ملال او ضعف قوة ونحوه يزيدها كراهية ونفرة ويقوم لها بذلك مانع
من الوهم والخيال عن ادراك ما يتفكر فيه فلا يدركه وان كان واضحا حتى
يكون كالاعمى ولذلك استعار له وصف الاعمى وتقدير كبراه وكل ما كان

عماه في اكراهه على الشي فلا يجوز اكراهه عليه وقال متى
اشفي غيظي اذا غضبت احين اعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت
ام حين اقدر عليه فيقال لي لو غفرت استفهم عن وقت جواز اشفاء الغيظ
استفهام انكار لوجوده في معرض التنفير عن هذه الرذيلة وتفرعها
بقوله احين الى آخره وذلك انه حين العجز عن الانتقام او حين القدرة
عليه وشفاء الغيظ في الوقت الاول يجوز لانه يكون بالسب والشتامة
وتقطيع العرض ونحوه وذلك مستلزم للائمة الخلف وتعنيفهم ولومهم
في الحث على فضيلة الصبر لو صبرت لكان اولى وفي الثاني ايضا لا يجوز
لاستلزام الشروع في العقوبة لائمة الخلف والعدول عن فضيلة
الحلم العفو التي هي اولى وقول الناس في الحث عليها لو غفرت
فان العفو بك اولى وقال عليه السلم وقد مر على مزبلة
هذا ما بخل به الباخلون وفي خبر آخر انه قال هذا ما كنتم تتنافسون
بالامس اشار اليه بذلك لانه غاية مما بخل به الباخلون وتنافس الناس
فيه من المال والطعام اقامة للغاية مقام ذي الغاية وقال لم يذهب
من مالك ما وعظك اي القدر الذي يذهب من مالك على طريق امتحان الله
وابتلائه لك بان يذهبه فيحصل لك بذهابه موعظة وقال لما
سمع قول الخوارج لا حكم الا لله كلمة حق يراد بها باطل وقد مر تفسيره
وقال في صفة الغوغاء هم العوام الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا
تفرقوا لم يعرفوا وقيل بل قال عليه السلم الذين اذا اجتمعوا واذا تفرقوا ضروا
نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال يرجع
اصحاب المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج

الى منسجه والخباز الى مخبزه والمهنة الحرفة والصناعة والفضل
ظاهر وقال وقد اتي بجان معه غوغاء فقال لا مرحبا بوجوه
لا ترى الا عند كل سوءة اي لا ترى مجتمعة اذ العوام لا تجتمع غالبا
الا في مثل ذلك وكلام الخطيب على اغلب الاحوال والسوءة فعلة من
السوء وقال عليه السلم ان مع كل انسان ملكين يحفظانه
فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة اي اذا جاء العد
بموته على وفق القضاء الالهي وهو كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة
حتى اذا جاء احدكم الموت الآية واستعار لفظ الجنة بوصف الحصينة
للاجل وقد بينا ذلك في قوله وان علي من الله جنة حصينة ٥
وقال له طلحة والزبير نبايعك على انا شركاؤك في الامر
فقال لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة وعونان على العجز
والاود اي على دفع ما يعرض منهما او حال وجودهما لان كله على تقدير الحال
وقال ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا
الموت الذي ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم
رغب في تقوى الله والخشية منه باعتبار سمعه لما تقول العبد وعلمه
بضميره حذف المفعولين للعلم بهما اي سمع مقالكم وعلم ضميركم ورغب في ٤
مبادرة الموت ومسابقته بالاعمال الصالحة الى حفظ النفوس
ملقاها من عذاب الآخرة وهول الموت وتقريبه ليسارع الى مبادرته
بكونه لا ينجوا منه احد واستعار لوروده على الانسان لفظ الذكر في
مقابلة النسيان ملاحظة لتشبيهه بالقاصد له عن علم به وقال لا
يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع

نشئ منه وقد يدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع الكافر
والله يحب المحسنين اي عن الزهد في المعروف بسبب عدم شكر المحسن
اليه له ورغبته فيما من ثلثة صور الاول قوله فقد يشكرك
عليه الى قوله منه وذلك لمحبة الناس للاحسان والمحسنين وتقدير كبراه
وكل ما كان يشكرك عليه من احد يستمتع فواجب ان تفعله وصغرى
الثاني قوله وقد يدرك الى قوله الكافر اي قد يحصل لك من شكر
من لم يحسن اليه اكثر مما اضاعه كافر نعمتك من شكر احسانك اليه
وتقدير كبراه وكل ما ادركت من شكر الشاكر بسببه اكثر مما اضاع
الكافر فواجب ان تفعله وصغرى الثالث قوله والله يحب المحسنين
اي لاحسانهم وتقدير كبراه وكل من يحبه الله لفعل فواجب ان
يدخل العاقل في زمرته ويتقرب الى الله بمثل فعله وقال عليه السلم
كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء العلم فانه يتسع به الاوعيه
المحسوسه لما كانت متناهيه الاتساع فمن شانها ان تضيق عما تجعل
فيها واوعيه العلم معقوله وهي النفوس وقوة ادراك العلوم فيها غير
متناهيه وكل مرتبه من ادراكها يعد لما بعدها الى غير النهايه فمن الواجب
ان يتسع بالعلم ويزيد بزيادته وقال عليه السلم اول عوض الحليم
من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل اراد بالعوض ما يجازيه الناس به على علي
حلمه من النصرة له على الجاهل ويحتمل ان يريد من عدم حلمه اذ العوض
يكون عن شئ فايت كالطيش ونحوه فحذف المضاف وفيه ترغيب في
هذه الفضيله بما يلزمها من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند
سفهه عليه وقال ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا

واوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيله فان مبادي الملكات الخلقيه
حالات مكتسبة من التعلم ورغب في تعلمها بضمير صغراه قوله فانه قل
الى اخره والضمير في انه ضمير الشان وتقدير الكبرى وكل من اوشك ان
يكون من اهل الحلم بتعلمه له فواجب ان يتعلمه وقال كلمات اخر لها
من حاسب نفسه ربح لان المحاسب لنفسه على اعمالها يعلم خسرانه من
ربحه فيفعل للربح ويحترز من الترك المستلزم للخسران الثانيه ومن
غفل عنها خسر وذلك لان غريها من اللذات الحاضره تستلزم ميلها اليها
ما لم تجذ عنها بالجواذب الالهيه من الزواجر والمواعظ المذكره فالغفله
عن جذبها وتبسمها من مساعد الطبيعه بتذكر وعد الله ووعيده يستلزم
اهمالها للاعمال الصالحه التي يلزمها ربح السعاده الاخرويه والحصول
على تركها وذلك هو الخسران المبين الثالثه ومن خاف امن اي من
عذاب الله على الخلاص منه ليامن لحوقه الرابعه ومن اعتبر ابصر
اي من نظر مواقع العبره بعين فهم ذلك حصل له العلم النافع بالحق
وقال عليه السلم لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس
على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين الضروس الناقه سيئة الخلق
تعض حالبها لتبقي لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار لفظ
الشماس للدنيا باعتبار اعلادها المنعه عليه السلم منها ملاحظة لشبهها
بالفرس الذي يمنع ظهره ان يركب وشبه عطفها بعد ذلك عليهم واعلادها
لتمكينهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة
العطف والاستشهاد بالاية ظاهر وقال اتقوا الله تقية من شمر

[illegible]

تجريدًا وجد تشميرًا واكمش في مهل وبادر عن وجل ونظر في كرة
الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع اكمش اسرع والمهل الامهال
والكرّ الرجعة والموئل الملجا والمغبة العاقبة واراد اتقوا الله كتقية
من شمّر عن ساق الجد في طاعة الله وجرد نفسه لمرضاته تشميرًا وسارع
بالاعمال الصالحة ما دام في مهلة الحياة الدنيا وبادر مغفرته في
وجل من ثمرات سيئاته وفكر في عوده الى الملجا الاول الذي منه بدا
وهو حضرة الربوبية وكذا عاقبة المصدر الذي الحاصل منه وقال
عليه السلم ثلث عشرة كلمة احدها الجود حارس الاعراض واستعار
له لفظ الحارس باعتبار ان الجود يقي عرض صاحبه من السب كالحارس
الثانية والحلم فدام السفيه والفدام ما يسد الجرة من فمه واستعار
لفظه للحلم باعتبار ان الحليم اذا قابل السفيه بحلمه عن عقوبته سكت
عنه وانقطع عن سفهه في حقه فاشبه الفدام له الثالثة العفو
زكاة الظفر استعار لفظ الزكوة للعفو باعتبار انه فضيلة تستلزم
زيادة الثواب في الاخرة وحفظه في ذلك شبه الظفر بالمال الواجب زكوته
وهو ترغيب في العفو الرابعة والسلو عوضك ممن غدر وهو
امر للانسان بالسلو عن الهم بسبب غدر من يطلب وفاه ورغب
فيه بكونه عوضا منه ونعم العوض الخامسة والاستشارة عين
الهداية الاستشارة طلب اصلح الاراء في الامر وهي مستلزمة للهداية
اليها وجعلها عينها تاكيدا لقوة استلزامها لها السادسة وقد خاطر
من استغنى برايه اي اشرف على الهلاك من استبد برايه لان ذلك مظنة الخطا
المستلزم للهلاك وقد مر مثله السابعة والصبر يناضل الحدثان

استعار لفظ المناضلة للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في
المصائب الماسة والجزع من اعوان الزمان وذلك ان الزمان معد للهدم
والفناء والجزع يعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى
ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس بالكمالات النفسانية من الحكمة ومكارم
الاخلاق وهو مستلزم لترك المنى والاحتياج اجتماعه مع المنى المستلزم
للحوائج اذ هو اشتغال النفس بما لا ينبغي عما ينبغي وللافراط في محبة
الدنيا مع كثير من الرذائل كالحرص والحسد والشره ونحوها فلزم من ذلك
امتناع اجتماع الضدين الفضيلة والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير
عند هوى امير العقل اما ان يقوى على قهر النفس الامارة بالسوء ويمنعها
حسب ما يراه او يقاومها كالمصارع لها فمرة له ومرة عليها او يكون مقهورا
مغلوبا لها والاول هو العقل المطيع لله القوي بامره ويلحقه الثاني
من وجه واما الثالث فهو العاصي بانقياده لهواه فهو كالاسير له
وهو القسم الاكثر في عالم الانسان لحضور اللذات الحسية دون العقلية
فلذلك اخبر عنه بكم الحادية عشر ومن التوفيق حفظ
التجربة اي لزومها ومداومتها لفائدة الانتفاع بها وظاهر ان ذلك من
توفيق الله اي تسهيله لاسبابها وتقديره لتوافقها في حق العبد الثانية
عشر والمودة قرابة مستفادة لان القرابة اسم من القرب وهو اما ان يكون
اصليا كقرب النسب او مستفادا مكتسبا كقرب الصداقة والمودة ه
الثالثة عشر ولا تامنن ملولا لان الملول تسرعه ملالته عن الثبات
على الصداقة والعهد وكتمان السر ونحوها في الخصم اذ لا يؤمن على شيء من
ذلك وقال عليه السلم عجب المرء بنفسه احد حساد عقله

استعار له لفظ الحاسد باعتبار انه يؤثر في منع العقل من ازدياد الفضيلة
والاستكثار منها كما يؤثر الحاسد بحسده في حال المحسود وتنغيصه ه
وقال اغض على القذى والالم ترض ابدا الاغضاء على القذى كناية عن كظم
الغيظ واحتمال المكروه وهو فضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة
الدنيا ممزوجة بالمكاره لم يخل الانسان في اكثر احواله من ورودها عليه
فما لم يقابلها بالاحتمال بالتسخط والغضب لزم بها الم من اسخاطها له
بغصته لدوام ورود المكاره عليه وقال من لان عوده كثفت
اغصانه استعار لفظ العود لطبيعته وكنى بلينه عن التواضع وكذلك
استعار لفظ الاغصان للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه
وكثرتهم وقوته بهم والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع ولين
الجانب كثرت اعوانه واتباعه وقوي باجتماعهم عليه وقال الخلاف
يهدم الراي واصله ان راي الجماعة يجتمع على امر يكون المصلحة فيه فيقع
فيه من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجتمعوا عليه وراوه من المصلحة
كما راى عليه السلام هو وجماعة من اصحابه دفع اهل الشام للمصلحة صبيحة
ليلة الهرير من ايام القتال وهو المصلحة فهدم ذلك الراي من خالفه
من اصحابه حتى وقع بذلك ما وقع وقال من نال استطال اي من نال
ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان او مال استطال بسبب ذلك
اي كان في مظنة ان يستطيل على غيره بما ناله فاما ما بالفعل معا بالوجه
ويصدق بالفعل ايضا ان كلام الخطيب مطلق يصدق ولو مرة والكلمة تجري
مجرى المثل وقال في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب احوال
الدنيا على المرء كرفعه بعد اتضاعه وبالعكس وكزوال السداد بدله يفيد

العلم التجربي باحواله الباطنة من خير وشر وجلادة وضعف وفضيلة
ورذيلة ونحوه ما قيل الولايات مضامير الرجال وقال حسد الصديق
من سقم المودة الخالصة تستلزم ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد
لنفسه ويكره له ما يكرهها والحسد ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال
الخير عن المحسود فمودة الحاسد اذن مدخولة غير صحيحة وهو المراد
بسقمها وقال اكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع العقل من
شانه الذي ينبغي له ان يقاوم النفس الامارة ويكسرها ويصرفها بحسب
ارائه الصالحة ومن شان النفس مجاذبة العقل وغروره بزينة الحياة
الدنيا وقيناتها واطماعه بها فالعقول الضعيفة عن المويد من الله اكثر
ما تنخدع وتصرع في حربها للنفوس الامارة اذا لاح لها مطمع وهمي من
الدنيا فاستعار لفظ المصارع للعقول ملاحظة لقهرها عن النفوس واستعمالها
فاشبهت في الذلة والانقياد لها وترك منعها منها من احد صرعه من الحرب
وكذلك استعار لفظ البروق للمطامع من تصور المطموع فيه وكثيرا
ما يشبه العلوم والخواطر الوهمية بالبروق للطافة ضيائه وسرعة حركته
وانما قال تحت لان المصارع من شانها ان يكون تحته ه وقال ليس من العدل
القضاء على الثقة بالظن اي من كان عندك ثقة معروفا بالامانة فحكمك
عليه بالخيانة عن ظن خروج عن العدل وهو رذيلة الجور وقال بئس
الزاد الى المعاد العدوان على العباد لان الظلم رذيلة عظيمة متعدية الاذى
مستلزمة للشقاء الاشقى في الاخرة فهي بئس الزاد اذن ولفظ الزاد مستعار
باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس الى الاخرة كالزاد وقال من
اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله واغضاؤه عما يعلم من معايب

الناس ومن هفواتهم لاستلزام ذلك فضائل كاحتمال المكروه والحلم والعفو
والصفح وكلها فضائل يلزم الكرم لانه قد يراد به امساك الانسان عن المبادرة
الى قضاء وطر الغضب فيمن يغضبه وما استلزم هذه الفضائل فهو من اشرف
الافعال وقال من كساه الحيا ثوبه لم ير الناس عيبه استعار لفظ الثوب لما
يشتمل الانسان من الحيا ورشح بذكر الكسوة والمراد ان فضيلة الحيا تستلزم
ترك المعايب فلا يرى في صاحبه او ان ارتكب ما يعاب به من الرذايل كان
على غاية من التستر به والاجتهاد في اخفايه وهو مظنة ان لا يراه الناس
وقال بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر المواصلون وبالافضال
تعظم الاقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال المؤن يجب السؤدد وبالسيرة
العادلة يقهر المناوي وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه اشار عليه
السلام الى سبع فضائل ورغب في كل منها بما يستلزمه من الخير احدها
كثرة الصمت ويلزمها كون الصامت مهابا في اعين الناس لان الصمت من
توابع العقل غالبا ومهابة اهل العقل ظاهرة فان عرف ذلك من صمت
الصامت عن عقل كانت مهابته اوكد وان لم يعرف حاله كانت مهابته
لتجويز ان يكون عن كمال عقله وقد يعرف انه لنقصان في غريزته وعيه عن
الكلام ويحترم مع ذلك لعدم اختلاطه في القول الثانية النصفة وهي فضيلة
العدل ورغب فيها بما يلزمها من كثرة الواصلين لان قلة الانصاف مستلزمة
للفرقة وقطع الالفة كما قال ابو الطيب

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

الثالثة الافضال على الخلق بما يحتاجون اليه ويلزمه علو الاقدار وعظمها
لتعين الحاجة الى المتفضل ومحبته الرابعة التواضع ويلزمه تمام النعمة بكونه

الاخوان واهل المودة لان فضيلة التواضع نعمة وما يلزمها كالتمام
لها الخامسة احتمال المؤن ويلزمه السؤدد لان احتمال مؤن الخلق يستلزم
فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه وبحسب ذلك تحصل محبة الخلق
من المحتمل غير مشوبة بشيء من كدر المقابلة مردودة ونحوها ويكبر
تعظيمهم له ويقوى امره وسؤدده فيهم السادسة السيرة العادلة ويلزمها
قهر المناوي والمناواة المعاداة وذلك ان العدو لا يجد لصاحب السيرة العادلة
عيبا يستظهر به عليه ويسعى به في فساد امره فيبقى مقهورا مأمورا
السابعة الحلم عن السفيه ويلزمه كثرة الانصار عليه وقد
مر بيانه وقال العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد لان
الغالب ان الحسد انما يكون على الغنى والجاه وساير قنيات الدنيا فترك
الحساد الحسد لصحة الجسد مع كونها اكثر نعم الدنيا محل التعجب والفرق
ان تلك نعم مشاهدة تقل الغفلة عنها وتنفرد المحسود بها واكثر النوع
على الحاسد يكون بها فاما نعمة الصحة فمع شمولها تكثر الغفلة عنها ومشتركة
وقال الطامع في وثاق الذل استعار لفظ الوثاق للذل المقيد
له في طاعة المطموع فيه وقد مر مثله في قوله رق مؤبد وقال
الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان الاركان الاعضاء وهي
المساجد الخمسة واراد الايمان الكامل وقال من اصبح على الدنيا حزينا فقد
اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما اصبح يشكو ربه
ومن اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرا القران فمات فدخل النار فهو
ممن كان يتخذ ايات الله هزوا ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلث
هم لا يغبه وحرص لا يتركه وامل لا يدركه اشار الى خمس خصال ينفر

عن كل منها بما يلزمه من الشر احدها الجزع على فايت الدنيا يلزمه
سخط العبد لقضاء الله لان فوت ذلك كان بقضاء منه وسخط قضائه كفر
الثانية شكوى المصيبة يلزمها الشكوى من الله لانه تعالى هو المبتلي بها
الثالثة التواضع للغني باعتبار غناه يلزمه ذهاب ثلثي دين المتواضع
لوجوه احدها ان مدار الدين على كمال النفس الانسانية بالحكمة وكمال القوة
الشهوية بالعفة وقوة الغضب بالشجاعة ولما كان التواضع للغني من جهة
غناه يستلزم ميلا الى محبة الدنيا والخروج عن فضيلة الشهوة الى طرف
الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج عن الحكمة التي مسماها
عن وضع كل شي موضعه وهي فضيلة النفس الناطقة كان خارجا عن فضيلتي
هاتين القوتين وهما ثلثا الدين الثاني ان مدار الدين على الاعتقاد بالقلب والاقرار
باللسان والعمل بالاركان ومن شان المتواضع للغني لغناه اشغال لسانه بمدحه
وشكره واشغال جوارحه بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره فهو مهمل
لثلثي دينه الثالث ان التواضع للغني لغناه يستلزم حب الدنيا وحبها
راس كل خطيئة فاستعمل عليه السلام لفظ الثلثين هنا في الاكثر مجازا اطلاقا
لاسم الملزوم على لازمه الرابعة كون قراءة القران مع دخول النار مستلزما
لكون القاري ممن كان يتخذ ايات الله هزوا وذلك ان قراءة القران لله باخلاص
والعمل بمقتضاه يستلزم دخول الجنة وعدم دخولها ودخول النار يستلزم
عدم الاخلاص في قراءة القران وعدم العمل به فيكون في قراءته اذن كالمستهزي بايات
الله اذ شان المستهزي ان يقرا ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعار له لفظ المستهزي
الخامسة ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط اي اختلط منها بثلث
وجه لزوم الثلثة للحرص والولوع بها ان حبها يستلزم الجد في طلبها وجمعها

ولما كان حصولها مشروطا باسباب مقدورة للعباد واسباب غير
مقدورة والمقدورة منها قد لا يكون مقدورة للطالب كانت لكنها
يكون سعيه منه لتوقفها على اسباب كثيرة او غيره لا جرم يلزمه الحزن
غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اي لا ياتيه غبا وهو يوم لا ويوم نعم
ثم في حفظها وخوف فوتها والحرص على استخراجها من وجوهها
وطول الامل في وجوه مكاسبها وانتاجها وتجاراتها وعماراتها ونبه على طوله
بقوله لا يدركه وتفرعه بذلك وقال كفى بالقناعة ملكا وبحسن
الخلق نعيما استعار لفظ الملك للقناعة لان غاية الملك الغنا عن الخلق
والترفع عليهم بذلك مع الالتذاذ به والقناعة مستلزمة لهذه الغايات
وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامهما للالتذاذ
بهما وسيل عن قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة
ففسرها بلازمها وهو الحيوة الطيبة وقال شاركوا الذي قد اقبل
عليه الرزق فانه اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ اخلق واجدر اي اولى
ولما كان اقبال الرزق بتوافق اسبابه في حق من اقبل عليه كانت مشاركته
مظنة اقبال حظ الشريك على اقبال الرزق عليه بمشاركته ورغب فيها
بضمير صغراه قوله فانه الى اخره والضمير في قوله فانه يعود الى ما دل
عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك ففعله مصلحة
وقال في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان العدل الانصاف
والاحسان التفضل وهو تعريف لفظ بلفظ اوضح منه عند السامع وقال
من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وذلك اشارة الى قوله تعالى
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا

يضاعفه لكم واستعار لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء وكنى بالقصر
والطول عن القلة والكثرة وقال لابنه الحسن عليهما السلم
لا تدعون احدا الى مبارزة وان دعيت اليها فاجب فان الداعي باغ والباغي
مصروع ونفر عن الدعوة الى المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول
هو قوله فان الداعي الى قوله مصروع وبيانه ان الداعي الى المبارزة خروج عن
فضيلة الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو بغي وعدوان
لانه خروج عن فضيلة العدل في القوة الغضبية واما ان الباغي مصروع
في غالب الاحوال لاستعداده بنفسه كذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة
وقال خيار خصال النسا شرار خصال الرجال الزهو والجبن
والبخل فاذا كانت المراة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المراة
بخيلة حفظت مالها ومال بعلها واذا كانت المراة جبانة فرقت من كل
شي يعرض لها لان الاخلاق الثلثة المذكورة رذايل الرجال وهي فضايل للنساء
وبيان كونها فضايل هو ما ذكره عليه السلم والمزهوة المتكبرة ولا معنى
النقل من الزهو الا للمفعول به يقال زهي الرجل وزهيت المراة فهي مزهوة
والفرق الخوف وقيل له عليه السلم صف لنا العاقل فقال هو
الذي يضع الشي مواضعه فقيل فصف لنا الجاهل فقال قد فعلت يعني
عليه السلم هو الذي لا يضع الشي مواضعه فكان ترك صفته صفة له الجاهل
اذ كان بخلاف وصف العاقل عرف العاقل بخاصة من خواصه ولما كان
الجاهل عدم ملكة العاقل كان تعريفه بما يقابل خاصة العاقل تعريفا
بالمناسب وهو خاصة ايضا من خواص الجاهل وقال عليه السلم
والله لدنياكم هذه اهون عندي من عراق خنزير في يد مجذوم عراق

جمع عرق وهو جمع غريب كتوأم وتؤام وهو العظم يسحت عنه اللحم
وذلك مبالغة في هوان الدنيا وحقارتها في عينه ونفرته عنها لان
العرق لا خير فيه فاذا انا كان كونه من خنزير ثم كونه في يد مجذوم بلغت
النفرة منه الغاية وقال عليه السلم ان قوما عبدوا الله رغبة
فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد
وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار قسم عليه السلم
عبادة العابدين بحسب اغراضها الى ثلثة وهي عبادة الرغبة وعبادة
الرهبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة التجار باعتبار انهم
يستعيضون عنها ثواب الاخرة ويطلبونه بها فهم في حكم التجار
المكتسبين للارباح والثانية عبادة العبيد في الدنيا لان خدمتهم
لساداتهم اكثر ما تكون رهبة والثالثة عبادة الشاكرين
وهم الذين يعبدون الله لله لا للرغبة ولا للرهبة بل لانه مستحق
العبادة وهي عبادة العارفين واشار اليها عليه السلم في موضع آخر فقال
الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في ثوابك ولكن وجدتك
اهلا للعبادة فعبدتك وقال المراة شر كلها وشر ما
فيها انه لا بد منها ولما كان احوالها كلها شرا على الرجل اما من جهة
مؤونتها فظاهر واما من جهة لذتها واستمتاعه بها فلاستلزام
ذلك البعد عن الله تعالى والاشتغال عن طاعته واسباب الشر
شرور وان كانت عرضية ولما كان كونها لا بد منها اعني وجوب الحاجة
اليها في طبيعة الوجود الدنيوي هو السبب في تحمل الرجل للمراة ووقوعه
في شرورها حسن ان يكون ذلك الاعتبار اقوى الشرور المتعلقة بها لان

السبب أقوى من المسبب * وقال من أطاع التواني ضيّع الحقوق
ومن أطاع الواشي ضيّع الصديق الانقياد في سلك التواني عن الحقوق
المطلوبة يخرجها عن وقت الفرصة لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها
وكذلك الواشي مظنة السعي بالفساد بين المتصادقين فطاعته مظنة
مظنة وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما لصاحبه * وقال
الحجر الغصب في الدار رهن على خرابها استعار لفظ الرهن للحجر المغصوب
في دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما أن الرهن سبب لأداء ما عليه
من المال وهو كناية عن مطلق استلزام الظلم لهلاك الظالم وخراب ما
بنيه بظلم وإن تأخر أمده وقد عرفت كون الظلم معدا لذلك ونحوه
قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا الحرام في البنيان فإنه أساس
الخراب * وقال يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم
على المظلوم وأراد بيوم المظلوم يوم القيمة وخصصه به لأنه يوم
انصافه وأخذ حقه وكذلك خصص يوم الظالم بوقت ظلمه لأنه في الدنيا
له * وقال اتق الله بعض التقى وإن قل واجعل بينك وبينه سترا
وإن رق أمر بالتقوى لأنها الزاد إلى الله ولما كان الاستكثار منها مستلزما
للقرب من الله وسرعة الوصول إليه كان الأولى كثرتها وإلا فالبعض منها
وإن قل لأنها قابلة للأقلية والأكثرية والأشدية والأضعفية ولا
يجوز ترك الزاد الكلية في الطريق الصعبة الطويلة واستعار لفظ
الستر لحدود الله الساترة من عذابه وأمر أن يجعلها بينه وبينه أي
يحفظ حدوده ولا يهتكها فيقع في مهاوي الهلاك وغلظ الستر شدة المحافظة
على حدود الله وعدم استيفاء المباحات لخوف الوقوع في الحرام دونه

باستيفاء الأمور الجائزة من المباحات في المكروهات * وقال إذا
ازدحم الجواب خفي الصواب أي إذا سأل سائل عن مسألة فأجاب جماعة كل بما
يخطر له في المسألة أو تحصل بعدة من الأجوبة خفي الصواب فيها لالتباس
الحق من تلك الأجوبة وأكثر ما يكون ذلك في المسائل الاجتهادية
وازدحامه لكثرته * وقال إن لله في كل نعمة حقا فمن أداه زاده منها
ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله في النعمة شكرها الواجب
وأما استلزام أدائه للمزيد منها وكون التقصير عنه مظنة زوالها فلقوله
تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم الآية ورغب في الشكر ونفر عن الكفران بذكر
كون ذلك حقا لله وقد مر بيانه مرارا * وقال إذا كثرت المقدرة قلت
الشهوة لأن قليل المقدرة على ما تشتهيه لا يزال مستشعر الخوف فواته
عند حصوله فيكون ذلك الخوف مغاقا للذاته فلا يزال في قلبه دغدغة
نفسانية تحمله على مشتهاه وتبعث شهوته عليه أما إذا أمن تعذره
عليه فإنه يأمن فوته وبحسب ذلك يضعف الباعث للشهوة فيقل
لحاجة عليه وشهوته له * وقال احذروا نفار النعم فما كل شارد
بمردود استعار لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها
بالنعم وحذر منه حثا على تقييدها بالشكر ونبه على وجوب ذلك الحذر بقوله
فما كل الخ وهو صغرى ضمير تقديرها الشارد جاز أن لا يرد وتقدير كبراه
وكل ما جاز أن لا يرد لم يحسن تسييبه * وقال الكرم أعطف من الرحم
أي أشد عطفا وفهم منه أحد معنيين الأول أن الكريم بكرمه أعطف
على المنعم عليه من ذي الرحم على ذي رحمه لأن عاطفة الكريم طبع وعاطفة
ذي الرحم قد تكون تكلفا وقد لا تكون أصلا والثاني أن الكرم يستلزم عاطفة

الخلق على الكرم ومحبتهم له أشد من عاطفة ذي الرحم على رحمه وقال من ظن بك خيراً فصدق ظنه أي افعل ما ظنه فيك من خير وتصديق الظن مطابقتها للواقع الذي ظن وقوعه بوقوعه وذلك حث على فعل الخير وقال أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه أراد من الأعمال الصالحة وأفضلها نفعها وأكرهها أسلمها للثواب وإنما كان كذلك لأن فائدة الأعمال الصالحة تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة للعقل وإكراه النفس على الأمر يكون لشدته فكلما كان أشد كان أقوى في رياضتها وأنفع في تطويعها وكثرها بحسب ذلك يكون أكثر منفعة فكان أفضل ونحوه من الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأعمال أحمزها بالزاي المعجمة أي أشقها وقال عرفت الله بحل العزائم وفسخ العقود أراد معرفة وجوده تعالى ووجه الاستدلال أن الإنسان قد يعزم على أمر ويعقد ضميره على فعله بحسب ما يتصوره من المنفعة الداعية إليه ثم عن قريب ينحل ذلك العزم وينفسخ ذلك العقد لزوال ذلك الداعي أو لخاطر معارض له إذا عرفت ذلك فنقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الأمر المعزوم عليه أمور ممكنة محتاجة في طرفي وجودها وعدمها إلى المرجح والمؤثر فمرجحها إن كان من العبد كان الكلام فيه كالكلام في الأول ولزم الدور أو التسلسل وهما محالان فلابد من الانتهاء إلى الله تعالى مقلب القلوب والأبصار وذلك هو المطلوب وقال مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة أي مستلزمة لها واستعار لفظ الحلاوة والمرارة للذة والألم وظاهر أن آلام الدنيا اللازمة عن ترك لذاتها وعدم الالتذاذ بها طلباً للآخرة وشوقاً إلى ثوابها مستلزمة لحلاوة الآخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج بلذات الدنيا يستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها وذلك يستلزم

لعذابها ومستعقب لشقاوتها وقال فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك والصلاة تنزيهاً عن الكبر والزكاة سبباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد عزاً للإسلام والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء وصلة الرحم نماء للعدد والقصاص حقناً للدماء وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة وترك الزنا تحصيناً للنسب وترك اللواط تكثيراً للنسل والشهادات استظهاراً على المجاحدات وترك الكذب تشريفاً للصدق والسلام أماناً من المخاوف والإمامة نظاماً للأمة والطاعة تعظيماً للإمامة أشار عليه السلام إلى فرائض الله ونبه على عللها الغائية في الحكمة ليكون أوقع لذكرها في النفوس وذكر منها تسع عشرة فريضة الأولى بدأ بالإيمان لأنه الأصل لجميع الفرائض والسنن وجعل من أغراضه التطهير عن الشرك فلما كان للتطهير من الشرك غاية مطلوبة للشارع هي كمال النفس بمعرفة الله تعالى كان التطهير غاية عرضية من الإيمان الثانية الصلاة ولما كان وضعها لتطويع النفس الأمارة التي هي مبدأ الكبر للنفس المطمئنة ورياضتها وقهرها لا جرم كان من غاياتها تنزيه الإنسان عن الكبر الثالثة الزكاة وذكر من غاياتها العرضية كونها سبباً للرزق إذ كان منها سد خلة الفقراء والمساكين ومن عناية الشريعة حفظاً له الرابعة الصيام ولما كان من الشدائد الشاقة على الأبدان خصه بأن غايته كونه ابتلاء من الله لإخلاص خلقه وإن كانت هذه غاية من كل العبادات الخامسة الحج وإنما جعل غايته كونه تقوية للدين لأنه عبادة تستلزم اجتماع أكثر أهل الملة في مجمع واحد على غاية من الله والخضوع والانقياد لله ومشاهدة كل

من الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فتاكد في قلبه
قوة الدين وعظمته دون ساير العبادات السادسة الجهاد وكون
غايته عز الاسلام وقوته ظاهرة السابعة الامر بالمعروف وغايته
اصلاح احوال العالم في معاشهم ومعادهم وخص العلم لانهما اغلب الخلق
ولان من عداهم هم العلماء والولاة الامرون بالمعروف فيه العاملون له
الثامنة النهي عن المنكر وكون غايته ردع السفهاء لما مر لان
السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين يكثر مفسدته المضادة لمصلحة
العالم التاسعة صلة الارحام ومن غاياتها كونها منماة للعدد اي عدد
اولي الرحم اذ زيادة عددهم باستقامة امر معاشهم وصلة الرحم سبب
لذلك العاشرة القصاص وغايته حقن الدماء والكف عن سفكها
لخوف المكافاة كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقولهم القتل
انفى للقتل الحادية عشر اقامة حدود الله وغايتها اعظام حرمات
الله كيلا تستهلك ويتجرى الخلق اليها عن قصد السبيل فيضيع غرض
الشارع من وضع الدين الثانية عشر ترك شرب الخمر وغايته حفظ
العقل من مخامرة غائلة واشتغاله عما خلق له من طلب الاستكمال بكمال الحكمة
الثالثة عشر مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة اذ السرقة تنشا
عن كمال طاعة الشهوة والعبور فيها الى حد الافراط والفجور وكان من
غايات تحريمها وقوف من في طاعته ذلك على حد العفة الرابعة
عشر ترك الزنا ومن غاياته حفظ الانساب وما يتبعها من المواريث
فان الزنا يوجب اختلاط الانساب وضياع الاموال التي هي قوام الخلق في
الدنيا وقد سبق سره الخامسة عشر اللواط وغايته تكثير النسل
ترك

وتوفير مادته على حاله لغاية تكثير النوع وبقائه السادسة عشر
الشهادات وغايتها استظهار المستشهد على مجاحدة خصمه كيلا
يضيع حقه لو لم يكن بينهما شاهد السابعة عشر ترك الكذب ومن
غاياته تشريف الصدق وتعظيمه بتحريم ضده لبناء مصلحة العالم عليه
ونظام امور الخلق به وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة لتحريمه
الثامنة عشر الاسلام ومن غاياته الامن من مخاوف الدنيا بصولة
الاسلام على ساير الاديان ومن مخاوف الاخرة وهو ظاهر وروى السلم ولما
كان سببا للتودد الى الخلق كان امانا من مخاوفهم التاسعة عشر
الامامة وغاية فرضها كونها نظاما لامر الامة اذ الخلق متى كان لهم رئيس
مبسوط اليد قوي الشوكة يردع الظالم عن ظلمه وياخذ للمظلوم بحقه
كان بذلك صلاح احوالهم ونظام امورهم في معاشهم ومعادهم ولا كذلك اذا لم
يكن لهم مثل ذلك الرئيس العشرون طاعة الامام وغاية فرضها
تعظيم امامة الامام لغاية امتثال الخلق لقوله والاقتداء به وقد سبقت الاشارة
الى اسرار كثيرة من هذه الفرائض متفرقة وقال عليه السلام
احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه بريء من حول الله وقوته فانه اذا حلف
بها كاذبا عوجل واذا حلف بالله الذي لا اله الا هو لم يعاجل لانه قد وحد
الله سبحانه يريد الجهد باكد اليمين على مثل ما ذكره عليه السلام الغاية
نكول الكاذب عنها واداء الحق وذلك ان النفس الكاذبة تنفعل عن مثل هذا
اللفظ لعلمه بظلمه وتوهمه تصديق الله تعالى بمطابقته لقوله فيفعل
المدعو به بخلاف اليمين المغلظة فيستبعد بذلك معاجلته بالعقوبة
وروى ان واشيا سعى بالصادق عليه السلام الى المنصور فاستحضره وقال

ان فلانا ذكر عنك كذا وكذا فقال له عليه السلم لم يكن ذلك مني واني التاعي
الا كونه منه فحلفه الصادق عليه السلم بالبراءة من حول الله وقوته ان كان
كاذبا فحلف فما انقطع كلامه حتى اصيب بالفالج فصار كقطعة لحم فجر برجله
فنجا الصادق منه ٥ وقال عليه السلم يا ابن آدم كن وصي نفسك واعمل
في مالك ما تؤثر ان تعمل فيه من بعدك اي كما توصي من بعدك اي تضع مالك
مواضع القربات مع انقطاع املك به فكن انت في ذلك الوصي وضعه تلك
المواضع في حياتك وهو حث على بذل المال في وجهه وقال الحدة
ضرب من الجنون لما كان الجنون حالة مخصوصة تعرض للانسان بسبب خروج
القوى النفسانية عن قبول تصرف العقل الخطي في الافراط والتفريط وكانت
الحدة خروج قوة الغضب عن ضبط العقل لها على قانون العدل الى طرف
الافراط كانت قسما من الجنون وتنفصل الحدة بالرجوع في الغضب الى طاعة
العقل وقال صحة الجسد من قلة الحسد اي الحسد قد يكون انصبابا للصحة
كما يكون بغيرها فيفعل فيها وذلك هو الحسد البالغ وكانت صحة الجسد
دليلا على قلة الحسد اذ لم يتعلق بها وقال عليه السلم لكميل بن
زياد النخعي يا كميل مر اهلك ان يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من
هو نايم فو الذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا
خلق الله له من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نازلة جرى اليها كالماء
في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل ٥ الادلاج السير بالليل
والنايبة المصيبة واراد ان ادخال السرور على قلب ذي المصيبة الحاجة
يقتضيها يجعله الله سببا للطف به القاضي الحاجة ونفسه بها من
مصيبة تعرض له ويشبه ان يكون ذلك اللطف هو اخلاص ذي الحاجة ومتعلقيه

في الغداة ومخوسه بدعاء الله له وشكره وثنائه واستجلاب قلوب الخلق
بذلك له وكل ذلك لطف بعث الله لوقايته له وطرد المصيبات عنه
ويشبه جري ذلك اللطف الى دفع المكروه عنه جري الماء في انحداره ووجه
الشبه سرعة الانحدار الى الدفع والحفظ لانه من امر الله وما امرنا
الا واحدة كلمح البصر وكذلك شبه دفع ذلك اللطف للنايبة بطرد غريبة
الابل ووجه الشبه شدة الطرد والابعاد وباقي الفصل ظاهر ٥
وقال اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة فالاملاق الفقر وقد مر
ان الصدقة تعد للمزيد من فضل الله فامر الفقراء ان يتصدقوا بما عساه
يقع في ايديهم ولو شق تمرة ليستعدوا بذلك لافاضة فضل الله وغنيهم
في ذلك بذكر التجارة وهي استعارة لاستعاضتهم ما يحصل عما يبذل
والفقراء اولى باستجلاب الرزق بالصدقة من الاغنياء لانفعال القلوب
لهم ورقتها عليهم ولما يسبق الى اذهان الخلق ان ذلك منهم عن اخلاص
دون الاغنياء وقال الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله تعالى والغدر باهل
الغدر وفاء عند الله تعالى وذلك لان من عهد الله في دينه الغدر باهل الغدر
وعدم الوفاء لهم اذا غدروا لقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ
اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين قيل نزلت في يهود بني قينقاع
وكان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه عهد فعزموا على نقضه فاخبره الله تعالى
بذلك وامره بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا بعهد الله
والغدر بهم اذا غدروا وفاء بعهد الله ٥ قال السيد رحمه الله
فصل نذكر شيئا من اختيار غريب كلامه عليه السلم المحتاج الى
التفسير في حديثه عليه السلم فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه

فيجتمعون اليه كما يجتمع قزع الخريف قال السيد يعسوب الدين
السيد العظيم المالك لامور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التي لا ما فيها ٥
واقول الذي يقوله ذلك الجليل انا ذكرها في اخر الزمان لظهور صاحب
الامر واستعار له لفظ اليعسوب وهو في الاصل امير النحل ملاحظة لشبهه
به فاما ضربه بذنبه فقيل فيه اقوال احدها ان الضرب هو السير في الارض
وذنبه استعارة في اعوانه واتباعه والثاني انه لما كان ضرب
النحل بذنبه لسعه كنى بذلك عن نصب شوكته وسهامه في اعدائه لقتلهم واذاهم
الثالث انه كناية عن بوادره وغضبه لدين الله ملاحظة لشبهه بالسبع
حال صولته وغضبه وهذا الوجه اشبه الثلثة وشبه اجتماع المؤمنين واهل
طاعة الله اليه باجتماع قطع الغيم المتفرقة ووجه الشبه سرعة
الاجتماع لان قزع الخريف سريع التالف ٥ وفي حديثه عليه السلم هذا
الخطيب الشحشح قال السيد يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها وكل
ماض في كلام وسير فهو شحشح والشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك
روي انه راى خطيبا يخطب فقال يا هذا الخطيب الشحشح اي الماهر في
خطبته ٥ وفي حديثه عليه السلم ان للخصومة قحما قال السيد
يريد بالقحم المهالك لانها تقحم باصحابها في المهالك والمتالف في الاكثر ومن ذلك
قحمة الاعراب وهو ان تصيبهم السنة فتتعرق اموالهم فذلك تقحمها فيهم
وقد قيل فيه وجه اخر وهو انها تقحمهم بلاد الريف اي تحوجهم الى دخول
بلاد الحضر عند محول البدو واقول يروى انه عليه السلم وكل اخاه
في خصومة وقال ان لها قحما وان الشيطان يحضرها والقحم المهالك وكنى بها
مظنة ثوران القوة الغضبية والخروج عن حد العدل فيها الى رذيلة

الافراط التي هي مظنة المهالك ٥ وفي حديثه عليه السلم فاذا بلغ
النسا نص الحقايق فالعصبة اولى ويروى نص الحقاق ٥ قال السيد
والنص منتهى الاشياء ومبلغ اقصاها كالنص في السير لانه اقصى ما تقدر
عليه الدابة وتقول نصصت الرجل عن الامر اذا استقصيت مسالته
عنه لتستخرج ما عنده فيه فنص الحقاق يريد به الادراك لانه منتهى
الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير الى حد الكبير وهو من افصح الكنايات
عن هذا الامر واغربها تقول فاذا بلغ النسا ذلك فالعصبة اولى بالمراة
من امها اذا كانوا محرما مثل الاخوة والاعمام وبتزويجها ان ارادوا
ذلك والحقاق محاقة الام للعصبة في المراة وهو الجدال والخصومة
وقول كل واحد للاخر انا احق منك بهذا ويقال منه حاققته حقاقا
مثل جادلته جدالا وقد قيل ان نص به الحقوق والاحكام ومن
رواه نص الحقايق فانما اراد جمع حقيقة وهذا المعنى ما ذكره ابو عبيد
القسم بن سلام والذي عندي ان المراد بنص الحقاق ههنا بلوغ المراة
الى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها تشبيها بالحقاق
من الابل وهي جمع حقة وحق وهو الذي استكمل ثلث سنين ودخل في الرابعة
وعند ذلك يبلغ الى الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره
والحقايق ايضا جمع حقة فالروايتان جميعا ترجعان الى معنى واحد وهذا
اشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور اولا واقول الذي ذكره السيد
انسب الى كلام العرب كما قال غير ان نص الحقاق استعارة بعد التشبيه
والعصبة بنو الرجل وقرابته لابيه سموا بذلك لانهم عصبوا به وعلقوا عليه
وقيل يحتمل ان يراد بالنص الارتفاع يقال نصت الظبية راسها اذا رفعته

ومنه منصة العروس لارتفاعها عليها وكون قد استعار لفظ الحقاق
لاثدا الصغيرين اذا نهدت وارتفعت لشبهها بالحقة صورة اي اذا
بلغن حد ارتفاع اثدائهن كانت العصبة اولى بهن من الام لانه وقت
ادراكهن وعلامة صلاحيتهن للتزويج ٥ وفي حديثه ان الايمان يبدوا
لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة قال السيد
اللمظة مثل النكتة او نحوها من البياض ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته
شي من البياض واقول اراد ان الايمان وهو التصديق بوجود الصانع
تعالى اول ما يكون في النفس يكون حاله ثم لا يزال يتاكد بالبراهين والاعمال
الصالحة الى ان يصير ملكة تامة ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من
نور الايمان في النفس اول كونه ملاحظة لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من
نور الشمس ونصب لمظة على التمييز والجملة وقال وفي حديثه عليه السلم
ان الرجل اذا كان له الدين الظنون يجب عليه ان يزكيه لما مضى اذا قبضه ٥
قال السيد والظنون هو الذي لا يعلم صاحبه ايقبضه من الذي هو عليه ام لا
فكان الذي يظن به تارة يرجوه وتارة لا يرجوه وهذا من افصح الكلام وكذلك كل
امر تطلبه ولا تدري على اي شي انت منه فهو ظنون وعلى ذلك قول الاعشى

ما يجعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر

فالجد البير والظنون التي لا تعلم ابها ما ام لا ه قيل يقول عليه السلم اذا
كان لك مثلا عشرون دينارا دينا على رجل وقد اخذها منك ووضعها كما هي من
غير تصرف فيها وانت تظن ان استرددتها منه وردها اليك فاذا مضى
عليها احد عشر شهرا واستهل هلال الثاني عشر وجبت زكاتها عليك والحب

في قول الاعشى هو السحاب المصوت ذو الرعد واراد بالفراتي الفرات
والبا للتاكيد كقولهم والدهر بالانسان دواري اي دوار
ويحتمل ان يريد النهر الفراتي والبوصي ضرب من صغار السفن والماهر
السابح ومراده انه لا تقاس البير الذي يتشكك هل فيه ما ام لا البتة
بالفرات اذا ما طما وهو كالمثل للعدم مساواة البخيل للكريم ٥ وفي
حديثه عليه السلم انه شيع جيشا يغزيه فقال اعذبوا عن النسا ما
استطعتم قال السيد ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل
القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد الحمية
ويقدح في معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الابعاد
في الغزو وكل من امتنع عن شي فقد اعذب عنه والعاذب والعذوب
الممتنع عن الاكل والشرب وقوله يفت في عضد الحمية كناية
عن كسرها ٥ وفي حديثه عليه السلم كالياسر الفالج ينتظر اول
فوزة من قداحه قال السيد الياسر هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور
والفالج القاهر الغالب عليهم يقال قد فلج عليهم وفلجهم قال الراجز
لما رايت فالجا فلجا اقول قد مر شرحه في قوله اما بعد فان
الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر ٥ وفي حديثه عليه السلم كنا
اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلم يكن احد منا اقرب
الى العدو منه قال السيد ومعنى ذلك انه اذا عظم الخوف من العدو واشتد
عضاض الحرب فزع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بنفسه
فينزل الله تعالى النصر عليهم به ويامنون مما كانوا يخافونه بمكانه وقوله
عليه السلم اذا احمر الباس كناية عن اشتداد الامر وقد قيل في ذلك اقوال

احسنها انه شبه حمي الحرب بالنار التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها
ولونها ومما يقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد رأى
مجتلد الناس يوم حنين وهو حرب هوازن الآن حمي الوطيس والوطيس
مستوقد النار فشبه صلى الله عليه وآله وسلم ما استحر من جلاد القوم باحتدام
النار وشدة التهابها واقول ووصف احمرار البأس لشدته
ملاحظة لتشبيهه بالنار الموقدة وقد مر مثل ذلك في بعض كتبه عليه السلم
لما بلغه اغارة اصحاب معوية على الانبار فخرج بنفسه ماشيا حتى اتى
النخيلة فادركه الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال
عليه السلم والله ما تكفوني انفسكم فكيف تكفوني غيركم ان كانت الرعايا قبلي
لتشكو حيف رعاتها فانا اليوم لاشكو حيف رعيتي كانني المقود وهم القادة
او الموزوع وهم الوزعة فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاره
في جملة الخطب تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما اني لا املك
الا نفسي واخي فمرنا بامرك يا امير المؤمنين ننفذ له فقال واين تقعان مما
اريد اقول هذا الفصل قد مر مشروحا في الخطب وقيل ان
الحرث بن حوط اتاه عليه السلم فقال اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة
فقال عليه السلم يا حار انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت انك لم تعرف
الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل فتعرف اهله وفي نسخة فتعرف من
اتاه فقال الحرث فاني اعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر فقال
عليه السلم ان سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل وقوله
اتراني استفهام انكار لرؤيته لذلك وحار مرخم حارث وقيل في قوله انك نظرت
تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين من اصحاب الجمل المتمسكين

بظاهر الاسلام الذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على امام الحق واغتررت
بشبهتهم واقتديت بهم ولم تنظر الى من هو فوقك وهو امامك الواجب
الطاعة ومن معه من المهاجرين والانصار ولا سمعت حكمهم بكون خصومهم
على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك ويحتمل ان يكون نظره تحته كناية عن نظره
الى الباطل واهله وشبهتهم المكتسبة عن محبة الدنيا التي هي الجهة السافلة
ونظره فوقه كناية عن نظره الى الحق وتلقيه من الله وقوله
انك الى اخره تفصيل لسبب حيرته وهو عدم معرفته للحق والباطل المستلزم
لجهله باهلها ولو عرفها لجزم باتباع الحق واجتناب الباطل وهو في قوة
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك وقع في الحيرة والضلال
وسعد بن مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمان اشترى غنما وانتقل
الى البادية وكان يتعيش بتلك الاغنام حتى مات ولم يشهد بيعة علي عليه السلم
واما عبد الله بن عمر فانطلق الى اخته حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ما بايع لامير المؤمنين ولكنه لم يشهد معه حرب الجمل وقال اعجزتني العبادة
عن الفروسية والمحاربة فلست مع علي ولا مع اعدائه فاما قوله في جوابه
ان سعدا الى اخره فهو صغرى ضمير تنبيه على انه لا يجوز له متابعتهما
في الاعتزال وهي من الجملات المتعمدة في صورة الذم وان كانت صادقة وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز متابعته ٥ وقال صاحب السلطان
كراكب الاسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه اي يتمنى موقعه وهو يعلم انه
في غاية من المخاطرة بالنفس والتغرير بها وذلك هو وجه الشبه براكب الاسد
وقال احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم العقب من خلف الانسان
من الولد واولادهم وانما كان كذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة ولان الذكر الجميل

عطف الناس على عقب المحسن من نعله ٥ وقال عليه السلام ان كلام الحكماء اذا كان
صوابا كان دواء واذا كان خطأ كان داء وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم وشدة
قبولهم لما يقولونه فان كان حقا كان دواء من الجهل وان كان باطلا كان جالبا للخلق داء
الجهل ولذلك قيل زلة العالم زلة العالم ٥ وسأله رجل ان يعرفه الايمان
فقال اذا كان غد فأتني حتى اخبرك على اسماع الناس فان نسيت مقالتي حفظها
عليك غيرك فان الكلام كالشاردة ينقفها هذا ويخطئها هذا وقد ذكرنا ما اجابه
عليه السلام فيما تقدم من هذا الباب بقوله عليه السلام الايمان على اربع شعب
وجه تشبيه الكلام بالشاردة من الابل قوله ينقفها اي يجدها في ضلالها
الى اخره والفصل ظاهر ٥ وقال يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على
الذي قد اتاك فانه ان يكن من عمرك يأت الله فيه برزقك اي ينبغي ان يكون الاهتمام
بحاجة كل يوم مخصوصا بذلك اليوم والكلمة صغرى ضمير نبه بها على ترك الاهتمام
بما لم يأته من الايام وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا ينبغي الاهتمام له ٥
وقال عليه السلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فائدة هذه الكلمة
الامر بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم الافراط فيهما لما في الافراط من المفسدة
والهون السكينة والوقار وهو صفة مصدر محذوف اي حبا هينا معتدلا
وما في الموضعين يفيد شياعا في الهون والعموم وان الغرض مقدار دون الافراط
ووقت من الاوقات وان لم يكن معينا ونبه على سر ذلك بقوله عسى في الموضعين
وهما صغريا ضميرين اما مفسدة افراط المحبة فلاستلزام اطلاع المحبوب
على اسراره وتوقيفه على جميع احواله فربما ينقلب بعد ذلك عدوا له فكان
اقدر على هلاكه من غيره من الاعداء وكذلك مفسدة افراط البغض وهو عدم

الابقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام المعاداة فالاعتدال في ذلك اولى
لانه ربما عاد العدو الى الصداقة ومكان المبغض قد اتى للصداقة موضعا وتقدير
كبرى الاول وكل حبيب جاز ان يكون عدوا في وقت ما فينبغي ان لا يفرط في
محبته وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز ان يكون صديقا يوما ما فينبغي
ان لا يفرط في بغضه ٥ وقال الناس في الدنيا عاملان عامل في الدنيا
للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلف الفقر ويأمنه على
نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي
له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا فاصبح وجيها عند
الله لا يسأل الله شيئا فيمنعه ٥ لما كان العمل في هذه الحيوة لا بد منه فعمل
العاملين فيها اما لها او لغيرها وغيرها هو الاخرة فاذن الناس عاملان واشار
الى الاول في معرض ذمه بقوله قد شغلته دنياه الى قوله غيره ومعنى ذلك
انه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده فيفني عمره في منفعة يحملها
لغيره ولا يخشى الفقر الاكبر في الآخرة من الخيرات الباقية على نفسه وذلك ضلال
مبين واشار الى الثاني في معرض مدحه بقوله وعامل الى قوله فجاءه الذي له من
الدنيا اي المكتوب له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه وقوله بغير عمل
اي للدنيا لان العمل بقدر الضرورة من الدنيا ليس من العمل لها بل للآخرة وهو مقصود
من الدنيا بالعرض وبذلك يحرز حظيه من الدنيا والاخرة ويكون في الدنيا ملكا
بقناعته وفي الاخرة بثمرة اعماله وجاهه عند الله وعلو منزلته في استعداده
بطاعته مستلزم لقبول دعوته واجابتها فيما سأله ٥ وروي انه ذكر عند عمر بن
الخطاب في ايامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم لو اخذته فجهزت به جيوش
المسلمين كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي فهم عمر بذلك وسأل عنه امير المؤمنين

عليه السلم فقال ان القران انزل على النبي صلى الله عليه واله وسلم والاموال اربعة
اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض والفي فقسمه على مستحقيه والخمس
فوضعه الله حيث وضعه والصدقات فجعلها حيث جعلها وكان حلي
الكعبة فيها يوميذ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه
مكانا فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله
القصة مشهورة وخلاصة حجته عليه السلم ضمير اشار الى صغراه
وتقديرها ان حلي الكعبة قد اقره الله على حاله ورسوله من غير نسيان له ولا جهل
بمكانه مع تعرضه لجميع الاموال وتقدير الكبرى وكل ما اقره الله ورسوله
على حاله وجب الاعتدال بما في اقراره ولذلك امره بصورة النتيجة وهو قوله
فاقره حيث اقره الله ورسوله ونسيانا نصب على الحال ومكانا على الظرف ٥
وروى انه عليه السلم دفع اليه رجلان سرقا من مال الله احدهما عبد من مال
الله والاخر من عرض الناس فقال عليه السلم اما هذا فهو مال الله فلا حد
عليه مال الله اكل بعضه بعضا واما الاخر فعليه الحد فقطع يده ٥
عرض الناس سايرهم وعامتهم واحتج للعبد بضمير صغراه قوله فهو مال الله
اكل بعضه بعضا وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قطع عليه واما المقطوع
فانه كان سرق نصابا من مال الغنيمة من حرز ولم يكن له نصيب منها واما
ان كان له نصيب فان كان المسروق فوق نصيبه نصابا قطع والا فلا ٥
فقال عليه السلم لو استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت اشيا المداحض
المزالق واستوا قدميه كناية عن ثباته وتمكنه من الاحكام الشرعية على
وجوهها في المسايل الاجتهادية المشكلة التي يخفى حكم الشرع فيها على غيره وذلك
انه في خلافته لم يتمكن من تغيير شي من احكام من قبله وكان له في بعضها راي غير ما

راه واستعار لتلك المسايل لفظ المداحض باعتبار انها من مزال اقدام
العقول ومن المهاوي بقوله لغيرت اشيا الى ما كان يرى فيها من احكام
غيره في تلك المسايل وان اقدام عقولهم قد زلت فيها عن سوا الصراط ٥ قال
عليه السلم اعلموا علما يقينا ان الله تعالى لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت
طلبته وقويت مكيدته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد في ضعفه
وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم والعارف لهذا العامل به
اعظم الناس راحة في منفعة والتارك له الشاك فيه اعظم الناس شغلا في
مضرة ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد
ايها المستمع في شكرك وقصر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك ٥ في هذا الفصل لطايف
الاولى لما قام البرهان على ان ما علم الله تعالى وجوده فهو واجب الوقوع
وما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع لا جرم لم يكن لكل من القوي والضعيف من
الرزق ونحوه الا ما علم الله تعالى وصوله اليه وكتبه بقلم القضا الالهي في الذكر
الحكيم واللوح المحفوظ ولم يبلغ عظيم الحيلة قوي المكيدة بحيلته اكثر ما سمي
له ولا قصر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سمي له ولاجل ثبوت ذلك بالبرهان
امرهم بتيقنه ورغبهم في علمه والعمل به بضمير صغراه قوله والعارف
الى قوله في منفعة اما راحته فلعلمه ان ما كتب له لا بد ان يصل اليه فيترك
لذلك شدة الاهتمام به والكدح له ولما كانت راحته قلبية وبدنية كانت
اعظم الراحات ولما كانت مع منفعة ما يصل اليه بالكد سرفيها وكذلك
نفر عن الشك في ذلك وترك العمل به بقوله والتارك له الشاك فيه الى اخره
وهو ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الشك فيه وتركه
وانما كان اعظم الناس شغلا لانه شغل قلبه وبدنه فيما لا فايدة فيه فيلزمه

مصرة خالصة فان قلت فهذا ينافي الامر بالدعاء وبالسعي في طلب
الرزق كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحو ذلك
قد بينا انه لا ينافي ذكرنا سر الدعاء وفايدته وخالصه انه يكون الدعاء سببا
لوجود الرزق في علم الله تعالى ونحو ذلك بواسطة سببه ولا تنافي بينهما
الثانية اهل النعمة والغنى واهل الابتلاء على وجوب شكر الله تعالى على حاليهما
اما اهل النعمة فتنبيههم بان نعمتهم قد يكون استدراجا لهم ليشكروا الله عليها
كيلا يستدرجهم بها واما اهل البلوى فتنبيههم بان بلواهم قد يكون صنعا من
الله في حقهم ليعدهم بها لثوابه الجزيل فيجب عليهم شكر ذلك الصنع والمدار
صغريا ضميرين تقدير الاولى منهما بعض المنعم عليه مستدرج بالنعم وتقدير
الكبرى وكل مستدرج بالنعم يجب عليه ان يحترز بشكر نعمة الله عليه من الاستدراج
بها وكذلك تقدير الثانية وبعض المبتلى مصنوع له بالبلوى وتقدير الكبرى وكل
مصنوع اليه يجب عليه شكر صنع الله في حقه ولذلك امر المستمعين مطلقا
بزيادة الشكر مع ان فيهم المنعم عليه والمبتلى ثم امر بالتقصير عن العجلة في طلب
الرزق والوقوف دون حد الافراط فيه على حد العدل ثم قال لا تجعلوا
علمكم جهلا ويقينكم شكا اذا علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا
علمهم بما امر عليه من امر الاخرة جهلا اي في قوة الجهل ويقينكم شكا اي في
قوة الشك بمنزلته لتركهم العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل
على وفق علمهم والاقدام عليه على وفق يقينهم ثم قال ان الطمع مورد
غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب الماء قبل ريه وكلما عظم قدر
الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده والاماني تعمي اعين البصاير والحظ
ياتي من لا ياتيه نفر عن الطمع في الدنيا والحرص في طلبها وتمنيها واقتنائها

بوجوه الاول ضمير صغراه قوله ان الطمع الى قوله وفي اي مورد
الطمع الموارد المهلكة ولا يصدره عنها واستعار له لفظ الضامن
غير الوفي باعتبار انه يرغب في الطلب ويدعو اليه مع انه قد يكون كاذبا
كمن يضمن شيئا ويخلف فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي
ان يتبع ويوثق به الثاني قوله وربما الى قوله ريه وهو تنبيه على انه لا
يجوز الاسترسال في طلب الدنيا بضمير كني عن صغراه بذلك وتقديرها
ان المسترسل في طلبها قد يخترم ويقتطع دون بلوغ امله فيها وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الاسترسال في طلبها الثالث
نفر عن المنافسة فيما عظم قدره من متاعها بضمير صغراه قوله وكلما
الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى وكلما عظمت
الرزية لفقده فلا ينبغي اقتناؤه اذا كان من ضرورته فقده وفناؤه الرابع
نفر عن الاماني بضمير صغراه قوله والاماني تعمي اعين البصاير وذلك انها
تشغل الفكر بما لا يعني عن طلب ما يعني من الكمالات العقلية واستعار
لفظ الاعين للادراك باعتبار ادراكها وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك وجب
اجتنابه الخامس نبه على ترك طلب الحظ من الدنيا بقوله والحظ ياتي من
لا ياتيه اي الحظ لمن كان له حظ يصل اليه وان لم يسع في طلبه وهو في قوة
صغرى ضمير وتقدير كبراه فكل ما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه
وقال عليه السلم اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون
علانيتي وتقبح فيما ابطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما انت
مطلع عليه مني فابدي للناس حسن ظاهري وافضي اليك بسوء عملي تقربا
الى عبادك وتباعدا من مرضاتك افضي اصل واستعاذ بالله ان يحسن له

حسن الظاهر في عيون الناس مع قبح باطنه عند الله بالريا والتصنع بالزهاده
والعبادات الظاهره لغايه طلب الدنيا ولامعه العيون اضافه للصفه الي
الموصوف اي العيون اللامعه ومحافظ لجال وتقربا وتباعدا مصدران
سدا مسد الحال ويحتمل نصبهما على المفعول له وقال عليه السلم والذي
امسينا منه في غبر ليله دهما تكشر عن يوم اغر ما كان كذا وكذا فغبر الليل
بقاياه والدهما السودا والتكشر التبسم بحيث تبدو الاسنان والاغر الواضح
ولفظ التكشر مستعار لليله باعتبار اسفارها عن ضو يومها فهي كالضاحكه
والبيت في غايه الفصاحه وعن مثلها ينفعل الخاطر وقال التاسع قال
قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول واراد من الافعال فان القليل الدايم اكثر من الكثير
المملول المنقطع واقوى اعدادا للنفس لكمال النفع للاخره وقال اذا اضرت
النوافل بالفرايض فارفضوها اي اذا اخلت ببعض شرايط الفرايض وجب تركها
وقد مر ذلك مشروحا وقال من تذكر بعد السفر استعد واراد ان
المتذكر لبعد طريق الاخره يلزمه الاستعداد لها بالتقوى وقال ليس
الرويه مع الابصار وقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من استنصحه
هذا تنبيه على وجوب اعمال الفكر فيما ينبغي لان العقل هو مستند الحواس وهو
الناقد البصير والناصح الشفيق الذي لا يغش من استنصحه واستعار لفظ
الاستنصاح لمراجعته واعماله بصدق وتوجيهه الى استخراج الارا الصالحه
ولفظ الغش لكذبه اي لا يكذب من استنصحه وجعله بدلا له واثبات الحكم
ببعض المحسوسات على نقض حكم العقل بواسطه الخيال والوهم وكما عرض
في تلك الاحكام من الغلط فهو من اغلاط الوهم على ما تبين في موضعه وحينئذ
يكون قوله وقد تكذب العيون اهلها اي قد تكذب الاحكام الوهميه على مدركات

العيون كالحكم بكون القطره النازله خطا مستقيما والشعله التي تدار
بسرعه كالدايره ونحوه وقال عليه السلم بينكم وبين الموعظه حجاب
من الغره استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيات البدنيه
المغفله عن النظر في العبر وقبول الموعظه والانتفاع بها وقال جاهلكم
مزداد اي من الاثم مسوف اي بالتوبه وقال قطع العلم عذر المتعللين
اي العلم بالدين وبلاغه الرسول صلى الله عليه وسلم من البشاره والنذاره فان
ذلك قاطع لعذر من عصاه يقول انا كنا عن هذا غافلين كما قال تعالى رسلا
مبشرين ومنذرين الايه وقال كل معاجل يسال الانظار وكل موجل يتعلل
بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل الصالح للمعاجل والموجل وقال ما
قال الناس لشي طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سو اي ما استحسن الناس شيا
من الدنيا الا وفي قوه الدهر اعداد لفساده واهلاكه يوما ما ولا بد من خروج
ما فيه بالقوه الى الفعل وقال وقد سيل عن القدر طريق مظلم فلا تسلكوه
وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه وقال السوال عن ماهيه
القدر وكيفيته ووقوع الافعال بحسبه وهذه المسله من مسايل العلم الالهي
وفيها خبط عظيم من العلما والمتكلمين وقد نبهنا على ما هو الحق فيها فيما سبق
ولصعوبتها كان الخوض فيها مظنه الضلال والتيه في مجال الساحل فلذلك
نفر عليه السلم عن الخوض فيها ونبه بثلثه احدها انها طريق مظلم وتقدير
الكبرى وكل طريق مظلم فلا يجوز سلوكه ونتيجته قوله فلا تسلكوه واستعار لفظ
المظلم له باعتبار كونه كثير الشبهات والشكوك لا يهتدى فيه للحق الثاني
انه بحر عميق واستعار لفظ البحر بصفه العموله باعتبار عمق الافكار فيه
وتقدير كبراه وكل بحر عميق فلا يجوز ولوجه ونتيجته قوله فلا تلجوه

الثالث انه سر الله اي سر الله قد احكمه ومنع من الخوض فيه
وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز تكلف الخوض فيه وهتكه وفي معناه .
كل غامض من غوامض العلم لا يجوز كشفه الا للاولياء وافراد العلماء وهو من سر الله
وقال عليه السلم اذا ارذل الله عبدا حظر عليه العلم وحظر العلم باعداده
لغيره وتعويق اسبابه بحيث ينصرف عنه فلا يكون له استعداد وظاهر
ان الجهل من اشد الرذائل واصعبها داء وهو طرف التفريط من فضيلة العلم
والادب كما سبقت الاشارة اليه غير مرة وقال عليه السلم كان لي
فيما مضى اخ في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وكان خارجا
من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان اكثر دهره
صامتا فان قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفا مستضعفا
فان جاء الجد فهو ليث غاب وصل واد لا يدلي بحجة حتى ياتي قاضيا وكان لا
يلوم احدا على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعا
الا عند برئه وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان ان غلب على الكلام
لم يغلب على السكوت وكان على ان يسمع احرص منه على ان يتكلم وكان اذا بدهه
امران نظر ايهما اقرب الى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الخلائق فالزموها
وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوها فاعلموا ان اخذ القليل خير من ترك الكثير ه
اقول ذكر هذا الفصل ابن المقفع في ادبه ونسبه الى الحسن بن علي عليهما
السلم وبذ غلب ونقع الغليل سكن العطش وادلى بحجته ارسلها واحتج بها وبدهه
الامر اتاه من غير تاهب له والمشار اليه قيل هو ابو ذر الغفاري وقيل عثمن بن مظعون
وقد وصفه باثنتي عشرة فضيلة احداها انه كان يستصغر الدنيا وينظر اليها
بعين الاحتقار وظاهر ان ذلك يستلزم عظمه في عيون اهل الله الثانية

انه خارج عن سلطان بطنه وهو كناية عن خروجه من اسر شهوته
وخلاصه من رذيلة الفجور الى فضيلة العفة فكف شهوته عما لا يجد يستلزم
عدم رذيلة الحرص والحسد ونحوهما وعدم اكثاره مما يجد يستلزم نزاهته
عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما الثالثة فضيلة العدل في الكلام والسكوت
اي انه ينطق بالحكمة في مواضعها واما غلبة السكوت عليه فلقوة عقله
كما قال عليه السلم اذا تم العقل نقص الكلام الرابعة انه كان ضعيفا
مستضعفا اي فقيرا منظورا اليه بعين الذلة والفقر وذلك من لوازم فضيلة
التواضع الخامسة فضيلة الشجاعة عند الجد في الحرب والغضب لله
وكنى عن ذلك بقوله فاذا جاء الجد الى قوله واد واستعار له لفظ الليث
باعتبار سطوته وعدوانه ولفظ الصل باعتبار باسه ونكايته في العدو
والمثل يضرب بحية الوادي في الشجاعة ونكاية السم السادسة انه
لا يدلي بحجته حتى يجد قاضيا وهو من فضيلة العدل في وضع الاشياء مواضعها
السابعة كونه لا يلوم احدا على ما يحتمل العذر الا بعد سماع الاعتذار
فان هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل والانصاف في فضيلة الثبات
واحتمال المكروه الثامنة كونه لا يشكو ما ينزل به من الامراض لتسليمه
احكام الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد برئه على سبيل الاخبار دون
الشكاية او انه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك ه
التاسعة كان يطابق بفعله قوله ويحترز عن الكذب والخلف العاشرة
كان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة في الاقوال ويعدل الى السكوت اذا غولب
في القول وذلك من فضيلة الحكمة لعلمه بمواقع السكوت والكلام ومن فضيلة
الحلم لقهر قوته الغضبية في المغالبة الحادية عشر وكان احرص على

منه على الكلام ترجيحاً لجانب الاستفادة على الافادة والاعراض اتم من الباب
وذلك من فضيلة الحكمة الثابتة عشر وكان اذا خطر بباله امران دفعة
من غير سابقة فكر في ايهما اقرب الى الهوى وميل الشهوة كان الترجيح مخالفه
الى تركه ولما كان غرض الفضل ان يقتدي السامعون بالفضايل المذكوره امرهم
عليه السلام بلزومها والتنافس فيها او في بعضها ان لم يكن الكل ثم رغب في ذلك
بقوله فاعملوا الى اخره وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان خيرا
فينبغي لزومه والتنافس فيه وقال لو لم يتوعد الله على معصيته
لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمه لما كان شكر النعمة بالاقوال والافعال
المطابقة لها واجبا عقلا وجب ترك المعصية الذي هو لازم للطاعة
الواجبة لان لازم الواجب واجب ومقتضى الكلمة انه لو لم يتوعد الله على
معصيته لكان يجب تركها شكرا له اي لاجل شكره فكيف وقد توعد على ذلك
عليها فبالاولى ان يجب تركها وقال وقد عزى الاشعث بن قيس
عن ابن له يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم
وان تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف يا اشعث ان صبرت جرى
عليك القدر وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القدر وانت مأزور سرك
وهو بلاء وفتنة وحزنك وهو ثواب ورحمة ○ استدرجه عليه السلام اولا
بتحسين الحزن وانه في موضعه باعتبار ان الرحم تستحق من جهة ذلك
ثم عقبه بما يدل على قبح الجزع والحزن وان الصبر به اولى وذلك من وجوه
احدها قوله وان تصبر الى قوله خلف وهي متصلة صغرى ضمير تقدير
كبراه وكلما كان في الله خلف عنه فالصبر عنه اولى والنتيجة ان تصبر
على مصيبتك فالصبر عليها اولى الثاني قوله ان صبرت الى قوله وانت

مأجور اي على صبرك وهي صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى
عليه القدر وهو مأجور على صبره فالصبر به اولى الثالث تنفير عن
الجزع بقوله وان جزعت الى قوله مأزور اي على جزعه واصله موزور
فهم لمناسبة القرينة الاولى وهو ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى
عليه القدر وهو مأزور على جزعه دخل النار الرابع قوله سرك وهو بلاء وفتنة
وهو تنفير عن افراط السرور به ووجه كونه بلاء ان الافراط في محبته
يستلزم رذايل خلقية كالجبن عما ينبغي من الجهاد خوف مفارقته وكالبخل
فقرا ونظرا له في عاقبته وكالحزن في امراضه واعراضه كما قال صلى
الله عليه الولد مجبنة محزنة مبخلة وكذلك بغضه يستلزم رذيلة العقوق
وقطع الرحم وصرف المال عنه في غير وجهه فالحري ان يبتلي الله الوالد بولده
ويطلب منه الوقوف على حد العدل في حقه والواو في قوله وهو للحال
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان لا يأسف على ما فات
من السرور به الخامس قوله وحزنك الى اخره تنفير عن الحزن
عليه بما يلزم من تركه من الصبر عن المصيبة به من ثواب الله ورحمته وهو
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما حزن وهو ثواب ورحمة فينبغي ان يصبر على
الحزن عليه وقال عليه السلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ساعة دفن ان الصبر لجميل الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك وان
المصاب بك لجليل وانه قبلك وبعدك لجلل الجلل الامر الهين والامر العظيم
وهو من الاضداد وانما كان الصبر غير جميل في المصيبة به عليه السلام والجزع
عليه غير قبيح لانه صلى الله عليه اصل الدين والعلوم فيه فالجزع في
المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر اخلاقه وسيرته وسنته

وكان غير قبيح من هذا الوجه أو لأن المصيبة نفسه عظيمة وهو أعظم
فأبت فيستحسن الجزع عليه وأما الصبر فإنه يؤول إلى سلوانه والغفلة
عنه فكان غير جميل من هذا الوجه وقد تعرض للفضيلة الصبح من بعض
الاعتبارات وللرذيلة الجنس من وجه وظاهر أن المصائب أعظم مصاب
بأجل الناس وأن كل مصاب بأحد من قبله أو بعده فهو سهل هين بالنسبة
إليه وقيل أراد أن المصائب قبله عظيم على المسلمين لحزنهم منه وبعده
كذلك لاختلال أمرهم وأمر الدين بفقده والأول أظهر وقال عليه السلام لا تصحب
المائق فإنه يزين لك فعله ويود أن تكون مثله المائق الأحمق وتفرعه نفس صغراه
قوله فإنه إلى آخره وذلك لأنه لحمقه يعتقد كمال نفسه وحسن أعماله ويحب
الاقتداء بها فهو يزينها ويحب لمن يصحبه أن يكون مثله فيها ويدعوه إلى ذلك
ويقتدي بكبراه وكل من كان كذلك فلا يجوز صحبته وقال وقد سئل
عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو جواب
واضح مقنع أن غرض الخطابة الإقناع فأما تحقيق ما بينهما فاعتبار
تعيين مساحة الأرض أو الفلك فأمر يرجع إلى علم الهيئة ولعله عليه السلام
إنما عدل عن الجواب بشيء من ذلك لاستبعاد بعض العوام له ولا يظن
أنه عليه السلام ما كان يعلم ذلك وقال عليه السلام أصدقاؤك ثلاثة
وأعداؤك ثلاثة فأصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك
وأعداؤك ثلاثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك الحكم بأن صديق
الصديق وعدو العدو صديق من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق
غير عالم بأن لصديقه صديقا وكون العدو غير عالم بأن لعدوه عدوا أصلا
أو يعاديه أو يصادقه وكذا الحكم بأن عدو الصديق وصديق العدو

عدو للاحتمال المذكور وقال لرجل يسعى على عدو له بما فيه إضرار
بنفسه إنما أنت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه ووجه الشبه قصد
أذى غيره بما يستلزم أذى نفسه وقال ما أكثر العبر وأقل
الاعتبار أراد بالعبر محال الاعتبار وهي في معرض التوبيخ للسامعين
على ترك الاعتبار وقال من بالغ في الخصومة أثم ومن قصر فيها ظلم
ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم تنفير عن طرفي الإفراط والتفريط
في المجادلة والمخاصمة بما يلزم رذيلة الإفراط فيها وهو الظلم من الإثم
وطرف التفريط فيها من رذيلة الانظلام وأشار إلى صعوبة
الوقوف فيها على حد العدل بقوله ولا يستطيع إلى آخره وهو
كالتنفير عن أصل المخاصمة لأنها مظنة الرذائل وقال ما أهمني
ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين أي لا أحزن من ذنب أمهلني الله
بعده إلى أن أصلي ركعتين وذلك لأن الصلاة تكفر الذنب فإذا أمهل إلى
أن يصليها لم يحزن بسببه ه وسئل كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم
قال كما يرزقهم على كثرتهم قيل كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما يرزقهم
ولا يرونه شبه كيفية محاسبته تعالى للخلق على كثرتهم بكيفية رزقه
لهم على كثرتهم وجعل هذا أصلا في التشبيه لظهوره وعلم السائل به
وكذلك شبه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم
وعدم رؤيته ووجه الشبه في الموضعين إمكان ذلك منه تعالى لشمول قدرته
وعدم حاجته في شيء إلى شيء وقال رسولك ترجمان عقلك وكتابك
أبلغ من ينطق عنك استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار أنه يحكي
عنه ويعرف مقداره منه ورتبه أيما إلى أنه يجب أن يختار المرسل للرسالة

ذوي العقول الراجحة كيلا يسفه عقله واشار الى الكتاب ابلغ من ينطق
عن صاحبه لضبط مراده فيه دون لسان الرسول لانه ربما يؤدي الرسالة
على وجهها سهوا او لغرض فيقع الخلل بسبب ذلك حتى ربما كان فيه هلاك
المرسل وقال عليه السلام ما المبتلى الذي قد اشتد عليه البلاء باحوج
الى الدعاء من المعافى الذي لا يامن البلاء اي انهما سواء في الحاجة الى دعاء الله فذاك
لحاجته الى الخلاص من بلائه وهذا لابقاء عافيته وامنه من لحوق البلاء
وهو حث لاهل العافية على دعاء الله لغرض الالتفات اليه ودوام قصده
وقال الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه وهو توبيخ للناس
على حب الدنيا ولفظ الابناء مستعار لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها
بالطبع وقوله ولا يلام الى اخره لوم لهم وهذا كما تقول الحر توبيخه مثلا
يا اللوم ان طبيعتك اللوم والوم عليك فيما جبلت عليه وقال
عليه السلم ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد
اعطى الله رغب في اعطاء المسكين بضمير صغراه ما ذكر واستعار له
لفظ رسول الله باعتبار انه طالب لحقه وبامر الله وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فيجب اعطاؤه وارضاؤه وقال ما زنى غيور قط
الا البتة وذلك ان الغيور الحر اذا هم بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه
من الغير فيعارض خياله داعيه فيحجم عنه وقال كفى بالاجل
حارسا استعار له لفظ الحارس باعتبار ان الانسان لا يهلك ما دام اجله
كالحارس وقال ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب قال
السيد ومعنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال
واقول الحرب سلب المال وانما كان كذلك لان المال محبوب للطمع

في استخلاص المال بالنهوض له والحرص عليه دون التكلف وقال
مودة الاباء قرابة بين الابناء والقرابة احوج الى المودة من المودة الى
القرابة استعار لفظ القرابة للمودة المتاكدة بين الابناء فهي كالقرابة
واخبر بها عن مودة الاباء اخبارا باللازم عن ملزومه اذ كانت صداقة
الاباء والمودة بينهم تستلزم تاكدها بين الابناء وشدة اتصالهم ثم اشار
الى تفضيل المودة على القرابة بكون القرابة اكثر حاجة الى المودة في الانتفاع
بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة في الانتفاع بها وقال
اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على السنتهم ظن المؤمن لا يكاد
يخطي لصفاء نفسه وكمال استعدادها للتفكر الصحيح والقريب من الحدس
والاقتباس بنور الحق كما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله فيفيض الله سبحانه صورة ذلك الحق على السنتهم
فينطقون به وقوله فانه الى اخره صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من
كان كذلك فينبغي ان يتقى ظنه وهو تنبيه لمن عصاه ينوي شرا للرجوع
عنه خوف ظنون المؤمنين وقال لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما
في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده صدق الايمان بالشيء تيقنه وكماله ومن
كمال الخبر الرجاء لله والتوكل عليه حتى يكون اوثق منه بما في يد الله سبحانه بما في
يده وذلك لتيقن وصول رزقه من الله وحرمه بذلك الامور من حرمه
ووثوقه بما في يده لجواز تلفه وعدم ثباته وهي مرتبة عالية من مراتب
التوكل وقال لانس بن مالك وقد كان بعثه الى طلحة والزبير
لما جاء الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في معناهما
فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلم فقال اني انسيت ذلك الامر فقال ان كنت

كان بأفضل تلك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها الغمامة يعني الرجم ما صاب
أنسا هذا الذي اجابتها بعد في وجهه وكان لا يرى الأمر تبعا أقول ما
كان بعثه إليهما ليذكرهما به هو ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لطلحة والزبير إنكما ستقاتلان عليا وأنتما له ظالمان فلما
بعثه التي من صرفته ولوى بأيه عن ذلك فرجع ودعا عليه فاستجيبت
دعوته وبيضا في محل الحرب لا من العمير في بهاه . وقال إن
للقلوب إقبالا وإدبارا فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل وإذا أدبرت
فاقتصروا بها على الفرائض وقد مر معنى إقبالها وإدبارها وخص إقبالها
بالنوافل لاتساعها فيه لها وللفرائض دون الإدبار . وقال في
القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبأ ما قبلهم أخبار القرون
الماضية وخبر ما بعدهم ذكر أحوال الموت والقيامة والوعد والوعيد
وحكم ما بينهم بيان الأحكام الخمسة المتعلقة بأفعالهم وهو في معرض
مدح القرآن والحث على قراءته وفهمه . وقال عليه السلام ردوا الحجر
من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر فالحجر كناية عن الشر ورده
من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر بمثله ورغب في ذلك بضمير صغراه
قوله فإن الشر إلى آخره وتقدير الكبرى وكل ما لا ينقطع إلا بالشر فواجب
أن يقطع به وليس هذا أمرا عاما لأمره عليه السلام بالحلم في مواضع كثيرة بل المحمل
ذلك على شر لا يندفع إلا بمثله . وقال لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع ألق
دواتك وأطل جلفة قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف
فإن ذلك أجدر بصباحة الخط . كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ولق الدواة ولقتها إصلاحها بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة بين

الحروف تقريب بعضها من بعض والصباحة الحسن وفائدة القول
الأول ظاهرة وفائدة الثاني أن الجلفة الطويلة تقبل مدادا أكثر
فيستمر القلم في كتابته كلمات كثيرة على نهج واحد من غير تقطيع
بين المدادات بخلاف الجلفة القصيرة فإن مدادها أقل والمقاطع
بين مداداتها أكثر فيكثر التفاوت بين الكلمات في آخر كل مدة وأول الأخرى
بعدها وفائدة الثالث ظهور الفصل بين السطور وتمييز بعضها عن
بعض وفائدة الرابع كون الكلمة أحسن هيئة والحسن لها أقرب ضبطا
ولعل بعض هذه القيود أو كلها شرط في حسن بعض أصناف الخط كالكوفي
ورغب في ذلك بقوله فإن ذلك أي فإن هذه الشرائط وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل ما كان أجدر بصباحة الخط ففعله أولى . وقال أنا
يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار قال السيد ومعنى ذلك أن
المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها
وأقول استعار لنفسه لفظ اليعسوب ووجه المشابهة هو
ما ذكره السيد رحمه الله . وقال له بعض اليهود ما دفنتم نبيكم
حتى اختلفتم فيه فقال له إنما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت أرجلكم
من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون
أراد أنا لم نختلف في نبوته ونشك في ذلك وإنما وقع خلافنا عنه
أي بسبب اشتباه بعض ما جاء عنه من كتاب وسنة على من لا يعلم
ذلك منا وأما أنتم فقد اختلفتم في أن إلهكم ما هو تعالى حتى قلتم لنبيكم
اجعل لنا إلها وذلك يستلزم الشك منكم في نبوة نبيكم بالأولى وقيل
له عليه السلام بأي شيء غلبت الأقران فقال ما لقيت أحدا إلا أعانني على نفسه

قال السيد نور عليه السلم اي تمكن هيبته في القلوب اراد ان
سابق هيبته وتخيل الاقران ما جرت به عادته من الظفر بامثالهم وقتلهم يوجب
لنفوسهم انفعالات وضعفا عن مقاومته وذلك مما يعينه عليهم وقال
لابنه محمد رحمه الله يا بني اني اخاف عليك من الفقر فاستعذ بالله منه
فانه منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت امره بالاستعاذة من الفقر
لما فيه من المكاره الثلثة اما كونه منقصة للدين فللاشتغال بهمه وتحصيل
قوام البدن عن العبادة وكونه مدهشة للعقل اي محل دهشة العقل وحيرته
وضيق الصدر به ظاهر وكذلك كونه داعية مقت الخلق لصاحبه ورغب
في الاستعاذة منه بضمير صغراه قوله فان الفقر الى اخره وتقدير كبراه
وكل ما كان كذلك فيجب الاستعاذة بالله منه وقال عليه السلم
لسايل سأله عن معضلة سل تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه
بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المعضلة المسألة المشكلة
والتعنت طلب الامر الشاق على من يطلب منه والتعسف الاخذ على
غير الطريق وقد كان عليه السلم فهم من السايل ان غرضه الامتحان فاعرض عن
جوابه الى تأديبه وارشاده الى ما ينبغي من وضع السؤال وغرضه وهو
التفقه دون التعنت لحصول الغاية بالسؤال الاول ونفعها وتعنتا مفعول
له او مصدر ان سد مسد الحال ورغب في السؤال على وجه التعلم بضمير
صغراه قوله فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ووجه الشبه اشتراكهما في
طلب العلم وتحصيله وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالعالم فينبغي ان يسلك
مسلكه ثم نفر عن سلوك غير الطريق الحق في السؤال والعدول به الى غير المقصود
الاصلي بضمير شان صغراه قوله فان العالم الى قوله بالجاهل ووجه الشبه

كون ذلك العالم يضع سؤاله في غير موضعه ويطلب به ما لا ينبغي كالجاهل
بوضع الاسولة ومواقعها وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالجاهل
ينبغي ان تجتنب طريقته لغلط من هذا الشبه وقال لعبد الله بن
العباس رحمه الله وقد اشار عليه بشيء لم يوافق رايه لك ان تشير علي واري
فاذا عصيتك فاطعني روي انه اشار عليه عند انصرافه من مكة حاجا
وقد بايعه الناس وقال يا امير المؤمنين ان هذا امر عظيم يخاف غوايل
الناس فيه فاكتب لطلحة بولاية البصرة وللزبير بولاية الكوفة واكتب الى
معوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام حتى يبايعك فان
بايعك وجرى على سنتك وطاعة الله فاتركه على حاله وان خالفك
فادعه الى المدينة وابدله بغيره ولا توجج نار الفتنة فقال عليه السلم
معاذ الله ان افسد ديني بدنيا غيري ولك يا ابن عباس ان تشير الفضل
وحذف مفعول اري للعلم به اي انظر في وجه المصلحة واوجب طاعة
نفسه لانه الامام ولانه افضل رايا فاذا راى المصلحة في شيء فرايه اصلح ارجح
وروي انه عليه السلم لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشاميين فسمع
بكا النسا على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من
وجوه قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا
الرنين واقبل يمشي معه وهو عليه السلم راكب فقال له ارجع فان مشي
مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن شبام بكسر الشين حي من العرب
وقادما حال والاستفهام للانكار دخل على النفي وقد علمت ما في الجزع من
الرذيلة فلذلك نهى عنه ولانه يجبن الرجال ويثبطهم عن الحرب وهو في
محل الحاجة اليهم ونفره عن المشي معه بضمير صغراه قوله فان مشي مثلك

الى الخير وتقدير الكبرى وكلما كان فتنة ومذلة وجب تركه وقال وقد
مر بقتلى الخوارج يوم النهر بؤساً لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم
يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالاماني
وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار البؤس
الشدة ونصبه عن تقدير لمن ضرهم وغرهم الشيطان المضل والانفس
الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد بها النفس الامارة فان العطف انما
يقتضي التغاير في العبارة والاماني التي غرتهم بها هي اماني الغلبة والقهر
وفسحها لهم في المعاصي ترخيصها لهم وتوسعتها بتزيينها وكذلك ما وعدتهم
به من اظهارها لهم على من عاداهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ
الاقتحام مستعار لسرعة ادخالها لهم النار وقال اتقوا معاصي الله
في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصي الله ونفر عنها بضمير
صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم وتقدير كبراه وكل من كان الشاهد عليه هو حاكمه
وجب عليه ان يتقيه ٥ وقال لما بلغه قتل محمد بن ابي بكر رضي الله عنه ان
حزننا عليه على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً
قد بينا فيما سلف مكانه منه عليه السلم وقوله فان حزننا عليه على قدر
سرورهم اي بمقداره اراد انه يناسبه في الشدة واشار الى الفرق بين اعتبار
نقصانه منهم ونقصانه منه وذلك في معرض التألم لفقده وقال العمر
الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة اعذر اليه اتاه بالعذر ولعذر الله
اليه انها له اناة الله المذكورة التي هي مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد فان ما
بعد الستين تضعف فيه القوى النفسانية والبدنية ويكل عن العمل فمن قصر
الى تلك الغاية فقد توجه اللوم عليه وانقطعت حجته بالاعذار اليه وقال

ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب وهو تنفير عن
الظلم والبغي وذلك ان الظافر الحق هو من قهر خصمه على وجه العدل فمن
لم يكن كذلك بل لزمه الظلم ويقهره عند الله الاثم فيكون مغلوباً بظلمه
وهو في صورة غالب واستعار لفظ الظفر للاثم في تبعة الاثم
واحاطته به وقال ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات
الفقراء فما جاع فقير الا بما متع غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك اراد
بذلك الفرض الزكوة وظاهر ان جوع الفقير انما يكون بما يمنعه الغني من العون
او مما هو وسيلة اليه ورهب الاغنياء بقوله والله سائلهم عن ذلك وهو
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من سائله الله ينبغي ان يحذر سؤاله
وقال الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اراد ان ترك ما يحتاج فيه
الى العذر فيستغني بتركه عن العذر اعز عليك وانفع لك من ان تأتيه وتكون
لك فيه عذر صادق ويحتمل ان يريد بقوله اعز اي اكثر عزة لك اذ الاتيان بالعذر
يحتاج الى ذلة ومهانة وقال ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه
على معاصيه وذلك لان العدل ان تستعينوا بنعمه على طاعته فان لم تفعل
ذلك فلا اقل من ان تستعمل في الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته
فان ذلك مما يعد لسخطه وقال ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة
الاكياس عند تفريط العجزة طاعته تعالى غنيمة الاكياس باعتبار استلزامها
للنعيم المقيم في الآخرة وسبب الغنيمة غنيمة والاكياس هم الذين استعملوا
فطنهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه
الغنيمة عند تفريط العجزة وهم المقصرون عما ينبغي لهم وهو في معرض ذمهم
على التقصير البالغ المشبه للعجز وقال السلطان وزعة الله في ارضه

الورع الوازع وهو الرادع المانع اي ان الله تعالى وضعه في ارضه ليمنع
به ما يريد منعه واراد السلطان العادل وقال ـــــ في صفه المومن
المومن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شي صدرا واذل شي
نفسا يكره الرفعه ويشنا السمعه طويل غمه بعيد همه كثير صمته
مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته سهل الخليقه
لين العريكه نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من العبد ه يشا بعض
وذكر له في معرض التعريف والمدح سته عشر وصفا احدها
ان بشره في وجهه وذلك من تمام فضيله التواضع ولين الجانب ه
الثاني حزنه في قلبه وذلك من خشيه الله ونظره الى ما عساه فرط
في جنب الله الثالث اوسع شي صدرا وقد علمت ان سعه الصدر فضيله
للقوه الغضبيه وقد يعبر عنها برحب الذراع واراد انه متسع لهذه
الفضيله الرابع واذل شي نفسا اي لتواضعه لله ونظر نفسه الى محلها
ومقدارها من الحاجه الى الله وصدر لا عن نفس مهينه الخامس كراهيته
للرفعه لانها مبدا رذايل كالعجب والكبر وكذلك بغضه للسمعه احترازا
من تلك الرذايل السادس طول غمه لنظره دايما الى ما بين يديه من الموت وما
بعده السابع بحسب ذلك كان بعد همته وعلوها عن دنايا الدنيا ونظره
الى المطلوب الاكبر من السعاده الاخرويه الباقيه الثامن كثره صمته وذلك
لكمال عقله فهو لا ينطق الا بما يحتاج اليه مما فيه حكمه وصلاح التاسع
شغل وقته اي بعباده ربه العاشر كونه شكورا اي كثير الشكر لله الحادي
عشر صبورا اي على بلا الله الثاني عشر مغمور بفكرته في ملكوت السموات والارض
واستنباط ايات الله وعبره منها الثالث عشر ضنين بخلته لم يصدق موافق الخله

واهلها الذين هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون فلا يضيعها كيف اتفق
ومع كل من طلب مودته وخلته ويحتمل ان يريد انه اذا خال احدا ظن
بخلته ان يضيعها او يهمل خليله وروي بفتح الخا والخله الحاجه اي اذا عرض
له حاجه ضن بها ان يسال الخلق فيها الرابع عشر سهل الخليقه
اي لا جفاوه في طباعه ولا خشونه الخامس عشر لين العريكه
وهو كنايه عن سهوله انقياده لما يراد منه واصله الجلد الاديم يكون لينا
عند العرك في الدباغ سهلا على دابغه السادس عشر نفسه اصلب
من الصلد لشجاعته وثباته في طاعه الله وهو اذل من العبد لتواضعه
لله ومعرفته بقدره عند قدره باريه والواو للحال وقال ـــــ لو
راى العبد الاجل ومسيره لابغض الامل وغروره استعار لفظ المسير
للاجل وهو زمان الحياه باعتبار تقضي اجزايه وانتهايه بفنايها كما يقطع
الساير اخر المسافه وينتهي الى غايته بفنايها ويحتمل ان يريد بالاجل غايه الحياه
واستعار لفظ المسير لتوقها المعقول منه واراد انه لو كان الاجل يتصور
سايرا محسوسا فشاهد العبد سيره به الى الموت علم غايته لقطع اماله
الدنيويه ولم يغتر بها وقال عليه السلم لكل امرء في ماله شريكان
الوارث والحوادث نفر عن ادخار المال بذكر الشريكين المكروهين وقال
عليه السلم الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر شبه من يدعو الله ولا عمل له بالرامي بغير
وتر ووجه الشبه عدم امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
احمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله ه وقال العلم علمان مطبوع ومسموع
ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع اراد بالمطبوع العقل بالملكه وهو الاستعداد
بالعلوم الضروريه للانتقال منها الى العلوم المكتسبه والمسموعه من العلما

فان من لا يكون له ذلك الاستعداد لا ينتفع بما يسمعه من العلوم ولا يتمكن
من اكتسابه وقيل اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل
كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم الشرعيه التي هي فرع العقليه
اذ لا ينتفع بفرع من دون اصله وقال عليه السلم صواب
الراي بالدول يذهب بذهابها اي ان الدوله مستلزمة لصواب الراي
اذ كان من تمام السعاده المقتضيه للدوله ان يلحقها اي صواب يكون به
تدبيرها وملك السعاده والدوله معدّه لاختيار اصلح الاراء وقابلة اليه
فهو يقبل باقبالها لاعدادها له وعند ذهابها يذهب الراي الصواب
وان عدّ في الظاهر صوابا وقال العفاف زينة الفقر والشكر
زينة الغنى العفه فضيلة القوه الشهويه وظاهر كونها زينة للانسان
وهي مع الفقر اجمل فانها تعتدل الفقر بها وتحببه في قلوب الخلق وتكسبه
المدح والثناء عليه وتظهر اثرها عليه بسرعة وان فقدها الفقير خسر
الدنيا والاخره وكذلك الشكر من فضايل قوة الشهوه ايضا وقبيح بالغني مقابله
نعم الله بالكفران فزينة غناه وتمامه اذن شكره له وقال
يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم فيوم العدل يوم
القيمه ويوم الجور وقت الظلم وقد مر بيانه ٥ وقال الاقاويل
محفوظه والسراير مبلوه وكل نفس بما كسبت رهينة والناس منقوصون
مدخولون الا من عصم الله سايلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد افضلهم
رايا يرده عن فضل رايه الرضا والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكاه
اللحظه وتستحيله الكلمه الواحده معاشر الناس فاتقوا الله فكم
من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله

من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراما واحتمل به اثاما فبا
بوزره وقدم على ربه اسفا لاهفا قد خسر الدنيا والاخره ذلك هو
الخسران المبين مبلوه مختبره ودخل فلان فهو مدخول ومدخل
اي في عقله دخل وعله تنكاه اي توثر فيه وتستحيله تغيره وما
شغله رجع به وحصل عليه واللاهف المتحسر افضل في معرض
الوعظ تنبيه السامعين اولا على ان اقوالهم محفوظه وسرايرهم
مختبره بما كلفوا به من طاعة الله والسراير ما اضمر في القلوب
من العقايد والنيات وغيرها وعن معاذ بن جبل قال سالت النبي صلى
الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبلى السراير ما هذه السراير التي تبلى
يوم القيمه فقال سرايركم هي اعمالكم من الصلوه والصيام والزكوه
والوضوء والغسل من الجنابه وكل مفروض لان الاعمال كلها سراير خفيه
فان شا قال صليت ولم يصل وان شا قال توضات ولم يتوضا
واستعار لفظ الرهينه للنفس باعتبار وثوقها في الاسر بما كسبت
من الشر كما يوثق الرهن بما عليه من مال واللفظ من القران المجيد
وغرض ذلك التنبيه على العدل في القول واضمار الخير واكتساب الاعمال
الصالحه ثم نبه الناس على ما فيهم من النقصان الطبيعي المحتاج الى الكمال
المكتسب ووصف سايلهم بان سواله خارج عما ينبغي لان غرضه به الامتحان
دون العلم ومجيبهم بالتكلف في جوابه لقلة علمه وافضلهم رايا بانه يكاد
ان يرده عن فضل رايه ما يعرض له من امر يرضى به ويسخط له ويرجع
عنه وان كان يسيرا بديهيه المصلحه واصلبهم عودا اي اشدهم في الله واقواهم
في طاعته يوثر فيه اللحظه اي من ينظر اليه نظر الهيبه وتستحيله الكلمه

الواحدة منه فتغبن عن الحق ويجوز ان يريد الحظه والكلمة من شهوته
للدنيا ولذاتها ثم امرهم بتقوى الله ونفر عن تقبيح الامل جدا الى الذنوب
بذكر كثرة من يؤمل لا يبلغه ويبني ما لا يسكنه ويجمع ما لا يدري من تركه
مع احتمال ان يكون من باطل ما جمعه ومن حق منعه اهله فاصابه حراما
وحمل ثقل وزره وقدم به على ربه حزينا متحسرا على ما فرط في جنبه قد
خسر الدنيا بموته والاخرة بتفريطه في اكتساب خيرها ذلك هو الخسران
المبين ه وقال عليه السلم من العصمة تعذر المعاصي اي من اسباب
العصمة وذلك ان الانسان يتعود بتركها حين لا يجدها حتى يصير ذلك
ملكة له وهي المراد بالعصمة ه وقال ماء وجهك جامد يقطره
السؤال فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه للحيا ونوره على
الوجه الذي يذهب من وجه السايل بسؤاله ورشح بذكر الجمود والتقطير
ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض من العرق عند خجل السايل في سواله واستحيايه
وعرض الكلمة وضع السوال موضعه من اهل المروة والبيوتات وذوي
وجهك ماء جامد فيكون استعارة للماء في الوجه باعتبار بذله وكانه ذائب وقطر
كالماء الجامد ه وقال الثنا باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن
الاستحقاق عي او حسد الملق هو اللطف الشديد بالقول ع الافراط في
المدح ونفر عن طرفي الافراط والتفريط في الثنا فالافراط بما يلزمه من
رذيلة الملق والكذب والتفريط بما يلزمه من العي عن المدح او الحسد للقبيلة
الممدوح عليها ه وقال اشد الذنوب ما استهان به صاحبه وذلك
ان استهانته به يستلزم اهماله فيه واستكثاره منه وعدم اقلاعه عنه
حتى يصير ملكة بخلاف ما يستصعبه من الذنوب ه وقال عليه السلم

اربع عشرة كلمة لاحدها من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره
لانه انما يذكر عيب الغير غالبا في معرض الافتخار عليه بالبراءة من ذلك العيب
فاذا نظر الى مثله من نفسه شغله اعتبار ذلك النقصان فيها عن
الاشتغال بنقصان غيره والنظر فيه الثانية ومن رضي برزق الله لم
يحزن على ما فاته وذلك ان الحزن على ما فات يستلزم لعدم القناعة والرغبة
بالحاصل من الرزق فعدم ذلك اللازم مستلزم لعدم ملزومه وهو
الحزن على الفايت الثالثة ومن سل سيف البغي قتل به وهو كناية
عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب لهلاك الظالم وقد سبق بيانه مرارا
الرابعة ومن كابد الامور عطب اي من قاساها بنفسه استعدها
للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق استعار لفظ اللجج للامور العظام
كالحروب وتدبير الدول ولفظ الغرق للهلاك السادسة ومن دخل
مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة ودخولها من الامارات الموجبة للظن
كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة ومن كثر كلامه كثر خطاؤه لانه قد
مر ان كمال العقل مستلزم لقلة الكلام فيكون كثرة الكلام مستلزما لنقصان
العقل المستلزم لكثرة الخطا والقول من غير ترو وتثبت الثامنة ومن
كثر خطاؤه قل حياؤه لانا علمنا ان الحيا هو انحصار الانسان والارتداع
عن الامور التي يقبح تعاطيها والاقدام عليها للاجلبة ما يستحق عن ارتكابها
من قبح الاحدوثة والاقدام على الخطا بكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك
الامور وهو من لوازمه التاسعة ومن قل حياؤه قل ورعه لان الورع هو
لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدودها دون الرذايل والحيا منها فعله الحيا
يستلزم لقلة الورع وربما فسر الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر ان قلة

لحيا ايضا حطته الاقدام على المحارم فكانت مظنة لقلة الورع عنها فاقام
الشي مقام مظنة الشي وحكم به ه العاشرة ومن قل ورعه
مات قلبه اي الملكات الفاضلة هي حيوة القلب تستعار لعدمها او قلتها
فيه لفظ الموت باعتبار عدم انتفاعه بها كخروج الميت عن الانتفاع
بالجسد الحادي عشر ومن مات قلبه دخل النار لان المراد خروجه عن
الجنة هو استكماله بالفضيله فاذا افتقدها فالنار موعده والكلام في
صورة قياس مفصول نتيجته ان من كثر كلامه دخل النار وهو تنفير
عن كثرة الكلام الثانية عشر ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها
لنفسه فذلك الاحمق بعينه ووجه الحمق ان رؤيته شرا لها من غيره مستلزم
كون الراي الحق ان لا يفعلها ورضاه بها لنفسه مخالفة للراي الحق له وخروج عن
المصلحة لنفسه وذلك حمق ونقصان ظاهر في العقل والالف واللام في الحمق
تفيد حصره في المشار اليه فلذلك اكده بعينه الثالثة عشر ومن اكثر
من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير لان الغرض من طلب الاكثر منها الاستمتاع
والالتذاذ وذكر الموت كاسر للذات الالتذاذ ومنغص لها الرابعة عشر
ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بذلك يركب
قياسا هكذا الكلام عمل والاعمال يواخذ على ما لا يعني منها فينتج ان الكلام
مواخذ على ما لا يعني منه وذلك موجب للاقتصار على ما يعني منه ه وقال
للظالم من الرجال ثلث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة
ويظاهر القوم الظلمة فظلمه لمن فوقه عصيان الله وتعديه لحدوده العادله
والثانية مستلزمة للاولى والثالثة مستلزمة للاولتين ه وقال عند
تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلا يكون الرخا تناهي الشدة

مستلزم الحرص فيها وهو المراد بالفرج وكذلك تضايق حلق البلا
فهو وقت الفزع الخالص الى الله والرجا الخالص له وذلك معد للفرج منه
واستعار لفظ الحلق للامور الشديدة المحيطة بالانسان لا يجد عنها
محيصا ملاحظة لشبهها بالحلقة في البطان والحزام وقال
لبعض اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك
وولدك اوليا الله فان الله تعالى لا يضيع اولياه وان يكونوا اعدا الله فما همك
وشغلك باعدا الله ه نهى عن كثرة الاشتغال بالاهل والولد وصرف
ذلك عن طاعة الله ونبه على عدم جوازه بما هو في قوة قياس شرطي
منفصل تقديره ان اهلك لا يخلوا اما ان يكونوا من اوليا الله او اعدايه
وعلى التقديرين لا يجوز الاشتغال بهم اما الاوليا فلان الله تعالى يكفيهم
مونتهم فلا حاجة بهم الى اهتمام غيره واما الاعداء فلا يجوز الاهتمام
بحالهم وما في قوله فما همك استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ وقال
اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله فقد ثبت ان ذلك حمق وهو اكبر العيوب
وهنا بحضرته عليه السلم رجل رجلا بغلام ولد له فقال له ليهنك الفارس
فقال له عليه السلم لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب
وبلغ اشده ورزقت بره وهذا ارشاد منه للتهنية بالولد وفيها اربع
فوايد احدها تذكر الولد شكر الله والفايدة الثانية استنزال
البركة منه بالدعاء فيما وهب له الثالثة الدعا للموهوب بالبقا وبلوغ
الاشد وهو كمال القوة لغاية الانتفاع به الرابعة الدعا بثمرته والانتفاع
به وهو ان يرزقه بره ونفعه ه وبنى رجل من عماله بنا فخما فقال
اطلعت الورق رؤوسها ان البنا ليصف لك الغنى الفخم الحطيم وكني

طلوع الورق لها وشبهها عن ظهور … لتشبيهها
بالحيوان في ظهوره وكذلك استعار لفظ الوصف ونسبه الى النبات باعتبار
انه ينبي عن الغنى كما ينبي الوصف عن موصوفه وقيل له عليه السلم
لو سد على رجل باب بيت وترك فيه من اين كان ياتيه رزقه فقال من حيث
ياتيه اجله فاسند الرزق على الاجل لاشتراكهما في مبدا واحد وهو قدرة
الصانع تعالى واشار الى ذلك بقوله من حيث ه وعزى عليه السلم قوما
عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدا ولا اليكم انتهى وقد
كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم
عليه فعدوه اي اعرضوا انه كذلك والتعزية فصيحة العبارة
جزيله المعنى مفيده للاقناع والسلوه وقال عليه السلم ليركم
الله من النعمة وجلين كما يريكم من النقمة فرقين انه من وسع عليه في ذات يده
فلم ير ذلك استدراجا فقد امن مخوفا ومن ضيق عليه في ذات يده فلم
ير ذلك اختبارا فقد ضيع ماموله الاستدراج الاخذ على غره وامر
بالوجل من نعم الله حال اتصالها خوف الاستدراج بها كما يخاف من النقم
وذلك ان النعمة بلا نعمة مقابلته بالشكر كما ان النقمة بلا نعمة مقابلته
بالصبر والغرض الحث في فضيلتي الشكر والصبر وحذر من الركون الى النعم
والغفلة فيها على الله بقوله انه الى قوله امن مخوفا وهو صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من امن مخوفا فهو مغرور وكذلك حذر الفقير ان يغفل
عن كون فقره بلاء واختبارا ويعده كذلك لما يلزم ذلك من تضييع الماموله وذلك
انه يشتغل باعتقاد انه اختبار من الله له للصبر عليه ويومل منه
تعالى الاجر الجزيل في الاخرة واذا لم يعتقد ذلك بطل الاستعداد به

فيضيع ماموله منه وقال … ما اسرى الرغبة اقصروا فان المعرج
على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب الحدثان ايها الناس تولوا
من انفسكم تاديبها واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها الضراوة الجراه
على الصيد والولوع به والضرامه بالفتح لغة فيه والضراوه بالكسر
مصدر ضرى به والثلث نسخ وردت بها الرواية واستعار لفظ
الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وحبه لها وامرهم بالاقصار عن الافراط
في طلبها وتنفر عن التعريج والانعطاف عليها بقوله فان المعرج الى
قوله الحدثان واستعار لفظ الصريف والانياب ملاحظة لشبه الموت
عند قدومه بالبعير الهائج ثم امر الناس وامرهم ان يتولوا من انفسهم
تاديبها ورياضتها والوقوف بها على حد العدل من الحركات والافعال
وان يعدلوا بها عن جذبها واقدامها على الانهماك في المشتهيات وقد
عرفت معنى الرياضه وقال لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا
وانت تجد لها في الخير محتملا اي ما دمت تجد لكلام الغير محملا وتاويلا
فلا تظنن به سوءا فان النفوس السليمة اقرب الى الله تعالى من غيرها
والواو للحال وقال اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدا
بمسئله الصلوة على النبي صلى الله عليه واله ثم اسال حاجتك فان الله اكرم
من ان يسال حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى امر بتقديم السؤال
الصلوة على النبي صلى الله عليه في طلب الحاجة للاستعداد به ورغب فيه
بقوله فان الله سبحانه الى الاخرة اي ان المسالة الاولى مجابة من الله بالاتفاق
فيجب من كرمه اجابة الثانية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من
كان اكرم من ذلك فينبغي ان يسال المسلمين لقضي الحاجة وقال …

بعرضه اي بخل به فليدع المرآء وذلك ان [illegible] لغضبه
من المتمارين ومبدا المشاتمة والمباينة وقال من الخرق المعاجلة
قبل الامكان والاناة بعد الفرصة الخرق الحمق ومعاجلة طلب الحاجة والاسراع
اليها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها اذا امكنت تفريط
فيه وهما مذمومان فصاحبهما واضع للطلب في غير موضعه وهو
حمق ظاهر ونقصان في عقل وجوه التدبير والخرق العدل وهو وضع
الطلب في غير وقت الامكان والفرصة وقال لا تسل عما لا يكون
ففي الذي قد كان لك شغل امر بالسلو عما لا يكون من زيادة رزق ونحوه من
المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع من المطالب التي اعطيها الانسان ورغب
فيما امر به من السلو بقوله ففي الذي الخ اي ففي ذلك شغل لك عما سوى
من عنده واراد الشغل بضبط ما في يدك من النعمة وما ينبغي من الاشتغال
بشكرها واستعمالها في طاعة الله وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
ما كان كذلك فينبغي ان يشتغل به عما وراءه ولا يطلب الزيادة عليه
وقال ثلث كلمات احدها الفكر مرآة صافية واستعار له لفظ
المرآة باعتبار انه يريك المعقولات كما يرى الاشباح في المرآة وقد
سبق بيانه الثانية استعار لفظ المنذر الناصح للاعتبار وذلك
انه يذكر الآخرة ويفيد الانزجار والاتعاظ عن المناهي كالمنذر الناصح
الثالثة اشار الى ان تجنب المرء ما يكرهه لغيره من الرذائل المهلكة
ادب كاف له ونفر عنه بكونه مكروها للغير ورغب في تجنبه بكونه
ادبا كافيا للنفس وقال عليه السلام العلم مقرون بالعمل فمن علم
عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اراد انه مقرون به في الوضع

الذي ينبغي بمقتضى الحكمة الالهية وذلك انه تعالى جعل للنفس العاقلة
قوتين علمية وعملية وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين بالعلم والعمل
ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله فمن علم عمل اي من
علم ما ينبغي لزمه في الحكمة ان يعمل بمقتضى علمه وكان ذلك داعيا له الى
العمل مستلزما لوجوده منه ويحتمل ان يكون قوله على خبر في معنى الامر
اي من علم فليعمل وقوله والعلم يهتف بالعمل الى آخره فالهتف
النداء وان لم ير المنادي فاستعار لفظه للمعقول من طلب العلم المقارنة
العمل الذي ينبغي له وجذبه الطبع له فكانه يصيح به ويدعوه الى
مقارنته ليكون منهما كمال الانسان ومعنى قوله فان اجابه والا ارتحل
ان العلم الذي ينبغي اذا قارنه العمل تاكد به حتى يصير العلم كانه برز
الى عالم الحس في صورة الفعل مثلا اذا علم الانسان وجود الصانع وما
ينبغي من طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت تلك العبادة منه دوام
ملاحظته تعالى واحضار ذكره بالبال حتى لا يصير منسيا له في وقت
فاما اذا ترك العمل لله فلا بد ان يشتغل بغيره عن ذكره وتنقطع ملاحظته
له حتى يكون ذلك سببا للنسيان والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال
لزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها له كالراحل
عن وطن ما يصلح لاستيطانه وقيل اراد بالارتحال عدم المنفعة مجازا
اطلاقا لاسم الغاية على غايته اذ كانت الغاية من الارتحال عدم المنفعة
بالمرتحل وقال عليه السلام متاع الدنيا حطام موبي فتجنبوا مرعاه
قلعتها احظى من طمانينتها وبلغتها ازكى من ثروتها حكم على
مكثريها بالفاقة واعين من غني عنها بالراحة من راقه زبرجها اعقبت

ناظريه كمها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره اشجانا لهن
رقص على سويدا قلبه هم يشغله وهم يحزنه حتى يوخذ بكظمه فيلقى
بالفضا منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان القاوه انما ينظر
المومن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن
المقت والابغاض ان قيل اثرى قيل اكدى وان فرح له بالبقا حزن له بالفنا
هذا ولم ياتهم يوم فيه يبلسون اقول القلعة الرحلة والحظوة
المنفعة ورايقة معجبة والكمه العمى خلقة والاشجان العوارض المهيجة
والرقص الغليان والاضطراب والابهران عرقان متعلقان بالقلب واكدى قل
خيره والابلاس الياس من الرحمة وفي الفصل فايدتان احديهما تنفير عن الدنيا
بامور احدها ان حطامها موبي اي مهلك واستعار لفظ الحطام لمتاعها
باعتبار سرعة زواله وقلة الانتفاع به كما قال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا
كماء انزلناه من السما الاية وكونه موبقا استلزام اقتنائه والاعتنا بجمعه
للهلاك في الاخرة ولذلك امر بتجنب مرعاه اي رغبه او محل رعيه وهو
الدنيا الثاني قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمانينة اليها لما تستلزمه
من الشقاوة في الاخرة بمحبتها والسكون اليها في الاخرة الثالث ان الاقتصار
على البلغة من العيش فيها ازكى من الثروة بها لما تستلزمه الثروة بها من
الشقا الاخروي والاقتصار على القدر الضروري منها اطهر للنفس واسلم من
غوايلها الرابع حكم بالفاقة على مكثرها اما فيها فلان كل زيادة منها
موجبة للحاجة الى اخرى ولذلك كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم
على اختلاف درجاتهم فيها واما في الاخرة فلفقر المكثر فيها المشتغل بها
من ملكات الخير والفضايل الخامس ان من غنى عنها بزهده فيها اعين

من الله بالراحة منها السادس ان من اعجبته زينتها فانصب
اليها عمى عما فيها من العبرة وعما وراها من احوال الاخرة واستعار لفظ
الكمه للمعقول من عمى البصيرة عن الاعتبار لان ذلك اشد من العمى كما قال
تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور السابع
ان من التحف بحبها اشتعالا بها ملات قلبه هموما وغموما واحزانا على ما لم
يحصل منها بطلبه وعلى ما فات منها بالاسف عليه واستعار لفظ
الرقص لتعاقب تلك الاحزان والهموم واضطرابها في قلبه الى غاية الاخذ
بكظمه وكنى به عن الموت وبالقائه بالفضا عن دفنه ومنقطعا وهينا
حالان الفايدة الثانية انه ارشد الى صفات المومن في محبة الدنيا
احداها انه انما ينظر اليها بعين الاعتبار ليحصل منها عبرة وذلك هو
الذي خلق لاجله الثانية ويقتات منها ببطن الاضطرار وكنى به عن
كونه لا يتناول منها الا البلغة ومقدار ضرورته الثالثة ويسمع فيها باذن
المقت والابغاض وكنى به عن بغضه لها فهو لا يسمع ما يمدح به بل معايبها
وقوله ان قيل اثرى الى قوله الفنا اراد ان الانسان فيها منغص
اللذة مكدر العيشة بينا هو مثر اذ لحقه الاكدا والفقر وفرح بما حبب
اذ لحقه الحزن عليه وهذا الكلام لاحق بالفايدة الاولى في وصف حال الانسان
في الدنيا ومن تمامه ووصف الحزن هنا اعتراض وقوله هذا ولم ياتهم اي هذا
البلا ولم يات الناس يوم القيمة الذي اشتد هوله ييأسون فيه من الرحمة وقال
ان الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادة
لعباده عن نقمته وحياشة لهم الى جنته الذيادة الدفع والمنع واشار الى
غاية الحكمة الالهية من وضع الثواب والعقاب وهما ذيادهم عن نقمته وجمعهم الى جنته

وقال عليه السلم يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن الا رسمه
ومن الاسلام الا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى
سكانها وعمارها شر اهل الارض منهم تخرج الفتنة واليهم تأوي الخطيئة يردون
من شذ عنها فيها ويسوقون من تأخر عنها اليها يقول الله عز وجل فبي حلفت
لابعثن على اولئك فتنة اترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل الله
عثرة الغفلة ٥ رسم القرآن اثره وهو تلاوته ولا يبقى الا اسم الاسلام
دون العمل به وسكان المساجد وعمارها قرّاء السوء وائمة الضلال الذين وصفهم
عليه السلم في صدر الكتاب بقوله ان ابغض الخلائق الى الله رجلان وبقوله
في فصل اخر واما الاخلاق الناس في القيامة يرد على احدهم القضية الى اخره
وظاهر ان اولئك واشالهم شر اهل الارض لكونهم مبدأ الفتنة في الدين واليهم
ترجع خطايا الخلق اذ هم يعتدون زعمهم بامرون ومن كان كذلك فقد استعد
للفتنة يحار فيها الحليم ذو العقل وذو الحكم واذ سأل عليه السلم
من الله تعالى ان له عثرة الغفلة ينبغي الاقتدا به في ذلك السوال اللهم اقلنا
عثرة الغفلة ٥ وروى انه عليه السلم قل ما اعتدل به المنبر الا قال امام خطبته
ايها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا ترك سدى فيلغو وما
دنياه التي تحسنت له بخلف من الاخرة التي قبحها سوء النظر عنده وما
المغرور الذي ظفر من الدنيا باعلى همته كالاخر الذي ظفر من الاخرة
بادنى سهمته ٥ اقول السدى المهمل والسهمة النصيب
ولما كان تقوى الله والتزود بها اليه هو المطلوب من خلق الانسان
لاجرم صدر بالامر بها عامة خطبته عليه السلم ونبه على ذلك المطلوب
وان الغاية منه هو الاخرة وانه ليست الدنيا وان تحسنت له

بخلف من غايته وان قبحها سوء نظره لها ومعرفته بها وعلى
انه لا مناسبة بين من ظفر من الدنيا باعلى مطالبه منها وبين
من ظفر من الاخرة بادنى نصيب لشرف متاع الاخرة فكيف من
يظفر منها باعلى قسط وينفر طالب الدنيا والداعي للظفر بها
بكونه مغرورا والفضل ظاهر ٥ وقال عليه السلم
عشر كلمات احداها لا شرف اعلى من الاسلام لاستلزامه شرف
الدنيا والاخرة الثانية ولا عز اعز من التقى لان التقوى تستلزم
جميع مكارم الاخلاق الجامعة لعز الدنيا والاخرة فكان عزها اكثر عزا
من غيرها الثالثة ولا معقل احصن من الورع واستعار له لفظ
المعقل باعتبار تحصن الانسان به من عذاب الله ولما كان عبارة
عن لزوم الاعمال الجميلة فلا معقل احصن منه الرابعة ولا شفيع انجح
من التوبة وذلك لاستلزامها العفو عن جريمة التائب قطعا دون
ساير الشفعاء لشفاعتهم ولفظ الشفيع مستعار لها الخامسة
ولا كنز اغنى من القناعة وذلك لكونها فضيلة مستلزمة لسكون
نفس الانسان ورضاه بما قسم له وغناه عما وراءه ولا شي من ساير الكنوز
لابناء الدنيا كذلك ولفظ الكنز مستعار لها السادسة ولا مال
اذهب للفاقة من الرضى بالقوت وهو قريب مما قبله ٥ السابعة
ومن اقتصر على بلغة الكفاف اي البلغة التي يكف عن الناس فقد انتظم
الراحة اي في سلك الراحة من الهم بطلب الدنيا مجاذبة اهلها عليها
وتبوأ خفض الدعة اي اتخذ لين السكون مباءة ومرجعا الثامنة
والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب استعار للرغبة في الدنيا

لفظ المفتاح باعتبار فتحه لباب التعب على الراغب وكذلك لفظ
المطية باعتبار استرسال امهاله كالمطية المتعب ركوبها التاسعة
والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب التقحم الدخول
بسرعة فالحرص على الدنيا داع الى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل
ونحوها من الرذائل والكبر داع الى قلة الانصاف وعدم التواضع والعجب
والتهور وعدم الاحتمال ونحوها والحسد داع الى الظلم والكذب
والفساد في الارض وغيرها من الاثام ٥ العاشرة والشر
جامع لمساوي العيوب الشر كلي كالجنس لمساوي العيوب ومقابحها
اذ كل منها يصدق عليه انه شر مخصوص وهو المعنى بكون الشر جامعا
لها ٥ وقال لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر قوام الدنيا باربعة
عالم يستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه
وفقير لا يبيع اخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعمة الله عليه كثرت
حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرض نعمته لدوامها
وان ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزوالها الدنيا انما تقوم بالمال
ثم بالعلم لوضعه في مواضعه ومعرفه وجوه اكتسابه التي ينبغي او لا
ينبغي من حلال وحرام وهو علم الفقه واصوله وتفسير كتاب الله وسنه
رسوله اللذين منهما تعلم الاحكام ثم ما يلزم ذلك من علم العربية ونحوه
ولما كان العلم لا بد له من حامل والمال لا بد له من مالك وجب ان يكون
من شرط الاول ان يعمل بعلمه ومن شرط الثاني ان يستعمل ماله في
مصارفه التي ينبغي والا لم يكن لهما فائدة ولا قامت بهما احوال الخلق التي
هي الدنيا ولما كان الموت ضروريا للعلماء وغيرهم وجب في قوام الدنيا

وبقائها ان يقوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب ان يكون
هناك جهال لا يستنكفون عن تعلمه ولما كانت حاجة البعض الى
البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم يجز في نظامها ان يستغني كل عن
كل لاسباب معلومة وغير معلومة وجب ان يكون هناك من الاموال
له ليحصل الانتفاع به فيما هو بصدده ومن يشح له من الاعمال الضرورية
بالجود عليه فاذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الاربعة وانما شرط
في الفقير ان لا يبيع اخرته بدنياه لان بايع اخرته بدنياه ظالم خارج
عن العدل فلا تقوم به الدنيا ولا تصلح لعمارتها ثم لما بين ما به قوام
الدنيا اشار الى ما يلزم ضد ذلك من الفساد تنفيرا عنه بقوله فاذا
ضيع الى قوله بدنياه فان تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به
واستنكاف الجاهل عن تعلمه لسوء اعتقاده في العلم واهله لما يراه من
تضييعهم له وعدم عملهم على وفقه فيبقى على الجهل بمنفعته وبخل
الغني بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال وما يلزم ذلك من شدة
حاجة الفقير وبيع اخرته بدنياه فيلزمه الفساد المنافي لمصلحة المعاش
والمعاد ثم اشار الى ما يلزم كثرة نعم الله على العبد من كثرة حوائج
الخلق اليه ليوضح له وجوب الشكر عليها والقيام بما يجب لله فيها من
الاحسان الى المحتاجين اليه ورغب في ذلك بما يلزمه من تعريض العبد
بذلك نعمة الله عنده للدوام والمزيد ونفر عن تضييع ذلك بما يلزمه
من تعريضها للزوال ٥ وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه قال
فيما كان يحض به الناس على الجهاد اني سمعت امير المؤمنين علي ابي طالب
عليه السلام

يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا
يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر
وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا
وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على
الطريق ونور في قلبه اليقين لما كان انكار المنكر واجبا على كل مكلف
حسب تمكنه وكان لتمكنه من ذلك طرف ادنى وهو
الانكار بالقلب لامكانه من كل احد وطرف اعلى وهو الانكار
باليد وهو الغاية ووسط وهو الانكار باللسان كانت درجاته
في استحقاق الاجر به مترتبة على درجات انكاره وانما خص
المنكر بقلبه بالسلامة والبراءة اي من عذاب الله لانه لم يحمل اثما
وانما لم يذكر له اجرا وان كان كل واجب يثاب عليه لان غاية
انكار المنكر دفعه والانكار بالقلب ليس له في الظاهر تاثير
في دفع المنكر فكانه لم يفعل ما يستحق به اجرا وانما قال لتكون كلمة
الله هي العليا لانه ان لم يكن ذلك مقصود المنكر بان كان مقصوده
مثلا الرياء او الغلبة الدنيوية لا يكون قد اصاب سبيل الهدى واستعار
لفظ النور لوضوح الحق في قلبه وجلائه من شبهة الباطل
وفي كلام له عليه السلم يجري هذا المجرى فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه
وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه
والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع
خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع
اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ومنهم تارك الانكار

المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر
كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة
في بحر لجي وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان
من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل ذلك كلمة حق عند امام جائر
اقول انه عليه السلم جرى في هذه القسمة على الوجه الطبيعي
المعتاد وذلك لان العادة جارية بان ينكر الانسان المنكر اولا بقلبه
ثم بلسانه ثم بيده اذا تمكن وقد ترد القسمة على غير هذا الوجه
فيكون الناس في ذلك على اقسام ستة وهي المنكر بقلبه فقط وبلسانه
فقط وبيده فقط او بقلبه ولسانه او بقلبه ويده او بلسانه
ويده واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان
لان المعروف والمنكر قد يكونان نقيضين او في قوتهما فيكون النهي
عن المنكر مستلزما للامر بالمعروف والامر بالمعروف مستلزما
للنهي عن المنكر واستجماعهما لخصال الخير ظاهر لان كل خصلة
منه معروف فالامر بالمعروف مطلقا امر بها وترك كل واحدة
من خصال الخير منكر فانكاره يستلزم الامر بها ولما كانت هذه
الانواع الثلاثة من انكار المنكر فضائل تحت فضيلة العدل وجب
عدادها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لسائر الفضائل
كما اشرنا اليه وجب ان يكون المنكر للمنكر مطلقا مستكملا لجميع خصال
الخير وان يكون التارك له بيده لخصلة ومتمسكا بخصلتين والتارك
بيده ولسانه مضيعا لاشرف الخصلتين من الثلاث وانما كانتا
اشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر او بعضه غالبا بخلاف الثالثة

ووجب ان يستحق تارك الثلث اسم الميت في حياته لخلوه عن جميع
الفضايل وذلك اسم الميت استعارة وقوله وما اعمال البر
الى قوله لجي تعظيم لهاتين الفضيلتين وشبه اعمال البر كلها بالنسبة
اليهما بالنفثة في البحر اللجي ووجه الشبه ان كل خصلة من
اعمال البر حقيرة بالنسبة اليهما كالنفثة بالنسبة الى البحر وعموم الخير
فيهما وقوله فان الامر الى قوله رزق صغري ضمير رغب
به فيهما وتقدير الكبرى وكل ما لا يقرب من اجل ولا ينقص من رزق
فلا ينبغي ان يحذر منه ثم اشار الى افضل اصنافهما وهو كلمة العدل عند
الامام الجاير لغرض ردعه عن جوره ٥ وعن ابي جحيفة قال
سمعت امير المومنين عليه السلم يقول ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد
الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا
ولم ينكر منكرا جعل اعلاه اسفله ٥ الجهاد باليد واللسان والقلب
هو انكار المنكر بها وانما كان باليد اول مغلوب عليه لان الغرض الاول
للعدو ازالة سلطان اليد ومقاومته فاذا تمكن من ذلك كان زوال
سلطان اللسان سهلا فان قيل لم قال ثم بقلوبكم ومعلوم ان القلب
لا يطلع عليه العدو ولا يتمكن من ازالة الجهاد به قلنا اراد انهم
اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدة عليهم الفوا المنكر
وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم تنكر لها انكاره وهو معنى غلبهم
عليه وقوله فمن لم يعرف بقلبه الى اخره نفر عن ترك الخصلتين
بما يلزمه من قلب اعلى الانسان اسفله واستعار لفظ القلب للانتكاس
في مهاوي الرذايل ودركات الجحيم وانما خص انكار القلب بذلك لامكانه

في كل وقت مخلوة عن المضار المخوفة التي تخشى في الانكار
باليد واللسان ٥ وقال ان الحق ثقيل مري وان الباطل خفيف
وبي استعار للحق وصفي الثقل والمري باعتبار صعوبته على من
يكون عليه فيوخذ منه وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على
اهله ولفظ الوبي باعتبار استلزامه لاهلاكهم في الاخرة وقال
لا تامنن على خير هذه الامة عذاب الله لقول الله سبحانه فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون ولا تياسن لشر هذه الامة من
روح الله لقوله تعالى انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون
ادب السامع بهذين الادبين محتجا بعموم الايتين ولفظ المكر مستعار
لانتقام الله ثم اخذه فهو في صورة المكر والخداع والمراد ظاهر
وقال عليه السلم البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد
به الى كل سوء البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهي مستلزمة
الجهل لان البخيل غير عالم بوضع المال موضعه وللفجور لعبوره
في شهوته ومحبته للدنيا الى طرف الافراط فيها والجبن لان من بخل بماله
فهو بنفسه ابخل وللانظلام والظلم لقصوره عن فضيلة العدل
في ماله ثم للحرص والحسد والشره ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة
وقطع الرحم وعدم المواساة وكل طرف تفريط لفضيلة من الفضايل
فانه من توابع البخل ولواحقه وهي مساوي العيوب التي اخبر انه جامع
لها وانه زمام الى كل منها واستعار له لفظ الزمام باعتبار انه يدعو
الى هذه المساوي ويقود اليها كالزمام ٥ وقال الرزق رزقان
رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تاته اتاك فلا تحمل هم سنتك على

يهتم يومك فيه كفاك كل يوم ما فيه فان تكن السنة من عمرك
فان الله تعالى جده سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وان لم
تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم بما ليس لك ولن يسبقك الى
رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك
قال السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الا ان
ها هنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة في اول الكتاب
واقول قد مضى تفسير اكثر هذا الكلام وغرضه النهي عن الاهتمام
بالدنيا والاشتغال بما يخرج منها عن ذكر الله وطاعته ونهاه ان يحمل
هم السنة على هم اليوم لئلا تجتمع عليه احزان تتضاعف تكفي واحد
منها شغلا واحتج لذلك بضميرين صغرى الاول قوله فان لم تكن
السنة وتقديرها ان سنتك التي تهتم لها اما ان تكون من عمرك او ليس
وتقدير الكبرى وكل ما كان على هذين التقديرين فلا ينبغي الاهتمام به
اما على التقدير الاول فان الله يأتيك في كل يوم منها ما قسم لك لا محالة
وما لا بد منه لا يجوز الاهتمام به واما على التقدير الثاني فلانه ليس
من العقل ان يهتم المرء بما ليس له وصغرى الثاني قوله ولن يسبقك
الى قوله ما قدر لك وتقديرها ان رزقك لن يسبقك اليه طالب
وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا ينبغي ان يهتم به وقال
رب مستقبل يوما ليس بمستدبره ومغبوط في اول ليله قامت بواكيه
في اخره وغرض الكلمة التنبيه من رقدة الغفلة على الموت لغاية العمل له ولما
بعده والمعنى ظاهر وقال الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا
تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك

فرب كلمة سلبت نعمة الوثاق الحبل وامر بخزن اللسان عما
لا ينبغي من القول في غير موضعه وشبه خزنه بخزن الذهب بوجه
الشبه شدة الخزن ونفر عن قول ما لا ينبغي بضميرين صغرى احدهما
قوله الكلام الى قوله وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام كان كذلك
فلا ينبغي ان يتكلم منه الا بما ينبغي ولفظ الوثاق مستعار وصغرى
الثاني قوله رب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكل كلمة كذلك
فيجب الاحتراز منها بتقليل القول والتثبت فيه وقال
عليه السلم لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد
فرض على جوارحك كلها فرايض يحتج بها عليك يوم القيمة
نهى عن قول ما لا يعلم لانه كذب او يحتمل الكذب ولانه قول الجهل
فيجب الاحتراز فيه واما النهي عن قول كل ما تعلم فلجواز ان
يكون فيه مضرة لنفسه او لغيره كاذاعة سر يستلزم اذاه او اذى
من اسر اليه ونفر عن ذلك بقوله فان الله الى اخره وهو صغرى
ضمير والفرايض التي افترضها الله تعالى على كل جارحة عموما ووجه
على اللسان مثلا من قول ما ينبغي في موضعه وكذلك ما يتعلق
بالعين من النظر الذي ينبغي ونحو ذلك في ساير الجوارح وتقدير
الكبرى وكل من فرض الله على جوارحه فرايض كذلك احتج بها
عليه يوم القيمة في تركها والعمل بها فيجب عليه المحافظة عليها ٥
وقال احذر ان يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته
فتكون من الخاسرين حذر من الامرين بما يلزمه من دخوله في زمرة الخاسرين
لثواب الله يوم القيمة ثم امر بالقوة على طاعة الله ليتم الاستعداد بها

لرحمته وبالضعف عن معصيته ليضعف الاستعداد بها عن قبول
سخط الله ونقمته ٥ وقال عليه السلم ثلث كلمات احداها الركون
الى الدنيا مع ما يعاين منها جهل اي مما ينبغي ان يترك الميل اليه تماما ينبغي
الثانية والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن
اي مستلزم للغبن ما يوثق به من ترك الثواب الكثير في مقابلة العمل اليسير
له وفيه ايما الى ان مبدا التقصير في حسن العمل عدم الوثوق بحصول
الثواب الموعود في الاخرة ٥ الثالثة والطمانينة الى كل احد قبل
الاختبار عجز اي عن البحث عن بعض السكون اليه وعن وضعه موضعه
ونفر عن الركون الى الدنيا بما يلزمه من الجهل وعن التقصير في حسن
العمل بما يلزمه من الغبن وعن الطمانينة الى كل احد بما يلزمه من
العجز ٥ وقال عليه السلم من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى
فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها ٥ نفر عن الدنيا بذكر وجهين لهوانها على الله
من الوجهين المذكورين ٥ وقال من طلب شيا ناله او بعضه هو
كقولهم من جد وجد ومن قرع بابا ولج ولج وظاهر ان الطلب
معد لحصول المطلوب فان تم الاستعداد له ناله كله والا فبقدر
نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب ٥ وقال ما خير بخير
بعده النار وما شر بشر بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور
وكل بلاء دون النار عافية ٥ نفي ما يقود الى النار وان عد في الدنيا
خيرا ولذة استحقاق اسم الخير تحقيرا له وتنفيرا عنه بما يلزمه من
غايته التي هي النهاية في الشر وهي النار وكذلك نفي عما يقود الى الجنة
من الطاعات الشاقة وان عد في الدنيا شرا او الما استحقاق اسم الشر

171

عنه انه بما يلزمه من غايته التي هي دخول الجنة والمقصد بما خير
بعده النار خير وما شر بعده الجنة بشر وقوله وكل
نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وقوله وكل بلاء دون
النار عافية تفسير للثاني واراد عافية بسببه ٥ وقال عليه السلم
الا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن واشد من مرض
البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل من سعة
المال صحة البدن وافضل من صحة البدن تقوى القلب اشار الى درجات
البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف والى ما يقابلها من درجات النعم
وتفاوتها كذلك ولما كان مرض القلب بالرذائل اشد من مرض
البدن لاستلزامه في الاخرة فوات اكمل السعادات وهو الموت
الذي لا حياة معه وبحسب ذلك كان تقوى القلب واستكماله
بالفضائل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة الباقية والحياة
الابدية ٥ وقال للمؤمن ثلث ساعات فساعة يناجي فيها
ربه وساعة يرم فيها معاشه وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين
لذتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل ان يكون شاخصا الا في ثلث مرمة
لمعاش او خطوة لمعاد او لذة في غير محرم ٥ اقول رم
المعاش اصلاحه والشاخص الذاهب من بلد الى بلد وقسم زمان
المؤمن العاقل الى ثلثة اقسام بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العملية
والراي الحق فقسم يتوفر فيه على عبادة الله ومناجاته وهذا
القسم هو المطلوب الاول وقسم يصلح فيه ما لا بد منه في تحصيل
القسم الاول من معاشه وقسم يخلي فيه بين نفسه ولذتها المباحة

التي تحمل وتحسن دون المحرمة والمباحة المستقبحة وهذان القسمان
مرادان للاول اذ لا يمكن بدونها وقوله وليس للعاقل الى اخره
اي ليس له بحسب مقتضى العقل العملي ان يستعمل نفسه الا في الامور الثلثه
وقال عليه السلام ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها
ولا تغفل فلست بمغفول عنك ٥ لما كانت محبة الدنيا مستلزمة
لاستتار عيوبها عن ادراك محبها كما قيل حبك الشي يعمي ويصم
كان بغضها والزهد فيها رافعا لذلك الستر كاشفا لما تحته
من عيوبها وعوراتها فامر بالزهد فيها لهذه الغاية المنفرة عنها
ثم نفر عن الغفلة فيها عما وراها بضمير صغراه قوله فلست بمغفول
عنك وتقدير الكبرى وكل ما ليس بمغفول عنه فلا ينبغي ان يغفل
عما يراد به ٥ وقال عليه السلام تكلموا تعرفوا فان المرء مخبو
تحت لسانه قد مر تفسير هذه الكلمة لكنه جعلها هنا صغرى
ضمير رغب به في الكلام عند الحاجة لغاية ان يعرف المتكلم وتقدير
الكبرى وكل من كان مخبوا تحت لسانه فينبغي ان يظهر نفسه في
كلامه ليعرف ٥ وقال خذ من الدنيا ما اتاك وتول عما تولى
عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب ٥ امر بالقناعة بما
تيسر من الدنيا لمن يمكن منها وقوي عليها وبالاجمال في الطلب لمن لم يمكن
منها والاجمال في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي وعلى
الوجه الذي ينبغي ٥ وقال رب قول انفذ من صول اي
قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة فيكون القول
انفذ في غرضه ويصلح مثلا بضرب من الرفق واللين التي يبلغ به ما لا يبلغ

وروي عوض انفذ اشد والمعنى رب قول يقوله الانسان فيكون
ضرره عليه اشد من صولة عدوه او رب قول يسمعه من
غيره كقذف او هجر يكون اشد عليه من صولة العدو والمعنيان
منقولان عن ابن ادم الهروي ٥ وقال كل مقتصر عليه كاف
انه لا يقتصر الانسان الا على مقدار يمكنه دفع الضرورة والحاجه
وذلك كاف ومغن للقانع عما سواه وفيه ايما الى الامر بالاقتصار
على اليسير من الدنيا ٥ وقال كلمات اربعا احدها المنية
ولا الدنية فالمنية مثلا دل على خبره بقوله ولا الدنية اي اسهل
من الدنية ويحتمل ان يكون التقدير تحمل المنية ولا تحمل الدنية وهي
الخسيسة من الامر يرتكب في طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت
على ذلك والثانية والتقلل ولا التوسل اي القناعة بالقليل من
العيش والتبلغ به خير من التوسل الى اهل الدنيا في طلبها الثالثة
ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما كنى بالقعود عن الطلب السهل
وبالقيام عن الطلب الصعب بتعسف اي من لم يرزق بالطلب
السهل لم ينفعه التشديد في الطلب وهذا الحكم اكثري كما هو حكم
الخطيب حثه به على الاجمال في الطلب ٥ الرابعة والدهر
يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك
فاصبر فاليوم الذي لك هو زمان النعمة والرخاء ويجب ان لا يتجاوز
فيه الحد الذي ينبغي له واليوم الذي عليه زمان الضيق والبلاء ويجب
في ذلك الصبر للاستعداد به لقبول رحمة الله تعالى كما قال تعالى
وبشر الصابرين الاية ٥ وقال مقاربة الناس في اخلاقهم امن

من نحو إباء الغائلة الحقد وذلك لأن مباعدة الناس في أخلاقهم
تستلزم منافرتهم وعداوتهم واحتقادهم فالعدول عنها إلى
المقاربة والمشاكلة لأخلاقهم تستلزم الأمن من ذلك منهم
وقال لبعض مخاطبيه وقد تكلم في حضرته بكلام يستصغر
عن مثله لقد طرت شكيرا وهدرت سقبا فالشكير هو
الفرخ قبل النهوض واستعاره لفظي الشكير والسقب باعتبار
صغر قدره كما تكلم به في حضرته ووصف الطيران والهدير له باعتبار
نهوضه إلى ذلك الكلام الذي هو فوق محله وليس أهلا له كما
أن الطيران ليس من شأن الشكير ولا الهدير من شأن السقب ٥
وقال عليه السلم من أومى إلى متفاوت خذلته الحيل المتفاوت
كالأمور المتضادة أو التي يتعذر الجمع بينها في العرف والعادة
واستعار وصف الخذلان للحيل باعتبار أنها لا تواتيه ولا تمكنه
في الجمع بين ما يرومه من تلك الأمور ٥ وقال عليه السلم
وقد سئل عن معنى قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
إنا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك إلا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو أملك
به منا كلفنا ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنا برهان قوله إنا لا
نملك مع الله شيئا قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا
إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا الآية وظاهر أن التكليف تابع
لما ملكنا إياه من الجوارح والقوى والعقل وسائر متعلقات التكليف
وعند أخذه لشيء منها يضع التكليف المتعلق به عنا ٥ وسئل
الصادق عليه السلم عن هذه الكلمة فقال لا حول على ترك المعاصي

ولا قوة على فعل الطاعات إلا بالله ٥ وقال عليه السلم
لعمار بن ياسر رحمه الله وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة
كلاما دعه يا عمار فإنه لن يأخذ من الدين إلا ما قاربته الدنيا
وعلى عمد لبّس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته أراد
أنه لا يتحمل من الدين إلا ما يستلزم دنيا ويقرب منها كعدل أو
صدق ويستلزم منفعة دنيوية دون ما ليس كذلك وهو صغرى
ضمير يعتذر به عن مخاطبته وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
فينبغي أن يعرض عن مراجعته ومكالمته ٥ وقال ما أحسن
تواضع الأغنيا للفقرا طلبا لما عند الله وأحسن منه تيه الفقرا
على الأغنيا اتكالا على الله تيه الفقرا على الأغنيا أصعب عليهم
وأشق من تواضع الأغنيا لهم إذ كان تيههم يستدعي كمال التوكل
على الله وهو درجة عالية في الطريق إليه فلذلك كان أفضل والحسن
لقوله عليه السلم أفضل الأعمال أحمزها ٥ وقال عليه السلم
ما استودع الله امرا عقلا إلا استنقذه به يوما ما أتى من
بلا الدنيا بالحيلة أو من بلا الآخرة بالطاعة ٥ وقال من صارع الحق
صرعه استعار لفظ المصارعة للمقاومة وذلك أن الله سبحانه
وملائكته وكتبه ورسله والصالحين من عباده أعوان الحق ولا
مقاوم لهم ٥ وقال القلب مصحف البصر أراد بالقلب النفس
أو الذهن واستعار له لفظ المصحف باعتبار أن كل تصور في الذهن
أريد التعبير عنه فلا بد أن يتصور حروف العبارة عنه في لوح الخيال
الحس البصري يشاهدها من هنالك ويقروها فالقلب إذن كالمصحف

الذي تتشابه فيه الحروف والالفاظ ويفترق اسمه بالبصر فلذلك
اضافه الى البصر ه وقال التقى رئيس الاخلاق استعار لفظ
الرئيس لتقوى الله باعتبار افضليتها في استلزامها لرضوان الله
وحصول السعادة الباقية ولا شيء من الاخلاق بانفراده يستلزم
ذلك ه وقال عليه السلم لا تجعلن ذرب لسانك على من انطقك
وبلاغة قولك على من سددك ذرب اللسان حدته وهو ادب يجري
مجرى المثل يضرب لمن حصل من انسان علما او فايدة فيستعين بها
عليه كان يتفاصح على من علمه الفصاحة ه وقال كفاك
ادبا لنفسك اجتنابك ما تكرهه في غيرك واذا ما تكرهه من غيره
الرذائل فانها مكروهة لكل احد من غيره ومن نفسه ايضا اذا
عقل انها رذيلة وكذلك اذا اعتبرها انف منها الا ان بعض الرذائل قد
يخفى على من هي فيه فلا يتصور قبحها من نفسه او انه قد يتصور ذلك
لكن يحمله عليها حامل آخر من شهوة او غضب ولما كان اجتناب الرذائل
يستلزم الوقوف على فضيلة العدل في كل شيء لا جرم كان اجتنابها
ادبا كافيا لمن يجتنبها ه وقال عليه السلم من صبر صبر الاحرار
والا سلا سلو الاغمار وفي خبر آخر انه قال عليه السلم للاشعث
قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم والاغمار
الجهال جمع غمر وحد بالفضيلة الصبر في المصايب باضافته الى
الاحرار والاكارم وانما يلزم عدمه من الغايب وهي السلو المشبه لسلو
الغافلين او البهائم واصل الا ان لا اي ان لا تصبر ه وقال
عليه السلم في صفة الدنيا تغر وتضر وتمر ان الله لم يرضها ثوابا

لاوليائه

لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا كركب بيناهم حلوا
اذ صاح بهم سايقهم فارتحلوا نفسر عنها بثلثة مباحث احدها
قوله الدنيا تضر اي بمحبتها وتغر اي بزينتها وتمر اي بزوالها
اذ من طبيعتها ذلك ه استعار لها وصف الامرار باعتبار ما يلزمه
فراقها من الم الجزع والحزن كالمرارة وبعكس وتمر ينتج التاني يذهب
الثاني قوله ان الله الى قوله لاعدائه اذ لو رضيها لذلك لاعطاها
اولياءه وحرمها اعداءه ه الثالث قوله وان اهل الدنيا الى اخره فقوله
بيناهم الى اخره في تقدير صفة كركب اي كركب من شانه كذا
ووجه الشبه بالركب الذي شانه ذلك سرعة ارتحالهم الى الاخرة
كسرعة ارتحال الركب وتقدير الكبرى في الضمير الاولين وكل
ما كان كذلك فينبغي ان يحتشد لا يحرص على طلبه وتقديرها
في الثالث وكل ما كان كذلك فينبغي ان يستعد فيه للرحيل والسفر
وقال لابنه الحسن عليهما السلم يا بني لا تخلفن وراك شيا من الدنيا
فانك تخلفه لاحد رجلين اما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما
شقيت به واما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على
معصيته وليس احد هذين حقيقا ان تؤثره على نفسك ه ادبه عليه السلم
بالنهي عن ادخار المال وتفرع عن ذلك بضمير صغراه قوله فانك الى
آخره وقوله بما شقيت به اي شقا الدنيا بجمعه وشقا الاخرة
بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وتقدير
الكبرى وكل من يخلف مالا لاحد هذين وليس احدهما حقيقا بان يوثره
على نفسه فلا يجوز له ان يخلفه ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو

اما بعد فان الذي في يديك من الدنيا قد كان له اهل من قبلك وهو صائر
الى اهل بعدك وانما انت جامع لاحد رجلين رجل عمل فيما جمعته بطاعة
الله بما شقيت به او رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له
وليس احد هذين اهلا ان تؤثره على نفسك ولا تحمل له على ظهرك فارج
لمن قد مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله ○ اقول في هذه
الرواية تنفير عن الدنيا بضميرين احدهما قوله فان الذي في يديك
الى قوله بعدك وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فليس لك ان تحبه
وتعتمد عليه الثاني قوله وانما انت الى قوله ظهرك وكبراه ما في
الرواية الاولى واستعار لفظ الحمل لاكتساب آثام جمع المال ورشح
بذكر الظهر ثم ارشد الى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة
الله ولمن بقي وهو رجاء رزق الله الموعود لكل حي ○ وقال
عليه السلم لقائل قال بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما
الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة
معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا
والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل املس
ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها
فتؤدي حقها والخامس ان تعمد على اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه
بالاحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشا بينهما لحم جديد والسادس
ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية فعند ذلك
تقول استغفر الله ○ اقول ظاهر كلامه عليه السلم
يقتضي ان اسم الاستغفار الحق الذي له درجة العليين ويستحقها

صاحبها

صاحبها هو الجامع لمجموع المعاني الستة التي اشار اليها وذكرها
ليعرف حقيقته منها ويكون اراد هذا المعنى من لفظ الاستغفار
بعرف جديد شرعي اخص من مفهومه اللغوي انه طلب المغفرة الا انه
لما كان طلبها مشروطا بحصول المعاني المذكورة اطلق لفظ المشروط
على الشرط واستعمله فيه ويحتمل ان لا يكون غرضه تفسير ماهية
الاستغفار بل الاشارة الى شرائطه التي لا ينبغي ايقاعه من دونها
وهي المعاني الستة ويكون معنى قوله اتدري ما الاستغفار اي الاستغفار
التام بشرائطه واعرض عن ماهيته للعلم بها واشار الى
تمامه من الشرائط وقصد بالاشارة الى صدق لفظه على شرائطه
تاكيد انه لا يتم الا بدونها حتى كان مجموعها نفس حقيقة الاستغفار
واستعار لفظ الاملس لنقي الصحيفة من الآثام ○ وقال
الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة للحلم باعتبار انه يحمي صاحبه
ممن ينافره ويعاديه كما تحميه عشيرته ○ وقال عليه السلم
مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة
وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة ذكر كونه مسكينا وبين
ذلك بضمير عدد فيه وجوه المسكنة والضعف صغراه قوله
مكتوم الاجل الى آخره وهو ظاهر وتقدير كبراه وكل من كان
كذلك فهو مسكين ومسكين خبر المبتدا قدمه عليه لان ذكره اهم وحذف
تنوينه تخفيفا وغرض الكلام كسر النفوس من سورة الكبر والعجب
والفخر وامثالها من الرذائل ○ وروي انه عليه السلم كان جالسا في
اصحابه اذ مرت بهم امراة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال

عليه السلم

ان ابصار هذه الفحول طوامح وان ذلك سبب هبابها فاذا نظر
احدكم الى امراة تعجبه فليلمس اهله فانما هي امراة كامراة
فقال له رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما افقهه فوثب اليه
القوم ليقتلوه فقال عليه السلم رويدا انما هو سب بسب او عفو
عن ذنب ۞ الرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه والهبيب
والهباب صوت التيس عند هياجه وطلبه للشاة واستعار
لهم لفظ الفحولة لفظ الهباب لطلبهم النكاح وارشدهم الى
الخلاص من فتنة النظر بملامسة الاهل ورغب في ذلك بضمير
صغراه قوله فانما هي امراة كامراة اي فانما اهل الرجل امراة تشبه
المراة المنظورة وتقدير الكبرى وكل من تشبهها ففيه عوض
منها وانما اطلق الخارجي لفظ الكافر عليه لانه عليه السلم
عند الخوارج مخطئ وكل خطئه عندهم كفر وقوله انما
هو سب الى اخره مقتضى فضيلة العدل ۞ وقال كفاك من
عقلك ما اوضح لك سبيل غيك من رشدك الغرض من العقل
العملي هو ما ذكره عليه السلم وكفى به ۞ وقال افعلوا الخير
ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن
احدكم ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك ان للخير
والشر اهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه اهله ۞ امر بفعل الخير
ونهى عن احتقار شيء منه وان قل ورغب فيه بضمير صغراه قوله
فان صغيره كبير وقليله كثير اي في الاعتبار وبالنسبة الى من
يحتاج اليه ثم نهى ان يقول احد ان غيره اولى بفعل الخير منه وهو كنايه

عن ترك المرء الخير اعتمادا على ان غيره يفعله اولى وقوله
فيكون والله كذلك اي ان ذلك القول من القائل التارك للخير يكون باعثا له
يوسم فيه بفعل ذلك الخير ونسبه اليه فيصدق قوله وظنه فيه
بفعله له فيكون اولى به منه وقوله ان للخير والشر اهلا
الى اخره ترغيب في الخير وتنفير عن الشر بذكر ان لكل منهما اهلا يكفي
فيه ان تركه من ليس اهله ليكون التاركون من اهل الخير بفعله
وتركوا الشر لاهله ۞ وقال من اصلح سريرته اصلح
الله علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما
بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس فصلاح باطن الانسان
وحسن باخلاق الفاضلة معد لافاضة الله عليه صلاح اقواله
وافعاله الظاهرة لانها كالثمرات للباطن وكذلك عمل الانسان لدينه
وانابته بكد الى الله معد لصلاح حاله في معاشه وميل العواطف
الخلق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم الدنيا وفي معناه الكلمة
الثالثة فان اخلاص العبودية لله واصلاح معاملته قاطع عن
محبة الدنيا والحرص عليها الذي هو سبب الفساد بين الناس
فكان معدا لرفع الفساد ودفعه ۞ وقال الحلم غطاء
ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك
بعقلك استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار انه يستر سورة الغضب
وقبح ما يصدر عنه من الانفعال تشبيها ورشح بذكر الساتر وكذلك استعار
لفظ الحسام للعقل باعتبار قمعه لثوران النفس الامارة وافراطها
ورشح بذكر القاطع ولذلك امر بمقاتلة هواه به ۞ وقال ان

لله عبادًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم ما بذلوها
فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الي غيرهم ٥ اي من عباد الله من
يكون مقصود الغايه الالهيه بافاضة النعم عليه واقرارها في يديه
وصول النفع الي الغير ويكون ذلك شرطا فيها واذا لم يوجد ذلك
الشرط ارتفعت تلك النعمه بان ينقل شرطها الي غيرهم وغرض
الكلام الحث علي النفع المتعدي لتحويز كل عاقل انعم الله عليه
ان نعمته كذلك ٥ وقال عليه السلم لا ينبغي للعبد ان يثق
بخصلتين العافيه والغنا بينا تراه معافى اذ سقم وبينا تراه غنيا
اذ افتقر نهي عن الوثوق بالخصلتين المذكورتين لكونهما مع تقابلهما
من السقم والفقر امورا غير مقدورة للعبد ولا معلومة الاسباب
وهي بمعرض التعاقب فالوثوق بما كان كذلك جهل ونفر عن
ذلك بضمير صغراه قوله بينا تراه الي الخ اي ان العبد من شانه كذا
وتقدير الكبرى وكل من شانه ذلك فلا ينبغي ان يثق بالخصلتين المذكورتين
وقال عليه السلم من شكا الحاجة الي مومن فكانما شكاها الي الله
ومن شكاها الي كافر فكانما شكا الله ٥ شكاية المومن الي المومن شكايه
في موضعها اذ كانت ثمرة الشكاية المعاونة علي دفع الامر المشكو منه
والمومن من شانه ذلك بخلاف الكافر وتعقب في الاولي بتشبيهها بالشكايه
الي الله ووجه الشبه ان المومن كالصديق لله فاذا شكا
المومن اليه امرا من الله فكانه جعله وسيلة الي الله في شكواه
فاشبه الشكوي اليه ونفر عن الثانيه بنسبتها شكوي الله ووجه
الشبه ان الكافر عدو الله فمن شكا اليه امرا من الله فكانما شكا من الله

التشكي الى [illegible]

الي عدوه

الي عدوه ٥ وقال عليه السلم في بعض الاعياد انما هو
عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا يعصي الله
فيه فهو يوم عيد غرض الكلام الجذب الي عبادة الله وطاعته
وكسر النفوس عن الفرح بما ليس لله فيه نصيب سوا كان زمانا
او مكانا او غيرهما ولما كان العيد عبارة عن يوم يشرف الناس
ويفرح فيه فكل يوم لم يعص الله فيه فهو اولي بالفرح به والسرور
فيه وانما يسمي عيدا في عرف اوليا الله والطالبين للمعاد ٥
وقال ان اعظم الحسرات يوم القيمه حسرة رجل كسب مالا
في غير طاعة الله فورثه رجلا فانفقه في طاعة الله فدخل به الجنه
ودخل الاول به النار ٥ غرض الكلام التحذير عن الكسب الحرام وادخار
المال والتنفير عنه بما ذكر وقوله اعظم الحسرات لا يعني
ان يكون كل ما هو اعظمها وانما كان ذلك حسرة عظيمة لعدم منفعته
بالمال في الدنيا وعذابه به في الاخره ومشاهدته لانتفاع الغير به هنالك
وقال عليه السلم ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل
اخلق بدنه في طلب ماله ولم تساعده المقادير علي ارادته فخرج من
الدنيا بحسرته وقدم علي الاخره بتبعته ٥ استعار وصف الاخسر
صفقة لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا عن الاخره مع عدم موافقة
القدر له في حصول اماله الدنيويه وظاهر انه اخسر من التجار
وتبعته ما لحقه من عقوبات الاثام المكتسبه له من سعيه ٥
وقال عليه السلم الرزق رزقان طالب ومطلوب
فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتي يخرجه عنها ومن طلب الاخره طلبته

الدنيا حتى يستوفي رزقه منها استعار للرزق وصف الطالب
باعتبار انه لا بد من وصوله فهو كالطالب لصاحبه ونفر عن
طلب الدنيا بما يلزمها من الغاية المقدرة وهي الموت فكانه طالب
للمرء لغاية اخراجه من الدنيا بسبب طلبه لها ورغب في طلب
الاخرة بما يلزمه من طلب الدنيا واهلها لمن انقطع عنها حتى يصل اليه
رزقه منها وهو محمود وقد بينا فيما سلف وجه اقبال الناس على من
ينقطع عنهم ٥ وقال عليه السلم ان اولياء الله هم الذين نظروا
الى باطن الدنيا اذ نظر الناس الى ظاهرها واشتغلوا باجلها اذ اشتغل
الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا
انه سيتركهم وراوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا
اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا
وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرون مرجوا فوق ما يرجون
ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول مدح اولياء
الله بصفات عشر احدها انهم الذين نظروا الى باطن الدنيا اي
حقيقتها وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعلموا انها على حسب
علمهم اذ نظر الناس الى ظاهرها من زينتها وقنياتها الثانية واشتغلوا
باجلها وهو ما جعله الله نصب اعينهم غرضا مقصودا منها ثمرة
للاستعداد بها وهو ثواب الله ورضوانه اذ اشتغل الناس بعاجلها
وحاضر لذاتها الثالثة فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم
الامارة بالسوء التي يخشى من غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه
في الاخرة ويحتمل ان يريد باماتوه منها قسانها استعارة فكانهم لما ضبطوا

ولم يلتفتوا

ولم يلتفتوا اليها فقد اماتوها ولم يبق لها حس عندهم الرابعة
وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وهو زينتها وقنياتها التاركة
لهم بالموت عنها ومن في الموضعين لبيان الجنس الخامسة
وراوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اي استقلالا
من الخير الباقي وفوتا له اذ كان دركها والاستكثار بها سببا لذلك
السادسة اعداء ما سالم الناس وهي الدنيا السابعة وسلم
ما عادى الناس وهي الاخرة الثامنة بهم علم الكتاب لحفظهم
اياه وفقههم له وافادتهم به وبه علموا لاشتهارهم به عند
الناس التاسعة وبهم قام الكتاب اي صارت احكامه
قائمة في الخلق معمولا بها وبه قاموا اي بما امر ونواهيه وما
ينبغي له ويحتمل ان يريد ان قيامهم في معاشهم ومعادهم ببركته
العاشرة لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون من ثواب الله
ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب الله والسبب عنه
وذلك لعلمهم بالمرجو والمخوف هناك ٥ وقال عليه السلم
اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات للجرائم والعرض
السفير عن الدنيا ٥ وقال عليه السلم اخبر تقله ومن الناس
من يروي هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه واله وسلم ومما يقوي انه من
كلام امير المؤمنين عليه السلم ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الاعرابي
قال قال المامون لولا ان عليا عليه السلم قال اخبر تقله لقلت انا اقله
تخبر ٥ قلاه بقلبه قلا وقلا بالفتح وقليه ابغضه والهاء فيه
للسكت وهو امر في معنى الخبر يجري مجرى المثل والمعنى من جربت

باطنه غلبته والحكم الكثري لكثرة ما عليه الناس من خبث السريرة
ورذايل الاخلاق وما نقل عن المامون من العكس يريد به ان اظهار
البغض للشخص يكشف عن باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك
او يترك فيعرف خيره من شره ونقل مثله عن ابي بكر الاصفهاني
قال لولا ان الاعراض على التلف من الجهاله لقلت القلي ثمر
الخبر حتى لا يكون الانسان مضيعا وقته واضعا في غير موضعه
مقته ٥ وقال عليه السلم ما كان الله ليفتح على عبد باب
الشكر ويغلق عليه باب الزيادة ولا ليفتح على عبد باب الدعاء
ويغلق عليه باب الاجابه ولا ليفتح على عبد باب التوبه ويغلق
عنه باب المغفرة ٥ اشار الى استلزام امور ثلثه لامور ثلثه
وهي الشكر للمزيد والدعا للاجابه والتوبه للمغفرة فمن فتح الله
له باب احد هذه الملزومات فاعطاه له والهمه اياه وجب في
جوده ان يفتح له باب لازمه وينعم عليه اذ لا بخل في جوده
ولا منع في عطايه ووصف فتح الباب مستعار لتيسير الله تعالى
للعبد لذلك واعداده له ٥ وسيل عليه السلم ايما افضل العدل
او الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها
والعدل سايس عام والجود عارض خاص فالعدل اشرفهما
وافضلهما ٥ اشار الى افضليه العدل بصغرى قياس الاول قوله
العدل الى قوله مواضعها يريد ان طبيعة الجود تقتضي من صاحبها
اخراج كل ما يملكه عن مواضعه ومواقع حاجته التي هي اولى به
بمقتضى العدل الثاني قوله والعدل الى قوله خاص واستعار

له لفظ السايس باعتبار ان به نظام العالم والجود عارض
خاص من يصل اليه من بعض الناس ويقدر بين الكبرى فيهما وكل
امرين كانا كذلك فالعدل اشرفهما وافضلهما وقوله
فالعدل الى اخره هو النتيجه ٥ وقال عليه السلم الناس
اعدا ما جهلوا وقد مر بيانه ٥ وقال عليه السلم الزهد
كله بين كلمتين من القران قال الله تعالى لكيلا تاسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ومن لم ياس على الماضي ولم يفرح
بالاتي فقد اخذ الزهد بطرفيه ٥ الامران المذكوران في الايه
غايتان من الزهد والاعراض عن الدنيا في قوة خاصه مركبه
تلزم الزهد نبه عليها لتعريفه بها وكنى بقوله فقد اخذ الزهد
بطرفيه عن استكمال حقيقة الزهد وكماله بها حينيذ وظاهر
ان وجود الخاصه المذكوره مستلزم للاعراض عن الدنيا وطيباتها
بالقلب وهو الزهد الحقيقي ٥ وقال عليه السلم الولايات
مضامير الرجال ٥ واراد بالمضامير مظان معرفة جوده الفرس وهي
الامكنة التي يعرف فيها الخيل للسباق واستعار لفظها للولايات
باعتبار انها مظان ظهور جوده الوالي من خسته ورداته كما
ان المضامير للخيل كذلك ٥ وقال عليه السلم ما انقض النوم
لعزايم اليوم ٥ اقول ما هاهنا للتعجب وهذه الكلمه تجري مجرى
المثل يضرب لمن يعزم على امر فيغفل عنه او يتهاون فيه ويتراخى
عن فعله حتى ينتقض عزمه عنه واصله ان الانسان قد ينوي
السفر مثلا او الحركة بقطعه من الليل السوفر في نهاره على سيره فيغلبه

النوم الى الصباح بفوت وقت عزمه وينتقض ما ان عزم عليه
في يومه ٥ وقال عليه السلم ليس بلد احق بك من بلد خير البلاد
ما حملك اقول حملك اي تحركت فيه قيام حالك وصلاح معاشك
فامكنك الاقامة به واستعار وصف الحمل له باعتبار حمل مؤنته ملاحظة
لشبهه بالحمل ونحوه والى ذلك المعنى قريب منه اشار ابو الطيب
في بلاد من اختها بدل وكذلك على مقرب الحراني في قوله
لي عن بلاد الاذى والهون متسع ما بين حزوي وبين القادسية نسب
وقال عليه السلم وقد جاءه نعي الاشتر رحمه الله مالك وما مالك
لو كان جبلا لكان فندا لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطاير قال
السيد رحمه الله والفند المنفرد من الجبال وما لك مبتدا او فاعل
اي مات مالك وما استفهامية في معرض التعجب من مالك رحمه الله
وقوته في الدين ٥ وقال قليل يدوم عليه خير من كثير مملول منه
وذلك من الامور التي ينبغي ان تفعل وانما كان كذلك لان الدوام على القليل
منها تعتاد النفس ملكة الطاعه والخير ويصير تعاطيها بخلاف
الكثير المملول منه ونحو قول الرسول صلى الله عليه واله وسلم ان هذا الدين
متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ٥ وقال
عليه السلم اذا كان في رجل خلة رايعة فانتظروا اخواتها والرايعة المعجبة
اي اذا كان في الانسان خلق فاضل فان طبعه مظنة ان يكون فيه خلة
من الخلاق الفاضلة المناسبة لذلك الخلق يتوقع وينتظر منه كمن يكون
من شانه الصدق فانه يتوقع منه الوفا وحسن الصحبة وبالعكس وكمن
يكون من شانه العفة فانه يتوقع منه الكرم والمسامحة والبذل والصدقة

والمحبة ونحوه او كمن يكون شجاعا فانه يتوقع منه عظمة الهمة والحلم
والثبات وكذلك من كان فيه ضد ذلك من الرذايل ٥ وقال
عليه السلم لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما ما فعلت
الابل الكثيرة فقال ذعذعتها الحقوق يا امير المؤمنين فقال صلى الله عليه
ذلك احمد سبلها الكلام الذي دار بينهما ان غالبا دخل على
علي عليه السلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام
يومئذ فقال له عليه السلم من الشيخ فقال غالب بن صعصعة قال
ذو الابل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت ابلك قال ذعذعتها الحقوق
واذهبتها الحمالات والنوايب فقال ذاك احمد سبلها من هذا الغلام
فقال هذا ابني همام وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين وكلام العرب
ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا فقال اقريه القران فهو خير له وكان
الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد
نفسه بقيد وآلى ان لا يفكه حتى يحفظ القران فما فكه حتى حفظه
وذعذعتها بالذال المعجمة مكررة فرقتها ٥ وقال عليه السلم من
اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا ارتطم في الوحل ونحوه وقع فيه
فلم يمكنه الخلاص وهو وصف مستعار لجاهل الفقه باعتبار انه لا
يمكن من الخلاص من الربا وذلك لكثرة اشتباه مسايل الربا بمسايل
البيع حتى لا يفرق بينهما الا اكابر الفقها مع وقوع الخلاف الشديد
بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا لجوزه ابو حنيفة قايلا
انهما جنسان مختلفان ومنع منه الشافعي الى غيرها من المسايل ٥ وقال
عليه السلم من عظم صغار المصايب ابتلاه الله بكبارها وانما لزمه ذلك

لاستعداده بتضجره وتسخطه من قضاء الله لنزول البلاء ولو قد
حمد الله على بلائه لاستعد بذلك لدفعه ٥ وقال من كرمت
عليه نفسه هانت عليه شهوته وذلك لكونهما عدوان فاكرام
احدهما يستلزم اهانة الاخرى فمن كرمت عليه نفسه لزم
حفظها وحمايتها من عذاب الله وذلك مستلزم لهوان شهوته عليه
وعدم مراعاتها لانها تقتضي ضد ذلك ٥ وقال ما مزح
امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة وذلك لان العقل يقتضي
صيانة العرض والبقاء على حد توقر معه صاحبه ولا يستخف
به والمزاح الذي لا ينبغي يقتضي اضداد ذلك فهو مستلزم لمخالفة
العقل وتركه فاستعار لفظ المج لما يطرحه الانسان من عقله
في مزحه ومزاحه فكانه قد مجه كمج الماء من فيه ويلقيه
وقال زهدك في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في
زاهد فيك ذل نفس اما الاول فلان من تمام الحظ كثرة الاخوان
للاعانة على صلاح امر المعاش والمعاد فالزهد فيهم يستلزم نقصان
الحظ ولان مجازاة الرغبة بمثلها فضيلة من تمام الحظ النفساني فعدمها
يستلزم نقصانه واما الثاني فاستلزام الرغبة في الزاهد فيك
للذل والخضوع له ظاهر والكلمتان صغريا ضمير تقريره عن الزهد
في الراغب فيك والرغبة فيمن يزهد فيك ٥ وقال ما لابن ادم
والفخر اوله نطفة واخره جيفة ٥ استفهم متعجبا من وجه الجمع
بين الانسان والفخر ونبه على عدم المناسبة بينهما بضمير صغراه قوله
اوله الى اخره وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا مناسبة

بينه وبين الفخر [illegible] الفخر مبنيا على المعقول معه ٥ وقال
الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى فان الغنى الحقيقي بالثواب
والفقر بعدمه في الاخرة ٥ وسئل عليه السلم عن اشعر الشعراء
فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها فان
كان ولا بد فالملك الضليل يريد به امرء القيس ابن حجر لانهم لم يقولوا الشعر
على منهاج واحد حتى يتفاضل بينهم بل كان لكل منهم حالة خاصة
يجيد فيها وتنبعث فيها قريحته فواحد يجيد في الرغبة واخر
في الرهبة واخر في النشاط والطرب ولذلك قيل اشعر العرب
امرء القيس اذا ركب والاعشى اذا رغب والنابغة اذا رهب
واستعار لفظ الحلبة وهي القطعة من الخيل تقرن للسباق والطريقة
الواحدة ورشح بذكر الاجراء والغاية وقصبتها وذلك ان عادة
العرب ان تضع قصبة في اخر المدى فمن سبق اليها واخذها فاز
بالسبق والغلبة وقوله فان كان ولا بد اي من الحكم
وانما حكم له بذلك باعتبار جودة شعره في اكثر حالاته دون
غيره كما روي عنه برواية اخرى ان ابا الاسود سأله عن اشعر
العرب فقال لو رفعت للقوم غاية علمنا من السابق منهم ولكن
ان يكون فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمي
ضليلا لكثرة ضلاله وقوته قيل لانه تنصر في اخر عمره وقيل
لانه كان كثير التهتك والاعلان بالفسق كما في شعره ٥ وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امرؤ القيس اشعر العرب وقائدهم
الى النار ٥ وقال الفرزدق كان الشعر جزورا فنحروا خذ

سنامها امرؤ القيس وا   اخذ لبيد
بامعائها واكبادها وبقيت عظامها وارواثها فاقتسمناها بحجن ۝
وقيل للبيد بن ربيعة من اشعر الناس فقال الملك الضليل فقيل
ثم من فقال الفتى القتيل يعني طرفة فقيل ثم من فقال الشيخ ابو عقيل
يعني نفسه وقال الا حر يدع هذه اللماظة لاهلها انه ليس
لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها اللماظة بضم اللام ما يبقى
في الفم من الطعام ولفظها مستعار للدنيا باعتبار قلتها وحقارتها
ودعا الى تركها ثم جذب عنها بضمير صغراه قوله فانه الى قوله
الجنة وهو كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة وتقدير الكبرى وكل ما كان ليس لانفسكم ثمن الا هو فينبغي
ان لا تبيعوها الا به ۝ وقال علامة الايمان ان تؤثر الصدق
حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون في حديثك
فضل عن علمك وان تتقي الله في حديث غيرك اشار من علامات
الايمان الى ثلث احدها ان يؤثر الصدق الضار على الكذب النافع
محبة للفضيلة وكراهة للرذيلة الثانية ان لا يكون في حديثه فضل
وزيادة عن علمه وهو العدل في القول والاحتراز من رذيلة الكذب
الثالثة ان يتقي الله في حديث غيره فلا يخوض في عرضه بغيبة
او سماعها وقيل اراد ان يحتاط في الرواية عمن حدثه كما هو
وقال يغلب المقدار على التقدير حتى تكون الآفة في التدبير ۝
المقدار القدر ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر كان بناء
تقديره وتدبيره لنفسه على اوهام لا ثقة بها فجاز فيما دبر هو

لنفسه واعتقد انه سبب المصلحة ان يكون من اسباب مفسدته
وهلاكه وقد مر بيان ذلك الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة
استعار لهاتين الفضيلتين لفظ التوأمين باعتبار استلزام علو
الهمة لهما وصدورهما بواسطتها وذلك ان عالي الهمة يستحقر
كل ذنب ومذنب في حقه فيحلم عنه ويتأنى عن المبادرة الى
مقابلته ۝   الغيبة جهد العاجز اكثر ما تصدر
الغيبة عن الاعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ اغراضهم
وشفاء صدورهم فيعدلون الى اظهار معايب اعدائهم لما يجدون
فيه من اللذة وتنفر عنها بنسبة فاعلها الى العجز وانها غاية
جهده لما تفت من ذلك النقصان ولا يرضى به ۝
رب مفتون بحسن القول فيه واصل الفتنة الانصراف اي
رب مصروف عن تحصيل الفضيلة والطاعة واكمالها بالمدح
والاطراء لكن يفرح بكثرة العبادة مثلا فيقصر ذلك الى الاقتصار
على ذلك القدر منها قال السيد الرضي رحمه الله وهذا
حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المختار من كلام امير المؤمنين علي بن
ابي طالب عليه السلم حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا
لضم ما انتشر من اطرافه وتقريب ما بعد من اقطاره ومقررين
العزم كما شرطناه اولا على تفضيل اوراق من البياض في آخر
كل باب من الابواب ليكون لاقتناص الشارد معدا واستلحاق الوارد
وما عساه ان يظهر لنا بعد الغموض ويقع الينا بعد الشذوذ وما
توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ۝

انه رضي الله عنه بلغ في اختيار كلامه عليه السلم الى هذه
الغاية وقطعه عليها ثم كتبت على عهده زيادة من محاسن الكلام
اما باختياره هو او بعض من كان بحضرته من اهل العلم وتلك الزيادة
تارة توجد خارجة عن المتن وتارة موضوعة فيه ملحقة بمنقطع
اختياره ٥ وروي انها ثبتت عليه وامر بالحاقها اوانها ٥ وقال
عليه السلم الدنيا خلقت لغيرها لم تخلق لنفسها واراد انها خلقت
للاستعداد فيها لدرك ثواب الله في الاخرة لا لينالها الجاهلون
وقال عليه السلم ان لبني امية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا
فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود هنا مفعل من الارواد
وهو الامهال والانظار وهذا من افصح الكلام واغربه فكانه عليه السلم
شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه الى الغاية فاذا
بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها اقول استعار لفظ
المرود لمدة دولتهم لم تزل على الاستقامة الى حين اختلافهم وذلك
حين ولي الوليد بن يزيد فخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله وقامت
حينئذ دعاة بني العباس بخراسان واقبل مروان بن محمد من الجزيرة
يطلب الخلافة فخلع ابراهيم بن الوليد وقتل قوما من بني امية واضطرب
امر دولتهم وكان زوالها على يد ابي مسلم وكان في بدو امره اضعف
خلق الله واشدهم فقرا وفي ذلك تصديق قوله عليه السلم ثم كادتهم
الضباع لغلبتهم ولفظ الضباع قد تستعار للاراذل والضعفاء وهذا
من كراماته عليه السلم وقال عليه السلم في مدح الانصار والله
ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم السباط والسنتهم

٢٠٣

السلاط مع الفلو المهر والسباط السماح ويقال للحاذق في الطعن
انه لسبط اليدين يريد انه سفيف فيه والسلاط الحداد الفصيحة
وشبه تربيتهم بالاسلام وحمايتهم له بتربية الفلو ووجه
الشبه شدة عنايتهم به وحسن رعايته الى حين كماله ٥ وقال
عليه السلم العين وكاء السه ٥ قال السيد وهذه من
الاستعارات العجيبة كانه شبه السه بالوعاء والعين بالوكاء
فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء قال وهذا القول في الاشهر
الاظهر من كلام النبي صلى الله عليه واله وسلم وقد رواه قوم لامير
المؤمنين عليه السلم وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب في باب اللفظ
الحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات
الاثار النبوية ٥ واقول انه استعار لفظ الوكاء وهو
رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان في يقظته لنفسه
من ان يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به وفي ذلك
ملاحظة تشبيه سه بالوعاء كالقربة ومن تمام الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم فاذا نامت العينان استطلق الوكاء
وقال في كلام له ووليهم وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين
بجرانه المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب والكلام في خطبة طويلة
له عليه السلم في ايام خلافته يذكر فيها قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختصاصه له وافضاءه باسراره اليه الى ان قال فيها فاختار
المسلمون بعده بآرائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته
على ضعف وعجل كانا فيه ثم وليهم بعده وال فاقام واستقام حتى ضرب

الدين جرانه على عسف وتحرك كما اتيتهم امسهما قواتا
لم يكن ذلك من امر نفسه شيئا غلب عليه امله فقادوه الى
اهوايهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم ولم يزل الامر بينه وبين الناس
يبعد تارة ويقرب اخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاوني عدة
الدنيا يريدون تبيعتي في كلام طويل والجران مقدم عنق البعير
وضربه بجرانه كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن
البعير البارك من الارض ٥ وقال يأتي على الناس زمان
عضوض يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال
الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل
فيه الاخيار ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن بيع المضطرين ٥ تنهد اي ترتفع وتعلوا وذكر لذلك الزمان
مذامّ احدها استعار له لفظ العضوض باعتبار شدته واذاه
كالعضوض من الحيوان ويقول للمبالغة الثانية انه يعض الموسر
فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما ملكه ونبه على صدق قوله
ولم يؤمر بما بذلك بقوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم فانه يفيد
الندب الى بذل الفضل من المال وذلك ينافي الامر بالبخل الثالثة
انه تعلوا فيه درجة الاشرار وتستذل الاخيار والرابعة
ويبايع فيه المضطر اي كرها لاجل الجور ونبه على قبح ذلك بنهي
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنه ٥ وقال هلك فيّ رجلان
محب مطر وباهت مفتر وهذا مثل قوله عليه السلم هلك فيّ رجلان
محب غال ومبغض قال فالمحب المطري بكثرة المدح كالغلاة هم في

طرف

طرفي الافراط والذي يبهته ويفتري عليه بانه كافر ومخطي
كالخوارج هم في طرف التفريط وكلاهما رذيلتان خارجتان عن
فضيلة العدل فيه وقد علمت ان الرذائل مهاوي الهلاك الاخروي
وقد سبق مثله ٥ وسئل عليه السلم عن التوحيد والعدل فقال
التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه وهاتان الكلمتان
على وجازتهما في غاية الشرف وعليهما مدار العلم الالهي والكلمة
الاولى اجل كلمة دل بها على التوحيد والتنزيه وقد بينا سرها
في اول الخطبة الاولى من الكتاب وجملة القول هاهنا انه لما
كان الوهم انما يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوس ولا بد
ان يستعين في ادراكه وضبطه بالقوة المتخيلة حتى يصوره
ويلحقه بالامور المحسوسة وكان الباري تعالى منزها بمقتضى العقل
الصرف عن المحسوسات وما يتعلق بها لاجرم لم يجز ان يحكم
الوهم في تصوره تعالى ويجري على ذاته المقدسة احكامه اذ لا يكون
في حقه الا كاذبة لاقتضائها كونه محسوسا او متعلقا بالمحسوس
الذي من شانه الكثرة والتركيب المنافيان للوحدة المطلقة فيكون
قد عرف التوحيد بخاصة من خواصه وهي لازم   واما
الكلمة الثانية فالمراد من العدل اعتقاد جريان العدل في جميع افعاله
تعالى واقواله ومن لوازم ذلك الخاصة به ان لا يتهمه العبد انه يجبر
على القبيح ثم يعاقبه عليه او انه يكلفه ما لا يطيقه ونحو ذلك
من مسائل الاصول الدينية التي اعتمد فيها المعتزلة على ظواهر كلامه عليه السلم
وقال لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل

الصمت عن الحكمة رذيلة تفريط من فضيلة القول وانه في الجهل
رذيلة افراط والخير فيهما بل فيما توسطهما من القول بالحكمة ٥ قال
عليه السلم في دعاء استسقى به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها
قال السيد وهذا من الكلام العجيب وذلك انه عليه السلم شبه
السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب
التي تقمص برحالها وتوقص بركبانها وشبه السحاب الخالية من تلك
الروائع بالابل الذلل التي تحلب طيعة وتقتعد مسمحة واقول
ان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب وكان المشابهة التي
ذكرها السيد وتوقص بركبانها اي ترميهم وتقارب الخطو
والروائع الامور المخوفة وقيل له عليه السلم لو غيرت شيبك
فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول الله صلى الله عليه
واله وسلم وهو ظاهر ٥ قال عليه السلم منهومان لا يشبعان
طالب علم وطالب دنيا النهم بالفتح افراط الشهوة في الطعام ولفظه
مستعار لشدة طلب المتعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا
لها وكذلك وصف عدم الشبع لهما والكلمة مروية عن رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ٥ وقال عليه السلم القناعة مال لا
ينفد وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه واله وسلم واستعار
لفظ المال للقناعة ووصف عدم النفاد باعتبار انها الغنى الدائم كالمال
الباقي ٥ وقال عليه السلم لزياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن
عباس على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم
الخراج استعمل العدل واحذر العسف فان العسف يعود بالجلاء

والحيف يدعو الى السيف اقول امره باستعمال العدل ونهاه عن
من حيف الناس وعسفهم وهو حملهم على المكاره ونفره عن ذلك
بضميره [illegible] ان العسف الى آخره اي يعود بجلاء
المعسوف بهم عن اوطانهم وظاهر ان الظلم معد لذلك وللقيام
بالسيف على الظالم من غيره وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك
فيجب اجتنابه ٥ وقال عليه السلم اشد الذنوب ما استخف
به صاحبه وذلك انه يدوم عليه لاستسهاله اياه حتى يصير ملكة
وخلقا لا ينفك عنه بخلاف ما يستصعبه فانه يوشك ان يقلع عنه
قبل استحكامه وقد مر تفسيره ٥ وقال عليه السلم
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لما
كان التعلم على الجاهل فريضة ولا يمكن الا بتعليم عالم كان وجوب التعلم
على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم وفي الخبر المرفوع من
تعلم علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من النار ٥ وروى
معاذ بن جبل عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا العلم فان
تعلمه لله خشية ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه
عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة معالم الحلال والحرام
وبيان سبيل الجنة والمونس في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس
في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء
والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء ٥ وقال عليه السلم شر
الاخوان من تكلف له اي من احوج الى الكلفة له وذلك ان الاخوة الصادقة
تستلزم الانبساط بين الاخوان وترك التكلف من بعضهم لبعض فكان

عدم هذا اللازم ووجودا لكلمة […] لزما العدد
صديقا واحدا ومن لا يكون اخ صدق فهو شر الاخوان والكلمة وهو
تعز ضمير نسبته به على احتساب اخ كذلك وتقديره لمن احتج
الى التكلف له فهو شر الاخوان وتقدير الكـ[…] شر الزم
مجانبته ۝ وقال عليه السلم اذا احتشم المومن اخاه
فقد فارقه حشمه واحشمه بمعنى اى اغضبه وقيل اخجله وموضع
ضمير نفرقه عن احتشام الاخ لاخيه وذلك ان احتشامه يستلزم
نفرته عنه وعدم انسه به وهو من دواعي مفارقته وموجباتها
وتقديره ما هو في قوة الكبرى ومفارقة الاخ لا تجوز فاحتشامه
لا يجوز وبالله التوفيق والعصمة ۝

وهذا آخر ما وجد من اختيار السيد الرضي رضي الله عنه
من كلام مولانا وسيدنا امير المومنين عليه الصلوة والسلم
وإذ وفقني الله سبحانه لاتمام شرحه فله الحمد سبحانه على
ما اعدني له من منته الجزيلة وافاضه علي من نعمه الجميلة
ومنه اطلب واليه ارغب ان يجعل ما كتبته حجة لي لا علي
انه المنان ذو الفضل والاحسان ۝ وفرغ من كتابته
في صفر سنة تسع وسبعين وستمائة والحمد لله وحده وصلواته
على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلامه ۝